ابراهيم محمد الجمل

مواعظ الصحابة

رضوان الله عليهم

في الدين والحياة

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

إهـــداء

إلى ذلك الهُمام

الذى أخبر رسولنا ﷺ

أنّ الله يَسْتحِى مِنْهُ ..

إلى ذِى النُّورَيْنِ :

« عُثْمانَ بْن عَفّان »

رَضِيَ الله عَنْهُ

أهْدِى هٰذا الكِتاب

المؤلف

تقديـــم

الحمدُ لله ربِّ العَالمين .

وأشْهَدُ أنْ لا إلــٰه إلّا الله ، المَلِكُ الحَقُّ المُبين ..

وأشْهَدُ أنّ سَيِّدَنا وحَبِيبنا وخَليلَنَا مُحَمَّداً رسولَ الله الصَّادِقَ الوَعد الأمين .

اللّهُم صَلِّ وسَلِّم وبَارك عَلى هَذَا النَّبى التَّقى البَهىِّ الوَفى القَرشيِّ المكِّيِّ الكَرِيمِ ، وعَلَى آله وَصحبِه وأتبَاعِه وذُريَّتِهِ أجْمَعين .

أمَّا بَعْد

فَمَا زَالَ الوَعْظ يأخذ منْ سَاحَةِ الدَعوةِ مَكاناً فَسيحاً ، وَمَازَالَ لسحرِه وَعَمَلِهِ فى القَلوبِ وتَأثِيرهِ في النُّفوسِ أثَرٌ وَاضِحٌ لا يُغْفَلُ فهو فَن .. فَنُّ الإلقاء ، واختيارُ اللّفظةِ وَالجُملةِ ، والوَقْتِ والمَوْقِف ، فَنُّ مُخاطَبة الإنسانِ .

وكنتُ قَد قَدمتُ « الخُطْبَةَ العَصْرِيةَ » أرَدْتُ مِنْ خلالِها خُطبةً لَها سِماتٌ تَختَلِفُ عَنْ الخُطبِ التَقليديةِ التى تَعوَّد عَلَيْها عَلماؤُنا ووعاظنا .

وأدركتُ أنّ الصَّحابة خيرُ الوَاعِظِين ، وسَادَةُ المتَحدِّثين ، ذلك لقُربِهم من

رسُول الله ، ﷺ ، ومُعاملَتهم له ، وحَياتِهم مَعه .

فأردت أن أجْمَع مَواعِظَهُم من خلال :

١ – الخُطب .

٢ – الوَصايا .

٣ – الكُتب

٤ – الدعوات والمواقف والمواعظ .

هَذا وأسأَل الله رَبَّ العالمين ، أنْ ينفَعَ المسلمين بِهَذا العَمَلِ ، وأن يجعَلَه فى صحائِفِ أعمالى « يومَ لا يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ إلّا مَنْ أتَى الله بقلبٍ سَلِيمٍ » .

إبراهيم محمد الجمل

غرة ربيع الآخر سنة ١٤٠٩ هـ

الفصل الأول

لذا كانوا هم الصحابة

لذا كانوا هُم الصَّحابَة

عطاء يُقدِّمُهُ البَشَرُ من خلال معاملاَتهم ومعايشهم ، تقوم عليه الحياة ، ولا تتحقق المناعة إلا من خلالهم .

ذلك أنه قد يكثر الشر فى قلب العبد حتى يمتلئ به ، فلا يجد مكاناً له ، فيخرج إلى عالم السلوك ؛ ليظهر على الخلقة والفعل ..

وقد يكثر الخيرُ فى قلبِ العبدِ حتى يمتلئ به ، فلا يجد مكاناً له إلا كل المعاملات ، وكل السلوك ، وكل القول ، وكل الفعل ، وكل الهمة ليكون خَيِّراً طيِّباً نُورَانِيًّا ..

وبعيدًا عن الاعتقاد الدينى ، والتصور العقلى وتكوين نفسية الإنسان .. فإنّه يلج ويلج إلى عالم العطاء لا الأنانية ، العطاء بما يحمله من وُدٍّ ورحمة ؛ ليخيم على البشرية صفاء ، ويقيم عليها ستاراً من الراحة والاطمئنان ..

وكم من أناس ماتوا من الغيظ ، وكبتوا من الضيق ؛ لأنهم لم يجدوا يداً حنوناً ، أو قلباً رحيماً ، أو لساناً طاهراً طيبـاً .

إن هذا العالم خاصة بعدما أهلكته ظلمات الجهالة ، واضمحل بقوى الأنانية والفردية والذاتية ينقصه العطاء بما يحمله من معانٍ وفَهْم .

★ ★ ★

فإذا ما قلنا هذا ، وأثبتنا ذاك ، فإن أول عباد قتلوا الذاتية ، ونفوها عن حياتهم ، وأبعدوها إلى أرض غير أرضهم ، وعاشوا عَطّائين هم أصحاب المصطفى ﷺ .

لقد عاشوها وواقعوها ، وأفنوا حياتهم من أجلها ، وبرغم ما نالهم من ظلم على يد قوى باطشة ، وأيد آثمة ، تتمثل فى كفار قريش وغيرهم صبروا وصابروا .

فلما آتاهم الله نصره ، ومكّنَهُم فى الأرض ، لم يحكموا بالحديد والنار ، بل ظلوا فى العطاء ، ومضوا فى سبيل الله ، وسبيلُه هو الرحمة والقلب الصافى ، والبدنَ الطاهر ، والمسحُ على رأس اليتيم ، وإطعامُ الجائع ، ونبذُ الظلم حتى لو كان الآخر عدوًّا كافراً .. لذا كانوا هُم الصَّحَابة .

١ - من أعمالهم وأخلاقهم

أَخرَجَ أَبو نُعَيْمٍ في الدَّلائِلِ ، عن ابْنِ اسْحاقَ قال :

لمَّا قَدِمَ الأَنْصَارُ المدِينَةَ بَعْدَ ما بايَعُوا رَسُولَ الله ﷺ ظَهَر الإِسْلامُ بِهَا وفى قَوْمِهِم بَقَايا عَلَى دِينِهِم مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ ، مِنْهُم : عَمْرُو بنُ الجموح ، وكانَ ابْنُه مُعَاذ قَدْ شَهِدَ العَقَبَةَ وبَايَعَ رَسَولَ الله ﷺ بِهَا .

وكانَ عَمْرُو بن الجَمُوحِ سَيِّداً مِنْ سَادَاتِ بَنِى سَلَمَةَ ، وشرِيفاً مِنْ أشْرافِهِمْ ، وكانَ قَد اتَّخَذَ فى دَارِهِ صَنَماً مِنْ خَشَبٍ يُقالَ لَهُ : « مناة » - كَما كَانَتِ الأَشرافُ يَصنعُونَ ، يَتّخذه إلهاً ويطهره ، فلمَّا أسْلَم فِتْيانَ بَنى سَلَمة : مُعاذ بنُ جَبلٍ وابْنهُ مُعاذُ بْنُ عَمْرٍو فى فِتْيانٍ مِنْهم مِمَّن أَسلَم وشَهِدَ العَقَبةَ ،

كانُوا يَدْخُلون عَلَى صنَم – عَمْرو ذلك ، فيحمِلُونَهُ فيَطْرَحُونَه فى بعضِ حُفَرِ بنِى سلمة ، وفيها عَذِرَةَ الناس ، منكساً على رأسه .

فإذا أصْبَحَ عَمرو قال : ويْلكم مَنْ غَدَا على إلهنا فى هـٰذِهِ اللّيلةَ ؟ قالَ : ثمَّ يغدو يلتمسه حتى إذا وجَدَه غَسلَه وطهَّرهُ وطيَّبَهُ ، ثمَّ قالَ : وايْمُ الله ! لَوْ أعْلَم مَنْ صنَعَ بكَ هـٰذا لأُخْزينَّه ، فإذَا أمسى عَمْرو ونامَ غَدَوْا عليه ففعَلُوا به مِثْلَ ذلك ، فلمَّا كثُروا علَيْه استَخرجَه مِنْ حيثُ ألقوه يَوماً فَغَسله وطهَّره وطَيَّبهُ ، ثمّ جاءَ بِسَيْفه فعلّقهُ عَليه ثمَّ قال : إنّى والله ما أعْلَمُ مَن يفْعَل بكَ ما تَرَى فإنْ كان مِنْك خَيرٌ فامْتَنِع بِهـٰذا السَّيْف معك .

فَلّما أمْسَى ونامَ غدوْا عَليه فأخَذُوهُ والسَّيْفُ فى عُنُقه ثمَّ أخذوا كَلْباً ميِّتاً فَقَرنُوه مَعُه بَحبْلٍ ، ثمَّ ألْقَوهُ فى بئر مِنْ آبار بَنِى سَلَمة فيها عَذِرةَ مِن عُذَر النَّاس .

وغَدَا عَمْرو بنُ الجَموحِ [على صنَمِه] فَلَم يَجْده مكانَهُ الّذى كانَ فِيه ، فَخرجَ فى طَلَبهِ حتَّى وَجَده فى تِلْكَ البِئر مَقْروناً بكلْب مَيِّتٍ ، فلمَّا رآهُ وأبْصر شأْنه وكلّمهُ مَنْ أسلَم مِن قَوْمِهِ – يرحَمه الله – أسلم وحَسُنَ إسْلامُه . وزَادَ مُنجاب عن زيادٍ فى حَديثِه عن ابن اسْحاق قال : وحدَّثنى إسْحاق بنُ يَسارٍ من بَنِى سَلَمة قال : لما أسْلَم فِتْيان بَنِى سَلَمة وأسْلَمتِ امرأةُ عَمْرِو بن الجَموحِ ووَلَدُه ، قالَ لامْرأتِه : لا تَدَعى أحَداً مِنْ عِيالِك فى أهْلِكِ حتَّى ننظُرَ ما يَصْنَع هـٰؤلاءِ ، قالَتْ : أفعَل ، ولـٰكنْ هَلْ لَك أنْ تَسْمع مِن ابْنِكَ فُلانٍ مَا رَوَى عنْه ؟ قالَ : فلعلّه صبأ قالَتْ : لا ، ولـٰكنْ كانَ مَع القَوْمِ ، فَأرْسَل إليْهِ فقالَ :

« أخبرنى ما سَمِعْتَ مِنْ كلامِ هـٰذا الرَّجلِ ، فقرأ عَلَيْه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ إلى قوله : ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فقال : مَا أحْسَنَ هـٰذا وأجْمَلَه ، أوَكلّ كَلامِهِ مِثْلَ هٰذا ؟ ، فقَالَ : يا أبَتَاهُ ، وأحْسَنُ مِنْ هٰذَا ، فهلْ لَكَ أنْ تبايعه ؟ قَدْ صَنَعَ ذلكَ عامّة قَوْمكَ ، قَالَ : لَسْتُ فاعِلًا حتّى أوَامِرَ مَنَاةَ ، فأنْظَرَ ما يقولُ ، قال : وكانُوا إذَا أرادُوا كَلامَ مَناة جَاءَتْ عَجوزٌ فقامَتْ خَلْفه ، فأجَابَتْ عَنْه ، قالَ : فأتاهُ وغُيِّبتِ العَجُوز وأقامَ عِنْده فتشكّرَ لَهُ ، وقالَ : يا مَنَاةَ ، تَشْعُر أنّه قَدْ سُئِلَ بكَ وأنتَ غافِلٌ ، جاءَ رجل يَنْهانا عَنْ عِبَادتِكَ ، ويأمُرنا بِتَعْطيلِكَ ، فكَرِهتُ أنْ أبايعَه حتّى أوَامِرَكَ ، وخاطبهُ طَويلًا فَلَم يَرُدّ عَليه ، فقال : أظنُّكَ قَدْ غَضِبْتَ ولَمْ أصْنَع بعْدُ شَيْئاً فقَام إليهِ فكَسَرهُ أ هـ(١) .

— وأخرج الحاكم عن الواقدى قال :

كانَ أبُو الدَّرْداءِ – رضى الله عنهُ – فيمَا ذُكِر – آخِرَ دَارِهِ إسْلاماً ، لم يَزَلْ مُتَعلّقاً بصنَمٍ لَهُ وقَدْ وضَعَ عليه مِنْديلًا ، وكان عبدُ الله بن رَواحَة رَضى الله عنهُ يدْعوه إلَى الإسْلامِ فيأبى فيَجيئه عَبدُالله بنُ رَواحَة ، وكانَ لَهُ أخاً فى الجاهِلِيَّة ، عَنِ الإسْلامَ ، فلّما رَآهُ قَدْ خرجَ عَنْ بَيْته خَالَفه فَدَخلَ بيْته وأعْجَل امْرأتَهُ وإنَّها لتمشّطَ رأسَها ، فقال : أيْنَ أبُو الدَّرْداءِ فقالَتْ : خرَجَ أخُوكَ آنِفاً ، فَدَخلَ بيْتَه الّذي كانَ فيهِ الصَّنمُ ومَعَه القَدُوم(٢) فأنْزله وجَعَل يُقَدِّدهُ(٣) فِلذاً فِلذاً ، وهُـو يرْتجز

(١) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١٠٩) .
(٢) آلة للنحت والنجر .
(٣) أى يقطعه .

سِرّاً مِنْ أسْماءِ الشّياطِين كلّها ، ألَا كلّ مَا يُدْعى مَع الله باطلٌ . ثمَّ خَرجَ وسَمِعَت المرأةَ صَوْتَ القَدُوم وهُوَ يَضْرِبُ ذلِكَ الصَّنم فقالَتْ : أهْلكتنى يا بْنَ رَواحةَ ! فَخرجَ عَلَى ذلكَ فَلَم يكُنْ شَىءٌ حَتّى أقْبلَ أبو الدَّرْداءِ إلَى مَنْزِله ، فَدَخلَ فَوجدَ المرأةَ قاعِدةً تَبْكى شَفَقاً مِنه ، فقالَ : ما شَأنُكِ ؟ قال : أخُوكَ عَبدُ الله بنُ رَواحَة دَخَل عَلىَّ فصَنَع ما تَرَى ، فَغَضِبَ غَضَباً شَدِيداً ، ثم فكر فى نَفْسِه فَقالَ : لَوْ كانَ عِنْد هٰذا خَيرٌ لدفَعَ عَنْ نَفْسه ، فانطَلَق حتّى أتَى رَسُولَ الله ﷺ ومعه ابن رَواحَةَ فأسْلَم » أ هـ(٤) .

ــ وأخْرجَ ابْنُ جَريرٍ الطّبرىُّ عن زِيادِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدى قال :

افْتَتَحْنَا الإسكندرية فى خِلافَةِ عُمَر رَضِىَ الله عنهُ – فَذَكَر الحَدِيث ، وفِيه ثمَّ وَقَفنا ببلهيب ، وأقَمْنا نَنْتَظر كِتَابَ عُمرَ حَتّى جاءَ ، فَقَرأهُ عَلَيْنا عَمْرٌو رَضِى الله عنهُ وفِيهِ :

أمَّا بعد ، فإنَّه جاءَنى كِتابُكَ تَذْكُر أنّ صَاحِب الإسْكَنْدرِيَّة عَرَض أنْ يُعْطيكَ الجزيةَ عَلَى أنْ تَرُدَّ عَليه ما أصَبْتَ مِنْ سَبايَا أرْضِه ، ولَعَمْرى الجزْيةَ قائمةً تكونَ لَنَا ولمَن بَعْدَنا مِنَ المسْلِمينَ أحَبُّ إلَىَّ مِنْ فىْءٍ يُقَسّم ثَمَّ كأنه لَمْ يَكُنْ ، فاعْرِضْ عَلَى صَاحِب الإسْكَنْدرِيَّة أنْ يُعْطِيكَ الجِزْيَة عَلَى أنْ تُخَيِّروا مَنْ فى أيْديكم مِنْ سَبيِهم بَيْن الإسْلامِ وبَيْن دِينِ قومهم ، فمن اخْتارَ مِنهم الإسْلَام فَهُو مِن المَسْلِمينَ ، لهُ ما لَهُمْ ، وعليه ما عَلَيْهِم ، ومَنِ اخْتارَ دِينَ قَوْمِهِ وُضِعَ عليه مِنَ الجِزْية ما يُوضَع على أهْلِ دِينه ، فأمّا مَنْ تَفرَّق مِنْ سَبْيِهم بأرْض العَرَب فبَلَغ مَكّة والمدِينَة واليَمَن فإنَّا لا نَقْدِر عَلَى رَدهم ، ولا نُحبُّ أنْ نصالحَهُ عَلَى أمْر لا نفى لَهُ بِهِ .

---

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/٣٣٦) .

قالَ : فَبعثَ عَمرٌو إلَى صاحِبِ الإسْكَندريَّة ، يُعْلمهُ الّذى كَتَب بِهِ أميرُ المؤْمِنينَ . فَقَالَ : قَدْ فَعلْتُ قالَ : فجمعنَا مَا فى أيْدينَا مِنَ السَّبايَا ، واجْتَمعت النَّصارى ، فَجَعلْنا نأتى بالرَّجُل ممَّن فى أيْدينَا ثمَّ نخيِّره بيْن الإسْلام وبيْن النَّصْرانيَّة ، فإذا اختارَ الإسْلام كَبَّرنا تكبيرةً هِىَ أشد من تكبيرنا حين تُفْتحُ القَرْيَة ، قال : ثمَّ نَحوزهُ إلَيْنا ، وإذا اخْتَار النَّصرانِيَّة فَخرتِ النَّصارَى ، ثمَّ حَازُوه إليْهم ، وَوَضَعْنَا عَليْه الجِزْيَة ، وجَزِعْنا مِنْ ذلِـكَ جَزَعاً شَديداً ، حتى كأنَّه رَجُل خَرَجَ مِنَّا إلَيْهم .. قالَ : فكَانَ ذلْكَ الدَّأْبُ حتى فَرَغْنَا مِنْهم ، وقَدْ أتِى فيمَنْ أتِينا بِهِ أبو مَرْيم عَبْدُالله بن عَبْد الرَّحمـٰن .

قال القاسمُ : وقَدْ أدرَكْتُه وهَو عَريفُ بَنِى زُبيْدٍ ، قالَ : فَوَقّفناهُ فَعَرضنا عَليه الإسْلامَ والنَّصرانِيَّة ، وأبُوهُ وَأمّه وإخوتُه فى النَّصَارى فاخْتَار الإسْلامَ فَحُزْناهُ إلينَا وَوثَبَ أبُوهُ وأمُّه وإخوتُه يُجَاذِبونَنَا حتَّى شَقُّوا عَليْه ثِيابَه ، ثمَّ هُوَ اليَومَ عَرِيفُنا كما تَرَى أهـ (٥) .

وأخْرجَ التِّرمِذيُّ والحاكمُ عَنِ الشَّعْبىّ قال : خَرجَ علىٌّ بنُ أبى طَالب رَضِىَ الله عنْهُ إلَى السُّوقِ فَاذَا هُو بنَصْرانىٌّ يَبِيعُ أدْرُعاً ، فَعَرفَ علىٌّ رَضِىَ الله عنْهُ الدرع [عند هذا النصرانى] فَقَال : هٰذِهِ دِرْعِى ، بَيْني وبَيْنَك قَاضِى المسْلِمينَ ، وكانَ قاضِى المسْلِمينَ شُرَيْحاً وكان عَلىٌّ استقضاه ، فلّما رَأى شُريحٌ أمِيرَ المؤْمِنينَ قَامَ مِنْ مَجْلس قضائِهِ وأجْلَس عليًّا فى مجْلِس شُريْح قَدَّامَه إلَى جَنْبِ النَّصرانىِّ ، فقالَ علىٌّ : أمَا يا شُرَيْحُ لوْ كانَ خَصْمى مُسْلماً لَقَعدتُ مَعُه ، ولكنِّى سَمِعتُ رسُولَ الله ﷺ يقُولَ : لا تُصافِحُوهُم ، ولا تَبْدَءُوهم

---

(٥) أخرجه ابن جرير الطبرى (٢٢٧/٤) .

بالسَّلامِ ، ولا تَعُودُوا مَرْضاهُمْ ، ولا تُصَلّوا عَلَيهِم ، وألجِئوهُم إلى مَضَايِقِ الطريقِ ، وصَغِّرُوهُم كما صغرهم الله ، اقْضِ بَيْنِى وبَيْنَه يا شُرَيْح ! فقالَ شُريحٌ : ما تَقُول يا أمِيرَ المُؤمنين ؟ فقالَ على : هٰذِهِ دِرْعِى وقَعَتْ مِنِّى مُنْذُ زَمانٍ ، فقالَ شُريحٌ : ما تَقُول يا نَصْرانىُّ ؟ فقالَ النَّصْرانىُّ : ما أَكْذَبُ أمِيرَ المؤْمِنينَ ، الدِّرْعِ دِرْعِى ، فقَال شُرَيحٌ : ما أَرَى أنْ تخْرُج مِنْ يَدِهِ فَهَل مِنْ بَيِّنةٍ ؟ فقالَ علىٌّ : صَدَقَ شُرَيحٌ .

فَقَالَ النَّصرانىُّ : أمَّا أنا فأَشْهَدُ أنّ هٰذِهِ أحكامُ الأنْبِياءِ ، وأمِيرُ المُؤمِنينَ يَجِىءُ قاضِيه ، وقاضِيهِ يقْضِيه علىَّ ، هِىَ واللهِ يا أمِيرَ المؤْمِنينَ دِرعُكَ ، اتَّبعتُك وقَدْ زَالَتْ عَنْ جَمَلكَ الأوْرق فأخَذْتُها فإنِّى أشْهدُ أنْ لَا إلٰـه إلّا الله وأنّ مُحَمداً رسُولَ الله ، فقال علىٌّ : أمّا إذا أسْلَمتْ فَهِىَ لَكَ وحَملَه عَلَى فَرسٍ أهـ(٦) .

ـــ وعن الحاكِمِ عَنِ الشَّعْبىِّ قال :

ضاعَ دِرْعٌ لِعلىٍّ رضِىَ اللهُ عَنْهُ يَوْم الجَمَل فأصابَهَا رجُلٌ فَباعَها ، فَعُرِفَت عِنْد رَجُل مِنَ اليَهُود فخَاصَمَهُ إلى شُرَيْحٍ فشهد لِعلىٍّ الحَسَنُ ومَوْلاهُ قَنْبرُ ، فقالَ شُرَيح : زِدْنى شاهِداً مكانَ الحَسَن ، فَقَال : أتَرُدُّ شَهادَةَ الحَسَن ؟ قالَ : لَا ، ولٰـكن حَفظْتُ عنْكَ أنَّه لا يَجوزُ شَهادةَ الولد لوالده أهـ .

وأخْرجهُ الحَاكِمُ فى الكُنَى وأبُو نُعَيمٍ فى الحِلْيَةِ مِنْ طَرِيق إبْراهِيم بْنِ زَيدٍ التَّيمىِّ عَنْ أبيه مُطوَّلاً .

---

(٦) انظر حياة الصحابة (٢١٧/١) .

وفى حَديثِهِ : فَقالَ شُرَيحٌ . أمَّا شَهادَةَ مَوْلاكَ فَقَدَ أجزْناها ، وأمّا شَهادةَ ابْنِكَ فَلَا نُجيزُها .

فقالَ عَلى رَضى الله عنهُ : ثَكلَتْك أمُّك ! أمَا سَمِعْتَ عُمَرَ رَضىَ الله عنْهُ يَقُول : قالَ رَسولَ الله ﷺ : « الحَسَنُ وَالحُسَيْن سَيِّدَا شَبَابِ أهْلِ الجَنَّةِ »

ثم قالَ للْيَهودِىّ : خُذِ الدِّرع ، فقَالَ اليهُودىُّ : أميرُ المؤْمنينَ جاء مَعِى إلى قَاضِى المُسْلمينَ فقَضَى عَلَى علىٍّ ورَضِىَ ، صدقت والله يا أميرَ المؤْمِنينَ إنَّها لَدِرْعُك سَقطتْ عَنْ جَمَلٍ لَكَ الْتقطتها ، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، وأنَّ مُحمداً رسول الله ﷺ .

فَوَهَبَها له عَلىٌّ وأجَازَهُ بسبعمائة ، ولَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ صِفِّين أهـ(٧)

○ ○ ○

٢ – الشجاعة

صفة تقال وتُشترى ، وربما تحايل المتحايلون لإثباتها ، ولكن واقعها شديد ألمه على النفس ، ذلك أن يقدم الإنسان حياته بماضيها ومستقبلها وعبئها وما تحويه إلى ربه عز وجل .. ولقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – أشجع الناس وأقدمهم على الموت ، لا نقول هذا من أفكارنا ، ولكنه التاريخ الذى سطر لهم هذا ، وأقلام المؤرخين التى أثبتته لهم بأحرف من نور .

○ ○ ○

---

(٧) كنز العمال (٦/٤) .

أخرجَ البزَّار عن عَليٍّ رضى الله عنه أنه قال :

« أيُّها النَّاسُ ، أخبرونى من أشجَعُ النَّاس ؟ قالوا : أنتَ يا أمير المُؤمِنينَ ! قال : أما إنِّى ما بارَزْت أحداً ، إلا انتصفت[8] منه ، ولكن أخبرونى بأشجع النَّاس ، قالُوا : لا نَعْلم ، فمن ؟ قال : أبو بكْر رضى الله عَنْه ؛ إنه لمَّا كانَ يَومُ بدْرٍ جَعَلْنا لِرسُولِ الله ﷺ عَرِيشاً - فقُلْنا مَنْ يكون مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لِئلَّا يَهْوى إليْهِ أحَدٌ من المشْركين ؟ فوالله ! ما دَنَا مِنْه أحدٌ إلّا أبو بكرٍ شَاهراً بالسَّيْف على رسَول الله ﷺ ، لا يَهْوى إليْهِ أحدٌ إلا أهوى إليه ، فهذا أشْجعُ النَّاس » أهـ .

○ ○ ○

ـــ وأخرجَ ابنُ عَسَاكر عَن عليٍّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه قالَ :

« ما عَلمتُ أحداً هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فإنَّه لما همَّ بالهجرة تقلد سيفه ، وتنكّب[9] قوسَه ، وانْتضى فى يده أسهُماً ، وأتى الكعْبَة - وأشراف قُريشٍ بفنائها - فَطاف سَبْعاً ، ثم صلى ركْعتَيْن عِنْد المقامِ ، ثمَّ أتى حِلَقهم واحَدِةً واحِدَة فقَال : شاهَتِ الوجوهُ ! مَنْ أرادَ أنْ تثكلهُ أمُّه ، أو ييْتم وَلَدُه ، أو ترمِّل زَوْجتَه ! فلْيلقنِى وَراءَ هٰذا الوادِى ، فمَا تَبعهُ مِنْهُم أحدُ » أهـ[10] .

---

(٨) أى أخذت منه حقى كاملاً .

(٩) أى ألقاها على منكبه .

(١٠) كنز العمال (٣٨٧/٤) .

ـــ وأخْرجَ البزَّار عن جابرٍ رَضىَ الله عنهُ قال : دَخَل عليٌّ عَلَى فاطِمة – رضى الله عنهما – يوم أُحُدٍ فقالَ :

أفاطمُ ؛ هَاكِ السَّيف غَيْر وخيم   فلسْتُ بِرِعِدِيدٍ ولا بلَئيم[١١]
لَعمرِى لَقَد أبليتُ فى نَصْر أحمد   ومرضاة ربٌّ بالعِبادِ عَلِيم .

فقال رسولَ الله ﷺ : إنْ كُنتَ أحْسَنْت القِتالَ فَقَد أحْسَنه سَهلَ ابنُ حنيف وابن الصِّمّة – وذكر آخر فنسَبهُ لعلى .

فقالَ جِبريلَ عليه السَّلام – يا محمد – ﷺ – هٰذا وأبِيكَ المُواساة .

فَقالَ رسُولَ الله ﷺ : يا جِبْريلَ – عليه السلام – إنه منِّى فقالَ جِبْريل عَليه السَّلام وأنا منكما » أهـ[١٢] .

○ ○ ○

ـــ وعند الطَّبرانى ، عن ابن عبَّاسٍ رضى الله عنهما قال

دخَل علىٌّ بنُ أبى طالبٍ رضى الله عنه عَلى فاطِمةَ رضى الله عَنْها يوم أُحُدٍ فقال :

★ خُذِي هٰذا السَّيف غَيْر ذَمِيم ★

فقالَ النبىُّ ﷺ : لَئِن كنْتَ أحْسَنت القتالَ لَقَد أحْسَنه سَهْل بنُ حُنَيْف وأبو دُجَانَةَ سماك بن خَرشة » أهـ[١٣] .

○ ○ ○

---

(١١) أى الجبان الكثير الارتعاد .

(١٢) قال الهيثمى (١٢٢/٦) وفيه يعلى بن عبد الرحمن الواسطى وهو ضعيف جداً ، وقال ابن عدى فى الكامل : أرجو أنه لا بأس به » أهـ .

(١٣) قال الهيثمى (١٢٣/٦) رجاله رجال الصحيح .

وبَعْد :

فقد رأينا أن نَعْرِضَ مَواعظَهم وكلامَهُم وحَدِيثَهم لما عِنْدهُم مِنَ العلمْ وما لَهُم مِنَ الفَضْلِ ولتكوين نُفوسهم وعقُولهم والقدرة الرفيعة عندهم .

فَلَيس هُناكَ من يماثِلَهم فى علم أو فصاحة ، ولَيْس هُناك مَنْ يُحاكِيهم فى أدبٍ أو عِبادَةٍ .

إنَّهم أصحابُ رسول الله ﷺ .

الفصل الثانى

الخطب

الخطــب

موقف رهيب ..

ــ يجْتمعُ الناسُ لِرؤيته فيسمعونِ وينْصِتُون ويحْفظُونَ ويفْهمون ، الكلّ يَعْلم هَيْئَتهُ إنْ كانَتْ رثّة أو غيرها ..

صَعِدَ عُمرُ بنُ الخطّابِ رِضى الله عنه المِنْبر فقالَ : أيُّها الناسُ :

اسْمَعوا وأطِيعُوا » فانْبرى لهُ سَلْمان الفارِسيُّ ذلكَ العَبْد الّذي أعزّهُ الإسْلامُ وقال يا عُمَر : والله لا نَسْمعُ والله لا نَسْمَع ، قال : لِمَ ؟ قالَ : بالأمْسِ وزَّعْتَ عَلَينا الغَنائمَ وأخذ كلّ مِنّا ثَوباً والآن نَراكَ تلْبسُ ثَوبَيْن ، من أيْنَ لَكَ بالثانى ؟ فأشارَ إلى ابنهِ عَبْدالله فقال ابْنه : هُوَ ثَوْبى أعْطيتُه إيَّاه لأنّ ثوبهُ من الغَنائِم قَصيرٌ لا يَستُره .

لَقد رَصدَ سَلْمان الثَّوبين ، ولَوْ كانَ عمرُ فى مَوْقِف غَير هٰذا لما استَطاعَ سَلْمانَ أنْ يرصدَهُ قَبْلَ أنْ يمْضى بَعْضُ الوَقْتِ ، لذا فإنّ الخطيبَ يَسْتجمعُ كلّ ما يملَك مِنْ قوىً لِيُلقى خُطبتَه آملاً أن يَسْمعها الناسُ ..

خطب أبى بكر الصديق رضى الله عنه

١ - لما قَبضَ رسُولَ الله ﷺ[١] ذهل الناسُ ذُهولاً عَظيماً ، واخْتلطَ عَليهِمْ أمْرهُم ، واضْطَربَ حالُهم ، حتَّى إنّ عُمرَ بنَ الخَطّاب - وهُو الطّودُ العَظِيم - اختلط وصارَ يقولُ : إنّ رسُولَ الله ﷺ لا يمُوتُ حتَّى يَفْنى المنافقون وتَهدَّد مَنْ قالَ : إنَّه قُبِضَ ، وسَلّ سَيْفَهُ وقَالَ : مَنْ قالَ إنّ مُحمداً قد مَاتَ ضَربْتُ عُنُقَه ، وأُقْعِدَ على وأُخْرسَ عُثمان رَضِىَ الله عنْهُم وأُضْنِىَ[٢] عَبدُالله بن أُنَيس ، ولَمْ يَكُن فى الصَّحابَة أثْبتُ مِنْ أبى بَكْرٍ الصِّدِّيق ، والعَبَّاسِ عَمِّ الرَّسُول ﷺ .

قالَتْ عائشَةَ : ماتَ رسُولَ الله ﷺ وأبُو بكْرٍ بالسُّنح[٣] ، فقامَ عُمرُ يقول : والله ما مات رَسُولَ الله ﷺ ولَيبْعثَنَّهُ الله فَلَيُقَطِّعَنَّ أيْدِيَ رِجالٍ وأرْجُلَهم ، فجاءَ أبُو بكرٍ فكَشَفَ عَن رسُولِ الله ﷺ وقبَّله وقالَ : بأبِي أنْتَ

---

(١) كان ذلك يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، والموافق الثامن من شهر يونيو سنة ستمائة واثنتين وثلاثين ميلادية .
(٢) أى أصيب بالضنا ، وهو مرض يتولد من وجع القلب ولم يزل رضى الله عنه مصاباً به حتى مات سنة أربع وخمسين من الهجرة .
(٣) السُّنح : بضم فسكون : موضع قرب المدينة كان به مسكن الصديق رضى الله عنه .

وأمّي طِبْتَ حيًّا ومَيتا ، والّذي نَفْسي بِيَده لا يُذِيقنَّكَ الله المَوْتَتَيْنِ أبداً ، ثم خَرَجَ فقالَ : أيُّها الحالِفُ عَلى رِسْلِكَ ، فلمَّا تكلّم أبُو بكرٍ جَلَسَ عُمرُ ، فحمِدَ الله أبُو بكرٍ وَأثنى عَليهِ وقَالَ : « ألا مَنْ كَانَ يَعبُدُ مُحمَّداً فإن مُحمّداً قَدْ ماتَ ، ومَنْ كانَ يعْبُد الله فإنّ الله حيٌّ لا يموتُ ، وقالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[4] وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[5] . قالَ : فَنشَجَ[6] الناسُ يبْكُونَ » أهـ[7] .

○ ○ ○

٢ — ورَوَى أبُو سَلَمة ، عنِ ابْن عباسٍ أنّ أبَا بكرٍ خَرجَ وعُمر بنُ الخطّاب يُكلِّم الناس فقَال : اجلِسْ يا عُمر ، فأبَى عُمر أنْ يجْلسَ ،، فأقْبَل النَّاسُ إليْه وتركُوا عُمَر فقالَ أبو بكْرٍ .

« أما بعْد : مَنْ كانَ مِنْكم يعْبُد مُحمَّداً فإنّ مُحمداً ﷺ قَدْ ماتَ ، ومَنْ كانَ مِنْكَم يَعبُد الله فإنّ الله حيٌّ لا يمُوتُ ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ إلى ﴿ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[8] .

---

(٤) ٣٠ : الزمر .
(٥) ١٤٤ : آل عمران .
(٦) نشج الباكي ينشج من باب ضرب ، غص بالبكاء بلا صوت .
(٧) فتح الباري (٢٠/٧) .
(٨) ١٤٤ : آل عمران .

قالَ ابنُ عباسٍ : واللهِ لكأنَّ النَّاسَ لم يعْلَمُوا أنَّ اللهَ أنْزَلَ هٰذِهِ الآيةَ حتَّى تَلاهَا أبُو بكْرٍ ، فتلَقّاها النَّاسُ منْهُ كلّهم فما أسْمَعُ بَشَراً مِنَ النَّاسِ إلّا يتْلُوها ، وقالَ عُمر : واللهِ ما هُوَ إلّا أنْ سَمِعتُ أبا بكرٍ تَلاهَا فعُقِرْتُ حتَّى ما تُقِلّني رِجْلاىَ وحتَّى أهْوِيتُ إلَى الأرْضِ حِينَ سَمعتُه تلاها وعَلمتُ أنّ النبى ﷺ قَدْ ماتَ » أ هـ(٩) .

○ ○ ○

يوم الخلافة :

٣ – عَنْ عُروةَ قالَ : لما وُلّى أبو بكرٍ خَطَب النَّاسَ فَحَمِدَ اللهَ وأثْنى عَلَيهِ ثمَّ قال : « أمَّا بَعْد أيُّها الناسُ ! إنِّى وُلِّيتُ أمْرَكم ولسْتُ بِخيْرِكَم ، ولكِنْ نَزَلَ القَرآن وسَنَّ النَّبى ﷺ السُّنَنَ فعَلمنا أنّ أكْيَسَ الكَيس التُّقَى ، وأنَّ أحْمَقَ الحُمْق الفُجُور ، وأنّ أقْواكَم عِنْدى الضَّعِيفُ حتَّى آخُذَ لَهُ بحقّه ، وأنَّ أضْعَفَكَم عِنْدى القَوىُّ حتَّى آخُذَ مِنه الحقَّ ، أيُّها النَّاسُ ، إنَّما أنا مُتَّبِعٌ ولسْتُ بِمُبتدع فَانْ أحْسَنْتُ فأعِينُونِى وإنْ زُغْتُ(١٠) فقوِّمونى ، أقول قَوْلى هٰذا وأسْتَغفرُ اللهَ لِى ولكَم » أ هـ(١١) .

○ ○ ○

(٩) فتح البارى (١٠٢/٨) .

(١٠) زغت : أى عدلت عن الطريق .

(١١) كنز العمال (١٣٠/٣) والحديث أخرجه ابن سعد والمحاملى عن عروة .. كذا فى الكنز ، وانظر البداية والنهاية (٣٠١/٦) ، وتاريخ الكامل (١٢٦/٢) ، والحمق الوارد بضم فسكون وبضمتين : قلة العقل ، والكيس : بفتح فسكون ضد الحمق .

فى ثانى يوم البيعة :

٤ – وخَطَب رَضِىَ الله عنهُ فى ثانِى يومِ البَيْعة ، فحمِدَ الله وأثْنَى عَلَيهِ ثمَّ قَالَ :

« أيُّها النَّاسُ إنَّما أنَا مِنكَم ، وإنِّى لا أدرِى لَعَلَّكم سَتُكلِّفونى مَا كانَ رسُولَ الله ﷺ يُطيقُ ، إنّ الله اصْطَفى مُحمداً على العالَمينَ ، وعَصَمه من الآفاتِ ، وإنّما أنَا مُتَّبعٌ ، ولسْتُ بِمبتدع ، فإنَ اسْتَقَمتُ فتَابعُونى ، وإنْ زُغْتُ فقوِّمُونى ، وإنّ رَسولَ الله ﷺ قَبِضَ ولَيسَ أحدٌ مِنْ هٰذه الأمَّة يطلبه بمظلمة ضَربةِ سَوْطَ فما دُونَها ، ألَا وانّكَم تَغْدُونَ وترُوحُونَ فى أجَلٍ قَدْ غُيِّب عنْكَم عِلْمه ، فإن استَطعْتم ألّا يمْضى هٰذا الأجَل إلّا وأنْتُم فى عَملٍ صَالح فافْعلَوا ، ولَنْ تستْطيعُوا ذلكَ إلّا بالله ، فَسَابقوا فى مَهْل آجالِكَم مِنْ قَبْل أنْ تُسْلمكم آجالَكَم إلى انْقطاعِ الأعْمال ، فإنْ قَومٌ نَسُوا آجالَهُم وجَعلوا أعْمالَهُم لِغَيرهم ، فايَّاكَم أنْ تكَونُوا أمْثالَهُم ، الجدَّ ، الجِدَّ ، والنجاءَ ، النجـاءَ والوَحَا الوَحَا[١٢] فإنّ وراءكَم طالباً حَثيثاً أجلًا مرُّه سَريعٌ ، احْذَروا الموتَ واعْتبروا بالآباءِ والأبْناءِ والإخْوان ولا تغْبِطُوا الأحْياءَ إلا بما تغبطونَ به الأمْواتَ » أ هـ[١٣] .

○ ○ ○

---

(١٢) النجاء والوحا : الإسراع ، يقال وحى وتوحى : أسرع .
(١٣) ذكره ابن كثير (٣٠٣/٦) البداية والنهاية ، والطبرى فى تاريخه (٢١١/٣) .

الإخلاص والاعتبار :

٥ - وفى البداية والنهاية أنه خطب الناس فحمِد الله وأثْنَى عَليْه ثم قالَ :

« إنّ الله لا يقْبل مِنَ الأعْمال إلّا ما أُرِيد به وَجْهُه ، فأريدوا الله بأعْمالِكم ، واعلَموا أنّ ما أخْلصتُم لله مِنْ أعْمالِكم فطَاعةٌ أتيتموها وحَظٌّ ظفِرْتُم بِهِ وضَرائبُ أدَّيتُموها ، وسَلَفَ قَدَّمتوهُ مِنْ أيَّامٍ فانِيةٍ لأخرى باقِيَةٍ لحين فَقْرِكُم وحَاجَتكُم ، اعْتَبروا عِبادَ الله بمَنْ ماتَ مِنكُم وتفكّرُوا فيمن كانَ قبْلكم ، ، أيْنَ كانُوا أمْسِ ؟ وأيْن هُم اليَوْم ؟ أين الجبَّارُونَ الّذِين كانَ لَهُم ذِكْر القِتالِ والغَلَبةِ فى مواطن الحروب ؟ قد تَضَعْضع بِهم الدَّهْر وصارُوا رَميماً ، قد تُرِكَتْ عليهمُ القَالاتُ الخَبيثاتُ ، إنَّما الخَبيثاتُ للخَبيثينَ ، والخَبيثُونَ للخَبيثات ، وأيْن الملُوكُ الّذينَ أثارُوا الأرْضَ وعَمرُوها ؟ قَدْ بَعدُوا ونُسِىَ ذِكْرُهم وصارُوا كَلَا شَىْءَ ، ألَا وإنّ الله عَزَّ وجَلّ قَدْ ألْقَى عَليهم التَّبعات ، وقَطَع عَنْهم الشَّهوات ، وقَضوا والأعْمال أعْمالهُم والدُّنيا دُنْيَا غيْرهم ، وبَقِينا خَلفاً بَعْدهم ، فإنْ اعْتَبرنا بِهِم نَجوْنا ، وإنِ اغْتَرَرْنا كُنَّا مِثْلَهُم ، فأيْنَ الوِضاءُ(١٥) الحَسَنةُ وجُوهُهُم المعْجبُونَ بشبَابِهِم ؟ صارُوا تُراباً ، وصَارَ ما فرطُوا فِيهِ حَسْرةً عَليْهم ، أيْنَ الّذِينَ بَنَوُا المَدَائِنِ وحَصّنُوهَا بالحَوائِطِ ، وجَعَلُوا فِيها الأعَاجِيبَ ؟ قَدْ تَركُوها لِمنْ خلفَهم ، فَتِلكَ مَساكِنُهم خَاوِيةٌ وهُمْ فى ظُلماتِ القُبور ، هَلْ تحسُّ منْهُم مِنْ أحَدٍ أوْ تَسْمعُ لِهم رِكْزاً(١٦) .

---

(١٤) القالات : جمع قالة وهى والقيل والقال والقول بمعنى واحد .

(١٥) الوضاء : بكسر الواو جمع وضىء وهو الحسن والنظيف .

(١٦) الركز : بكسر فسكون : الصوت الخفى .

أينَ مَنْ تَعْرفونَ مِنْ آبائِكَم وإخوانِكم ؟ وقَدِ انْتهتْ بهم آجالُهم فووروا عَلَى ما قَدَّموا فَحلّوا عَلِيْهِ ، وأقَامُوا للشّقوةِ أو السَّعَادَة فِيما بَعْد الموْتِ ألا إنّ الله لا شَرِيكَ لهُ ، لَيس بيْنَه وبَيْن أحدٍ مِنْ خَلْقِه سَببٌ يُعطيه به خَيراً ، ويَصْرِفُ بِهِ عَنْه سُوءاً إلا بِطاعَته واتّباع أمْره ، واعْلمُوا أنّكم عَبيدٌ مَدينُونَ ، وأنّ ما عِندَه لا يُدركُ إلّا بطَاعَته ، أما آنَ لأحدِكَم أنْ تُحْصر[17] عنهُ النَّارُ ولا تَبْعُد عنْهُ الجَنَّة » أ هـ[18] .

○ ○ ○

الحث على العمل والإخلاص :

٦ – قالَ نُعَيْم بن نمحة : خَطَب أبُو بكرٍ فكانَ مِنْ قَوْله :

« أمَا تَعْلَمونَ أنّكمُ تَغْدُون وتَرُوحُون لأجَلٍ مَعْلومٍ ، فمَن اسْتَطاع أنْ يَقْضِي الأجَلَ ، وهو فِي عَمل الله عَزَّ وجلّ فلْيفعَلْ ، ولَنْ تَنالُوا ذلِـكَ إلّا بالله تَعالَى ، وإنّ قَوماً جعَلوا آجَالَهم لِغَيْرهِم ، فَنهاكَم الله أنْ تكَونُوا أمْثالَهُم ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[19] أيْنَ مَنْ تعْرفُون مِنْ إخْوانِكم ؟ قَدِمُوا عَلَى ما قَدمُوا فى سالِفِ أيَّامِهِم ، وحَلّوا بالشّقْوةِ والسَّعَادَة ، أيْنَ الجبَّارُون الأوَّلُونَ الّذِينَ بَنوا المدائِن وحَصنُّوها بالحَوائِط[20] ؟ قَدْ صَارَ تَحْت الصُّخُور والآبار . هٰذا كتابُ الله لا تَفْنَى عجائبُهُ ، فاسْتَضيئُوا

---

(١٧) أى تبعد .

(١٨) ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٣٠٣/٦) والطبرى فى تاريخه (٢١١/٣) .

(١٩) الحشر آية ١٩ .

(٢٠) جمع حائط وهو البستان .

منه ليومِ ظُلْمةٍ ، واستَضيئُوا بسَنائِه وبَيَانِه . إن الله أثْنى على زَكريَّا وأهْلِ بيْته فقال : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(٢١) لا خَيرَ فى قولٍ لا يُرادُ به وجْه الله ، ولا خَيرَ فى مال لا يُنْفقُ فى سَبيلِ الله ، ولا خَيرَ فيمَن جَهْله حِلْمه ، ولا خَيرَ فيمَنْ يخافُ فى الله لَوْمةَ لائمٍ » أ هـ(٢٢) .

○ ○ ○

التقوى والامتثال :

٧ – عن موسى بن عقبة أن أبَا بكر خَطَب فقال :

« الحمدُ لله ربِّ العَالَمينَ ، أحْمدُه وأستَعينهُ وأسْألُه الكَرامَة فِيما بَعْد المْوتِ : وأشْهد أنْ لا إلَهَ إلّا الله وحْدَه لا شَريكَ لهُ ، وأنّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسُولَه ، أرْسَله بالحقِّ بَشيراً ونَذِيراً وسِراجاً مُنيراً ﴿ **لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الكَافِرِين** ﴾(٢٣) مَنْ يُطِع الله ورَسُولَه فَقَد رَشَدَ ، ومَنْ يَعْصِ الله ورَسُولَه فقَدْ ضَلّ ضَلالاً مُبيناً .

أوصِيكَم بَتقْوى الله والاعْتِصامِ بأمْرِ الله الّذى شَرَعَ لكُم وهَداكُم به ، فإنَّه جَوامِع هُدىً للإسْلامِ بَعْد كَلمة الإخْلاصِ . السَّمْع والطَّاعَة لَمنْ ولّاه الله

---

(٢١) ٩٠ : الأنبياء .

(٢٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره (٣٠٥/٨) ، وقال : هذا إسناده جيد ورجاله ثقات ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٨٩/٢) .

(٢٣) ٧٠ : يس .

أمْرَكَم ، فإنَّه مَنْ يُطِع وليَّ الأمْر بالمعْرُوف والنَّهى عَنِ المُنْكر فَقدْ أفلَح وأدَّى الّذِى عَلَيه مِنَ الحَقّ وإيَّاكَم واتِّباعَ الهَوَى ، فَقَد أفْلح مَنْ حُفِظَ مِنَ الهَوَى والطَّمَع والغَضَب ، وإيَّاكِم والفَخر ، وما فَخْرَ مَنْ خُلِقَ مِنْ تُراب ثُمَّ إلَى التُّرابِ يَعودُ ، ثمَّ يأكلَه الدُّودُ ثمَّ هُو اليَومَ حَىٌّ وغداً ميِّتٌ ؟ فاعْملُوا يَوماً بيَومٍ ، وساعةً بِسَاعَةٍ وتَوَقَّوْا دُعاءَ المظْلَوم وعُدُّوا أنْفُسَكم فى الموتَى ، واصْبرُوا فإنَّ العَمَل كلّه بالصَّبْر ، واحْذروا فالحَذَرُ ينْفَعُ واعْمَلوا فالعَمَلَ يُقْبَل ، واحْذَروا ما حَذركَم الله من عَذَابِهِ ، وسارِعُوا فيما وَعَدكم الله مِنْ رَحْمتِهِ ، وافْهمُوا تفْهمُوا واتَّقوا تتقّوا ، وإنّ الله قَدْ بيَّن لكَم ما أهْلَكَ بهِ مَنْ كانَ قَبْلكَم ، وما نَجَا بِهِ مَنْ نجا قبْلكَم ، قَدْ بَيَّن لكَم فى كِتابهِ حَلالَهُ وحَرامه وما يُحبُّ مِنَ الأعمَالِ وما يكرهُ ، واعْلمُوا أنكَم ما أخْلَصتم لله من أعْمالِكم فربكم أطَعْتُم ، وحَظَّكَم حَفِظْتُم واغْتَبطتُم ، وما تَطوَّعْتُم بهِ فاجْعَلُوه نَوافِلَ بين أيْدِيكَم تَستَوفُوا بِسَلفكَم ، وتُعْطَوْا جَزاءَكَم حِينَ فَقْرِكَم وحَاجتكَمْ إلَيْها ، ثمَّ تفكَّرُوا عِبادَ الله فى إخْوانِكَم وصَحابَتِكَم الّذينَ مَضَوا ، قَدْ ورَدُوا عَلَى ما قدمُوا فأقَامُوا عَليْه ، وأُحِلُّوا فى الشَّقَاء والسَّعَادَةِ فيما بَعْد الموْتِ . إنّ الله لَيسَ لهُ شَرِيك ولَيسَ بَيْنه وبَيْن أحدٍ مِنْ خَلْقه نَسبٌ يُعْطِيه به خيراً ، ولا يَصْرِفَ عَنْه سُوءاً إلّا بِطَاعَتِهِ واتِّباع أمْرِهِ ، فإنهُ لا خَير فى خَيرٍ بَعْده النَّار ، ولا شَرَّ فى شرٍّ بَعْدهُ الجنَّة ، أقول قَوْلى هٰذا وأسْتَغْفرُ الله لِى ولكَم ، وصلّوا عَلى نَبِيِّكَم مُحمدٍ ﷺ ، والسلام عليْكَم ورحْمَة الله وبركاته »أ هـ(٢٤) .

○ ○ ○

(٢٤) أخرجه ابن أبى الدنيا وابن عساكر ، انظر كنز العمال (٢٠٦/٨) .

خطب جامعة للصدّيق رضى الله عنه :

٨ – عَنْ عَبدِ الله بنِ عَليم قالَ : خَطبَنا أبو بكرٍ رضى الله تعالى عنه فقالَ :

« أمّا بعدُ : فإنّى أوصيكم بتقوى الله وأن تُثنوا عَليه بما هُو لَهُ أهْلٌ ، وأنْ تخلطُوا الرَّغبة بالرَّهْبة ، وتجْمعُوا الإلْحاف(٢٥) بالمسْألَة ، فإنّ الله تعالى أثْنى عَلَى زكريَّا وعَلَى أهْل بيْتهِ فقالَ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾(٢٦) ، ثمَّ اعْلمُوا عِبادَ الله أنّ الله تعالَى قَدِ ارْتَهن بحقّهِ أنفُسَكم وأخَذَ عَلى ذلِـك مَواثِيقكُم واشترى مِنْكُمُ القَليلَ الفانِى بالكَثِير البَاقِى ، وهٰذا كِتابُ الله فيكم لا تَفْنى عجائِبُه ولا يُطفَأ نُورهُ ، فَصدِّقوا قَوْلَه وانْتصحُوا كِتابَه واسْتبصرُوا فيه لِيْوم الظُّلمةِ ، فإنَّما خَلَقكَم للْعِبادَة ، ووَكّل بِكُم الكِرامَ الكَاتِبينَ ، يعْلمُون ما تَفْعلُون ، ثم اعْلموا عِبادَ الله أنكَمْ تَغْدونَ وترُوحُون فى أجَل قَدْ غُيِّبَ عنكُمْ عِلْمه ، فإن اسْتطعتُم أنْ تَنقَضىَ الآجَالُ وأنْتم فى عَملِ الله فافْعلوا ، ولَنْ تَسْتطيعُوا ذلك إلّا بالله ، فسَابقُوا فى مَهَل آجالِكَم قَبْل أنْ تنقضِىَ فَيَرُدّكَم إلَى أسْوأ أعْمالِكَم ، فإنّ أقْواماً جَعلوا آجالَهُم لِغيْرِهِم ونَسُوا أنْفسهم ، فأنْهاكَم أنْ تكُونوا أمْثالَهم ، الوَحَا الوَحَا ، النَّجاء النَّجاء(٢٧) ! إنّ ورَاءَكم طَالِباً حَثيثاً ، أمْرُه سَريعٌ » أهـ(٢٨) .

---

(٢٥) الإلحاف : أى الإلحاح .

(٢٦) الأنبياء : ٩٠

(٢٧) أى السرعة السرعة .

(٢٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣٥/١) ، وأخرجه أيضاً ابن أبى شيبة وهناد والحاكم والبيهقى ، انظر كنز العمال (٢٠٦/٨) .

٩ – عَنْ يَزيد بْن هارُونَ قالَ : خَطبَ أبُو بكرٍ الصِّديقُ فقال :

« يُؤتى بعَبدٍ قَدْ أنْعمَ اللهُ تعالى عَليْه فيقالُ لهُ : ماذَا عَمِلْت لِيومكَ هٰذا . وما قَدَّمتَ لنَفسكَ ؟ فَلا يَجدُه قَدَّم خَيراً ، فيَبْكى حتَّى تَنْفد الدُّمُوع ، ثمَّ يُعيَّر فيخْزَى بما ضَيَّعَ من طَاعةِ الله فَيبكِى الدَّمَ ، ثم يُعيَّر ويخْزَى حتى يأْكُلَ يَدَيْهِ إلى مِرْفَقَيْهِ ، ثمَّ يُعيَّر فيُخزى بما ضيَّع مِن طاعة الله ، فينْتَحِب حتى تسقُط حَدَقتاهُ على وجْنتَيهِ ، وكُل واحدة مِنْهُما فرسَخٌ فى فَرْسخ ، ثمَّ يُعيَّر ويُخْزَى حتى يقول : ياربِّ !! ابعثْنى إلى النَّار وارْحَمنى من مَقامى هٰذا ، وذلِكَ قوله : ﴿ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢٩) » أهـ(٣٠) .

○ ○ ○

١٠ – عَنْ عُروةَ بنِ الزُّبيرِ ، عن أبيهِ أنّ أبَا بكرٍ رَضىَ الله عنْهُ خطَب النَّاس فَقالَ :

« يا مَعْشَرَ المُسلِمِينَ ، استَحيُوا مِنَ الله عَزَّ وجلّ ، فَوالّذِى نَفْسى بِيَده إنّى لأظلّ حِين أذْهبُ إلَى الغَائِطِ فى الفَضَاءِ مُتَقنِّعاً بثوْبِى استِحياءً مِنْ ربِّى عَز وجلّ » أهـ(٣١) .

○ ○ ○

---

(٢٩) التوبة : ٦٣

(٣٠) أخرجه أبو الشيخ ، كذا فى كنز العمال (١/٢٤٦) .

(٣١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٣٤) .

١١ – عَنْ أوسٍ قالَ : خَطَبنا أبو بكرٍ الصِّدِّيق فقَالَ : « قامَ فِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ مَقامِى هٰذا عامَ أولَ فقَالَ : سَلُوا اللهَ المعَافَاة – أو قالَ : العَافيةَ فإنَّهُ لَمْ يُعطَ أحدٌ قطّ بَعْد اليَقينِ أفْضلَ مِنَ العافِية – أوْ : المعافاةِ – وعليْكُم بالصِّدْق فإنَّهُ معَ البرِّ وهُمَا فى الجنَّةِ ، وإيَّاكُم والكَذبَ ؛ فإنَّهُ مَعَ الفُجورِ وهُما فى النَّارِ ، لا تَحاسَدُوا ولا تَباغَضُوا ولا تَقَاطَعُوا ولا تَدابَرُوا وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخوانا كَما أمَرَكُم اللهُ » أهـ(٣٢) .

○ ○ ○

١٢ – عن أبى بكر بْنِ مُحمدِ بْنِ عَمْرو بنِ حَزْم قالَ :

خَطَبَ أبو بكرٍ الصِّديقُ فقالَ : « قالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ :

تَعوَّذُوا باللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفاقِ ، قالُوا : يا رَسُولَ اللهِ وما خُشُوعُ النِّفاقِ ؟ قالَ : خُشُوعُ البَدَن ونِفاقُ القَلْب » أهـ(٣٣) .

١٣ – وعَنْ أبى العَالية قال : خَطَبنا أبو بكرٍ الصِّدِّيق فقال « قال رسول الله ﷺ :

للظَّاعِنِ رَكْعتَانِ وللمُقيم أربعٌ ، مَوْلِدِى بمكّةَ ، ومهاجرى بالمدينَة ، فإذا خَرجْتُ مُصْعداً مِنْ ذِى الحُليفَة(٣٤) صَلّيت ركْعَتينَ » أهـ(٣٥) .

○ ○ ○

(٣٢) أخرجه أحمد والنسائى وابن حبان والحاكم ، كذا فى الكنز (٢٩١/١) .
(٣٣) أخرجه الترمذى والعسكرى والبيهقى ، كذا فى كنز العمال (٢٢٩/٤) .
(٣٤) الحليفة : بالتصغير ، وذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة ، وهومن مياه جشم بينهم وبين بنى خفاجة من عقيل .
(٣٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية وابن جرير عن أبى العالية ، كذا فى الكنز (٢٣٩/٤) .

١٤ – عَنَ أبى ضَمْرة قالَ : خَطَب أبو بكرٍ فَحَمِد الله وأثْنَى عليْه ثمَّ قالَ :

« إنَّه سَيُفْتح لكَم الشَّامُ فتَأتُون أرضاً رَفيقةً فَتَشْبعُون فيهَا الخُبْزَ والزَّيْت وستُبْنى لكَم فِيها مَساجِد ، وإيَّاكَم أنْ يعلَم الله مِنكَم أنَّكَم تأتُونَها تلهِّياً ! إنَّما بُنِيتْ للذِّكْر » أهـ(٣٦) .

○ ○ ○

١٥ – عَنْ أنسٍ رَضىَ الله عنْه قالَ : كانَ أبُو بكْرٍ رَضىَ الله عنْه يخْطُبنَا فيذْكَر بَدْء خَلْق الإنْسانِ فيقُول : « خُلِقَ مِنْ مَجرى البَوْل مرَّتَيْن فَيذْكَر حتَّى يتقذر أحدُنا نَفْسَه » أهـ(٣٧) .

○ ○ ○

١٦ – وخَطَب أبُو بكرٍ رَضىَ الله عنهُ فقالَ :

« الحمْدُ لله أحْمدُهُ وأسْتَعينُه وأسْتَغْفرُه ، وأومنُ بِهِ وأتوكَّلَ عَليْه ، وأسْتَهدى الله بالهُدى ، وأعُوذ به مِنَ الضَّلالةِ والرَّدَى ومِنَ الشَّكِّ والعَمَى ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾(٣٨) .

وأشْهدُ أنَ لا إلـٰه إلّا الله وحْدَه لا شَرِيكَ لَهُ ، له المُلْك ولَه الحَمْد يُحْيى ويُميتُ وهُوَ حَىٌّ لا يمُوتُ ، يُعزُّ مَنْ يَشاءُ ويذل مَنْ يَشاءُ بِيَدهِ الخَيْر وهُوَ عَلى كلِّ شَىءٍ قديرٌ .

---

(٣٦) أخرجه أحمد فى الزهد عن أبى ضمرة ، كذا فى الكنز (٢٥٩/٤) .
(٣٧) أخرجه ابن أبى شيبة ، كذا فى كنز العمال (٢٠٥/٨) .
(٣٨) ١٧ : الكهف .

وأشهدُ أنّ مُحمداً عَبدُه ورَسُولُه ، أرْسَلَه بالهُدَى ودِين الحَقّ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(٣٩) – إلى النَّاسِ كَافَةً رحْمةً لَهُم وحُجةً عَليْهم ، والنَّاسُ حِينئذٍ عَلى شَرِّ حالٍ فى ظُلماتِ الجَاهلِّية ، دينُهم بِدْعَة ، ودَعْوتُهم فِرْيَة ، فأعزَّ الله الدِّينَ بمحمَّدٍ ﷺ ، وألّف بَيْن قُلوبكُم ، أيها المؤْمنُونَ فأصبَحْتم بِنعْمته إخواناً ، وكُنْتم عَلَى شَفَا(٤٠) حُفْرةٍ مِنَ النَّارِ فأنْقَذَكُم مِنْها ، كَذلِكَ يُبيِّنُ الله لَكُم آيَاتِهِ لَعلكُم تَهْتدُونَ ، فأطِيعُوا الله ورسُولَه .

فإنه قال عز وجل : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (٤١) .

أمّا بَعْد ..

أيُّها النَّاسُ : إنّى أوصِيكُم بتَقْوَى الله العَظيم فى كلّ أمْر ، وعلَى كُلّ حالٍ ، ولزُوم الحقِّ فيما أحْبَبْتُم وكَرِهْتُم ، فإنَّه لَيسَ فِيما دُون الصِّدْق مِنَ الحَدِيث خيرٌ ، ومَنْ يكذِب يَفْجرُ ، ومَنْ يَفجُر يهْلَك ، وإيَّاكُم والفَخْر ، ومَا فَخْرُ مَنْ خُلِقَ مِنَ التُّرابِ وإلى التُّرابِ يَعُود ؟ هُو اليَومَ حَىٌّ وغداً مَيِّتٌ . فاعْملُوا وعدُّوا أنْفسَكم فى المْوتَى ، ومَا أشْكل عَلَيْكم فردُّوا عِلْمهُ إلَى الله وقدِّمُوا لأنْفسكُم خَيراً تجدوهُ مُحْضراً ، فإنَّه قالَ عزَّ وجلّ :

---

(٣٩) الصف : ٩

(٤٠) الشفا : الحافة والطرف ، أى كنتم على طرف حرف من النار فأنقذكم الله منها بالإيمان .

(٤١) ٨٠ : النساء .

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٤٢) .

فاتَّقوا الله عِبادَ الله ورَاقبُوه ، واعْتبرُوا بَمنْ مَضَى قَبْلكُم ، واعْلَمُوا أنَّهُ لابُدَّ مِنْ لِقَاءِ ربّكُم ، والجَزاءِ بأعْمالِكم صَغيرِها وكَبيرِها إلّا ما غَفَر الله ، إنَّه غفورٌ رَحيمٌ ، فأنْفُسَكم ، أنفسكم ، والمسْتَعانُ الله ، ولا حَوْل ولا قوَّةَ إلّا بالله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٤٣)

اللهُمَّ صلِّ عَلى مُحمّد عَبْدِك ورَسُولِك أفْضَل ما صَلّيتَ عَلَى أحد مِنْ خَلْقكَ وزكّنا بالصَّلاةِ عَلَيْه وألْحِقْنا بِهِ واحْشرنا فى زُمْرَتِه وأوْرِدْنا حَوضَهُ ، اللّهُم أعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ ، وانْصُرْنا عَلَى عَدُوِّك » أهـ (٤٤) .

○ ○ ○

---

(٤٢) ٣٠ : آل عمران .

(٤٣) ٥٦ : الأحزاب .

(٤٤) ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد (٢/٣٦٠) .

خطب الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه

التقوى والأمر بالمعروف

١٧ - خَطبَ عُمَر يَوْماً فقالَ :

« أيُّها النَّاسُ ، اتَّقُوا الله فى سَرِيرَتِكُم وعَلانِيتِكُم ، وأْمُروا بالمعْرُوف وانْهَوْا عنِ المنْكَرِ ، ولا تكَونُوا مِثْل قَومٍ كانُوا فى سَفِينةٍ فأَقْبَل أَحَدُهُم عَلَى مَوْضِعٍ يخْرِقَهُ فَمنَعُوه فقالَ : هُوَ مَوْضِعى وَلى أن أحْكَم فِيهِ ، فإنْ أَخَذُوا عَلَى يَدِه سَلِمَ وسَلِمُوا ، وإنْ تَركَوهُ هَلكَ وهلكَوا ، وهٰذا مثلٌ ضَربْتُه لكُم رَحِمنَا الله وإيَّاكَم » أهـ(٤٥) .

○ ○ ○

(٤٥) ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد (٣٦٢/٢) .

والمثل أخذه رضى الله عنه من قول النبى ﷺ : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا [أى اقترعوا] على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مرُّوا على من فوقهم ، فقالوا لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نُؤْذ مَنْ فوقنا ، فإنْ تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإنْ أخذوا عَلى أيديهم نجوا جميعاً » أ هـ والحديث أخرجه البخارى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

وصف الدُّنيا :

١٨ – وخَطَب أيضاً فَحَمِد الله وأثْنَى عَليه ثمَّ قالَ :

« إنَّما الدنيا أملٌ مُخْترمٌ ، وأجَلٌ مُنتَقضٌ(٤٦) وبَلاغٌ إلى دارٍ غَيْرِها ، وسَيْرٌ إلَى الموْتِ لَيْس فِيهِ تَصْرِيحٌ ، فَرحِمَ الله أمْرأً فكرَ فى أمْرِهِ ، ونَصَح لنَفْسه ، وراقَبَ رِبَّهُ ، واسْتقَال ذَنْبهُ ، بِئْسَ الجارُ الغنى ، يأْخُذك بَما لا يُعْطيكَ مِنْ نَفْسهِ ، فإنْ أبيْت لَم يعْذُرْك ، ايَّاكَم والبطْنَة(٤٧) فإنَّها مَكسَلَةٌ عَنِ الصَّلاةِ ، ومَفْسدةٌ للجِسْم ، ومُؤدِّيةٌ إلَى السَّقَم ، وعَليْكَمْ بالقَصْد فَهُو أبْعَد مِنَ السَّرفِ وأصْلَحُ للبَدَن ، وأقْوى عَلَى العبادَةِ ، وإن العَبْد لَن يهْلِكَ حتَّى يؤْثِرَ شَهْوتهُ عَلَى دِينهِ » أهـ(٤٨) .

○ ○ ○

عند وفاة أبى بكرٍ الصِّدّيق رضى الله عنه :

١٩ – عَنْ حُمَيد بنِ هلالٍ قالَ : أخَبرنَا مَنْ شَهِد وَفاةَ أبى بَكرٍ الصِّدِّيق – رَضىَ الله عنْهُ فلمَّا فَرَغَ عُمَرُ رضى الله عنه – مِنْ دفْنِه نَفَض يَده عَنْ تُرابِ قَبْره ثمَّ قامَ خطيباً مَكانَهُ فقَالَ :

« إنّ الله ابتلاكَم بى ، وابْتَلانِى بِكَم وأبْقَانِى فيكُم بَعْد صَاحِبىَّ ، فوالله لا يَحضُرُنى شَىءٌ مِنْ أمْركَم فَيليهِ أحدٌ دُونِى ، ولا يَتَغيَّبُ عنِّى فآلو(٤٩) فِيه

(٤٦) منتقض : من الانتقاض وهو ضد الإبرام .

(٤٧) البطْنة بالكسر فسكون : امتلاء البطن من الطعام .

(٤٨) ذكره فى المواهب الفتحية (٢١٣/٢) .

(٤٩) فآلو : أى فأقصر .

عَنِ الجَزْءِ والأَمانَةِ ! ولَئِن أحْسنُوا لأُحْسِنَنَّ إلَيْهِم ، ولئِن أسَاءُوا لأنكلَنَّ بِهِم ، قالَ الرَّجُل : فَوَاللهِ ما زَادَ عَلَى ذلِـكَ حتَّى فارَقَ الدُّنْيا » أهـ(٥٠) .

○ ○ ○

لمَّا وُلِّى أمر المسلمين :

٢٠ – عَنِ الشَّعْبى قالَ : لما وُلِّى عُمر بنُ الخطَّابِ صَعِدَ المِنْبَر فَقالَ :

« مَا كانَ لِيرانى أنْ أرَى نَفْسِى أهْلاً لمجْلِس أبِى بكْرٍ فَنَزَل مِرْقاةً فحَمدَ اللهَ وأثْنى عَلَيه ثمَّ قالَ :

اقْرءُوا القُرْآنَ تُعْرَفُوا بِهِ واعْمَلُوا بِهِ تكونُوا من أهْلِه ، وَزِنُوا أنْفسَكم قَبْل أنْ تُوزَنوا ، وتزَيَّنوا لِلعَرْض الأَكْبَر يَوْم تُعْرَضُون عَلَى اللهِ لا تَخْفَى مِنْكم خافِيَةٌ ، إنَّه لَم يَبْلَغ حَقّ ذِى حَقٍّ أنْ يُطاعَ فى مَعْصِيةِ اللهِ ، ألا وإنِّى أنْزَلْتُ نَفْسى مِنْ مال اللهِ بمنْزِلةِ وَلِىِّ اليَتيم إن استغنيتُ عففت وإنِ افْتَقرتُ أكلْتُ بالمعْرُوفِ » أهـ(٥١) .

○ ○ ○

---

(٥٠) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٥) .

(٥١) أخرجه الدينورى عن الشعبى ، كذا فى كنز العمال (٨/٢١٠) وكذا أخرجه الفضائلى عن الشعبى أيضاً كما فى الرياض النضرة (٢/٨٩) .

حول صداق النساء :

٢١ – عَنْ أَبِى العَجْفَاء قالَ : خَطَب عُمر فقال : « أَلا لا تُغْلُوا فى صَدَاقِ النِّسَاء فإنَّها لَوْ كانَتْ مَكْرُمةً فى الدُّنيا أَوْ تَقْوى عِنْد الله كانَ أَوْلاكم بِهَا النَّبىُّ ﷺ ، ما أصْدَق رَسُولَ الله ﷺ امْرأةً مِنْ نِسائِهِ ولَا أصْدَق امْرأةً مِنْ بَناتِه أَكْثَر من اثْنَتَىْ عَشَرَة أُوقِيةً ، إنّ أَحَدَكم لَيُغْلى صَدُقَةَ المَرْأةِ حتّى يكونَ لَهَا عَداوة فى نَفْسِهِ وهِىَ تَقولَ : قَدْ كلّفتَ لَكَ عَلَق(٥٢) القِرْبَة ، وأُخْرَى تَقولُونَها لمَنْ قُتِلَ فى مَغازِيكم : قُتِلَ فَلانٌ شَهِيداً ، أَوْ مَات فُلانٌ شَهيداً ، ولعلّهُ يكُون قَدْ أَوْقر(٥٣) عَجُز دَابَّتِهِ أَوْ دَفّ(٥٤) رَاحِلَتِه ذَهباً أَوْ وَرِقا يلْتَمِس التِّجارَةَ ، لا تَقولُوا ذلِـكَ ، ولـكنْ قولُوا كَما قالَ النَّبىُّ ﷺ : « مَنْ قُتِلَ أَوْ مَاتَ فى سَبِيلِ الله فهُوَ فى الجَنَّةِ » أهـ(٥٥) .

○ ○ ○

٢٢ – وعَنْ مَسْروقٍ قالَ : رَكِبَ عُمَر بنُ الخَطّاب المِنْبَر ثمَّ قَرأ .

« أَيُّها النَّاسُ ، مَا إكْثارُكُم فى صَدَاقِ النِّساءِ ، وقَدْ كانَ رَسُولَ الله ﷺ وأَصْحابُهُ وإنما الصَّداقَ فِيما بَيْنَهم أَرْبعمائة دِرْهمٍ فَمَا دُونَ ذلِـكَ ، فلَوْ كانَ الإكْثارُ فى ذلِـكَ تَقْوَى عِنْدَ الله أَوْ مَكْرُمةً لَمْ تَسْبِقُوهم إلَيْها » أهـ(٥٦) .

---

(٥٢) أى تجشمت لأجلك كل شىء حتى علق القربة وهو حبلها الذى تعلق به .
(٥٣) حمل وقراً .
(٥٤) أى جانب كور البعير .
(٥٥) أخرجه عبد الرزاق والطيالسى وأحمد والدارى والترمذى وصححه أبو داود والنسائى وابن ماجه .
(٥٦) أخرجه سعيد بن منصور وأبو يعلى عن مسروق ، كنز العمال (٢٩٧/٨) .

القَدَر :

٢٣ – عَنْ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه خَطَبَ بالجَابِيَةِ فَحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عَلَيْهِ ثمَّ قالَ :

« مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، فقالَ لَهُ قَسٌّ بَيْنَ يَدَيْهِ بالفَارِسيَّةِ فقَالَ عُمر لمترْجم يُتَرْجم لَهُ : ما يقُولُ ؟ قالَ : يزْعُم أنّ اللهَ لا يُضلُّ أحَداً ، فقَالَ عُمَر : كَذَبْتَ يا عَدُوَّ اللهِ ، بلْ خَلقَك ، وهُوَ أضلَّكَ ، وهُو يُدْخِلُكَ النَّارَ إنْ شاءَ اللهُ ولَوْلا ولت(٥٧) عقْداً لَضَرَبْت عُنُقَكَ ، ثمَّ قالَ :

إنّ اللهَ لمَّا خَلَق آدَمَ نَثَر ذَريتهُ فَكَتَبَ أهْلَ الجنَّة وما هُمْ عامِلُون ، وأهْلَ النَّارِ وَمَا هُم عامِلُون ، ثمَّ قالَ : هؤُلاءِ لِهـٰذِهِ وهؤُلاءِ لهـٰذِهِ ، فتفرَّق النَّاسُ « يخْتَلفُونَ فى القَدَرِ » أهـ(٥٨) .

○ ○ ○

٢٤ – وعَنْ عَبْد الرَّحْمـٰن بنِ أبْزَى قالَ :

أتَى عُمر فَقيلَ لَهُ : إنَّ نَاساً يتكلّمونَ فى القَدَر ، فَقَام خَطيباً فَقالَ :

« أيُّها النَّاسُ ! إنَّما هَلَك مَنْ كانَ قَبْلَكُم مِنَ الأُمَم فى أمْرِ القَدَرِ ، والّذى

(٥٧) لعله : ولث عقداً ، والولث العهد المحكم .

(٥٨) أخرجه أبو داود وابن جرير وابن أبى حاتم ، انظر حياة الصحابة (٣/٤٤٥) .

نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِه ! لا أسْمَع بَرجُلَين يتكَلّمان فِيه إلّا ضَرَبْت أعْنَاقَهُما ، فأحْجَم النَّاسُ فَما تكَلّم أحَدٌ حتى ظَهَر نابعة الشَّام زَمَن الحجَّاج » أهـ(٥٩) .

○ ○ ○

يَوْم الجابية :

٢٥ - عَنِ الباهِلِى أنّ عمر رضى الله عنه قامَ فى النَّاسِ خَطِيباً مَدْخلهُ فى الشَّامِ بالجَابيةِ فقالَ :

« تَعلّمُوا القرْآن تُعْرفَوا بِهِ ، واعْمَلَوا بِهِ تكَونُوا مِنْ أهْلِه ، فإنَّه لَمْ يَبْلَغ مَنْزِلة ذى حقٍّ أنْ يُطاعَ فى مَعْصيةِ الله ، واعْلَمُوا أنَّهُ لا يُقَرِّبُ مِنْ أجَلٍ ولَا يُبعد مِنْ رِزْقِ الله قَوْلٌ بحقٍّ ، وتَذْكِيرٌ عَظيمٌ ، واعْلَموا أنّ بَيْن العَبْد وبَيْن رزْقِه حِجاباً ، فإنْ صَبَر آتاهُ رِزْقه ، وإن اقْتَحَم هَتَك الحجَابَ ولَمْ يُدْرِك فَوْق رِزْقِه ، وأدِّبُوا الخيْلَ وانْتَضِلَوا(٦٠) وانْتعلَوا وتَسوَّكوا وتمعْدَدُوا(٦١) وإيَّاكَم وأخْلاق العَجَمِ ومُجاوَرَة الجبَّارِينَ ، وأنْ يُرْفَع بَيْن ظَهرَانَيْكم صَليبٌ ، وأنْ تجْلسُوا عَلى مائِدةٍ يُشْربُ عَلَيْها الخَمْر ، وتدْخُلوا الحمّام بغِيْر إزارٍ ، وتَدَعُوا نِساءَكَم يدْخُلن الحمَّامات ؛ فإنّ ذلِـكَ لا يَحلّ ، وإيَّاكَم أنْ تكْسِبُوا مِنْ عَقْد الأعَاجِمِ بَعْد نُزُولِكَم فى بِلادِهِم ما يَحْبسُكَم فِى أرْضِهِم ؛ فإنَّكَم تُوشكونَ أنْ ترْجِعُوا إلى بِلادِكَم ، وإيَّاكَم والصفاد أنْ تجعَلَوهُ فى رقابِكَم ، وعَلَيْكَم بأمْوالِ

---

(٥٩) أخرجه اللالكائى وابن عساكر ، كنز العمال (٨٦/١) .

(٦٠) أى ارموا بالسهام .

(٦١) أى تشبهوا بقيس معد بن عدنان وكانوا أهل غلظ أى كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزى العجم .

العَربِ الماشِيَةِ تنْزِلُون بِها حيثُ نَزَلْتم ،لِقَوْلِهِ ، وَاعْلَموا أنَّ سِبَابَ المؤمِنِ فسُوقٌ وقِتَالَه كفْرٌ ، ولا يحِلُّ لَكَ أنْ تهْجُر أَخاكَ فَوقَ ثَلاثة أيّامٍ ، ومَنْ أتى ساحِراً أوْ كاهِناً أوْ عَرَّافاً فصَدَّقه بمَا يقول فقدْ كَفَرَ بما أُنْزِل عَلَى مُحمدٍ ﷺ » هـ(٦٢) .

○ ○ ○

٢٦ – عَنْ مُوسَى بنِ عُقْبَةَ قالَ : هذِهِ خُطْبَةُ عُمَرَ بْنِ الخطّاب يَوْم الجَابِيَة :

« أمّا بَعْدُ فإنِّى أوصِيكُم بتَقْوى الله الّذِى يَبْقَى ويفْنَى ما سِواهُ،الّذى بِطاعَتِه يُكْرَمُ أولياؤه ، وبمَعْصيته يُضلُّ أعْداؤُهُ ، فليسَ لهالِكٍ هَلَكَ مَعْذِرةٌ فى فِعْل ضلالَة حَسِبَها هُدى ، ولا فى تَرْك حَقٍّ حَسِبهُ ضلالةً ، وإنّ أحقَّ ما تَعاهَد الرّاعِى مِنْ رعيَّةٍ أنْ يَتعاهَدَهُم بما لله عليْه مِنْ وظائِف دِينِهِمْ الّذى هَداهُم الله لهُ وإنّما عَلَيْنا أنْ نأمُركَم بما أمَركَم الله بِهِ مِنْ طَاعَتِه ، وننْهاكَم عمَّا نهَاكَم الله عنهُ مِنْ مَعْصيَتِهِ ، وأنْ نُقيمَ فَيكَم أمْرَ الله عَزَّ وجلّ فى قَريبِ النّاسِ وبَعِيدهِم ، ولا نُبالِى عَلَى مَنْ قَالَ الحق ، وقَدْ عَلمتُ أنّ أقْواماً يتمنَّوْنَ فى دِينِهِم ، فيقولُونَ : نَحْنُ نُصلى مَعَ المصلّينَ ، ونُجاهِدُ معَ المجاهِدِينَ ، وكلّ ذلِـكَ يفْعَله أقوامٌ لا يحْملونه بحقّه ، وإنّ الإيمانَ لَيْس بالتحلى ، وإنّ للصَّلاةِ وقتاً اشْتَرطهُ الله فلا تَصْلُح إلّا به ، فوقت صَلاة الفَجْرِ حِين يُزايِلُ المرءُ لَيْلَه ويحْرُم علَى الصَّائِم طعامُهُ وشَرابُه فآتُوهَا حَظّها مِنَ القُرْآن ، ووقْتُ صلاةِ الظُّهر إذا كانَ القَيظُ فَحينَ تَزيغُ عَنِ الفَلَكِ حتَّى يكونَ ظِلُّكَ مِثلَكَ وذلِكَ حِيَن يَهْجر

(٦٢) كنز العمال (٢٠٧/٨) .

المَهْجَر ، فإذَا كانَ الشتاءُ فحِيَن تَزيغُ عَنِ الفَلَكَ حتَّى تكَونَ عَلَى حَاجبك الأيْمن مَعَ شُروطِ الله فى الوُضُوءِ ، والرُّكَوعِ والسُّجُود ، وذلك لئلا ينَامَ عنِ الصَّلاةِ ، وَوقْتُ صَلاةِ العَصْرِ والشَّمْس بَيْضاءُ نقيّة قَبْل أنْ تصْفارَّ قَدْر مايَسيرُ الرَّاكبُ علَى الجَمَل الثّقَال فَرْسَخين قَبْلَ غروب الشمس ، وصلاة المغرب حين تغربُ الشمس ويفطر الصَّائِم ، وصَلاةُ العِشاء حِيَن يُعَسْعِسُ (٦٣) اللّيلَ ، وتذْهَبُ حُمْرة الأفُق إلى ثُلث اللّيْلِ ، فمَنْ رقَدَ قَبْل ذلِكَ فَلَا أرْقَد الله عَيْنَيه ، هٰذه مَواقيتُ الصَّلاةِ .

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ .(٦٤)

ويقَولَ الرَّجُلَ : قَدْ هَاجرتُ ولَمْ يُهاجِرْ ،وإنّ المهَاجرين الّذِيَن هَجرُوا السّيّئاتِ ، ويقَولَ أقْوامٌ : جَاهَدْنا ، وإنّ الجهادَ فى سَبِيلِ الله مُجاهَدةُ العَدوّ ، واجْتنابُ الحرَامِ ، وقَدْ يُقاتِل أقْوامٌ يحْسنُون القتالِ لايُرِيدُونَ بذلِكَ الأجْرَ ولا الذّكْر ، وانمَّا القَتْل حَتفٌ(٦٥) مِنَ الحُتُوفِ ، وكلّ امْرِىءٍ عَلَى ما قاتَلَ عَليهِ ، وإنّ الرَّجُلَ ليُقاتِلَ بِطَبيعَتِه مِنَ الشَّجاعَةِ فيُنجِّى مَنْ يَعْرفَ ومَنْ لا يَعْرفَ ، وإنّ الرَّجلَ ليْجبُن بطَبيعَتِه فيُسْلم أبَاهُ وأمَّه ، وإنّ الكلْبَ ليهرُّ(٦٦) مِنْ وَراء أهْلِه ، واعْلَموا أنّ الصَّوْم حَرامٌ يجْتَنبُ فِيه أذَى المسْلِمِينَ ، كما يُمْنعُ الرَّجُلَ مِنْ لذّتِهِ مِنَ الطّعَام والشّرَاب والنّساءِ فذلكَ الصّيَامُ التَّام ، وإيتاءُ الزَّكاةِ الّتى فَرضَ رَسُولَ الله ﷺ طيبّةً بِها أنْفسهم فلَا يَرْوْن عَليْها برًّا ، فافْهمُوا ما تُوعظَونَ بِهِ

---

(٦٣) يعسعس : يظلم
(٦٤) النساء : ١٠٣
(٦٥) حتف : موت
(٦٦) ليهر : ينبح .

فإنّ الحَرِبَ مَنْ حَرَبَ دِينَهُ ، وإنّ السَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وإنّ الشَّقىَّ مَنْ شَقِىَ فى بَطْن أمِهِ ، وإنّ شر الأمُورِ مُبْتدعَاتُها ، وإنّ الاقْتِصادَ فِي سُنَّة خَيرٌ مِنَ الاجْتهادِ فى بِدْعةٍ ، وإنّ النَّاسَ نَفِرةٌ عَنْ سُلْطانِهِم فَعَائذٌ باللهِ أنْ يُدْرَك ، وإيَّاكم وضَغَائِنَ(٦٧) مجبولةً وأهْواءً مُتَّبعة ، ودُنْيَا مُؤْثَرةً وقد خشيتُ أنْ ترْكَنُوا إلَى الّذِينَ ظلَمُوا فلا تطْمِئنوا إلَى مَنْ أوتى مَالاً . عليْكُم بهذَا القُرْآنِ ، فإنّ فيهِ نُوراً وشِفاءً وغَيْره الشَّقاء ، وقَدْ قَضيتُ الّذى على فِيما ولّانى الله عزَّ وجَلّ مِنْ أمُوركَم وَوَعظْتكَم نُصْحاً لكَم ، وقَدْ أمَرْنا لَكُم بأرْزَاقِكَم ، وقَدْ جنَّدْنا لكَم جُنُودكَم وهيَّأنا لَكُم مَغَازِيكَم ، وأثْبَتْنا لكَم مَنَازِلكَم ، ووسَّعْنا لكم ما بَلَغ فِيكَم ، وما قَاتلْتمُ عَليْه بأسْيَافِكَم ، فلا حُجَّة لكَم عَلَى الله بل لله الحجَّة عَليكَم : أقُولَ قَوْلى هـٰذَا واستَغْفِر الله لى ولكَم » أهـ(٦٨) .

٢٧ - ذَكَر سَيفَ فى سِياقِه أنّ عُمَر رَضىَ الله عنْهُ رَكِبَ مِنَ المدِينَةِ عَلَى فَرسٍ لِيُسْرِعَ السَّيْرَ بَعْدَ ما اسْتخْلَف عَلَيْها علىَّ بْنَ أبى طَالبٍ فسَارَ حتَّى قَدِم الجابيَة فَنَزَلَ بها وخَطَب بالجابيَة خُطْبةً طويلة بَليغةً .

« أيُّها النَّاسُ ، أصْلِحُوا سَرائِركُم تَصْلَح عَلَانِيتكَم واعْمَلُوا لآخِرتكَم تُكْفَوْا أمْرَ دُنْياكَم ، واعْلَمُوا أنّ رَجُلًا لَيْس بَيْنه وبَيْن آدم أبٌ حىٌّ ولا بَيْنهُ وبَيْن الله هوادَةٌ ، فَمَن أرَادَ لَحَب [طريق] وجه الجنة فليلزم الجماعة ، فإنّ الشيطان مع الواحد ، وهو مع الاثنين أبْعَد ، ولا يخْلُوَنّ أحدكَم بامْرأةٍ فإنّ الشَّيْطانَ ثالِثُهما ، ومَنْ سَرَّته حَسَنتهُ وسَاءَته سَيِّئَتهُفهومؤْمنٌ » أهـ(٦٩) .

ㅇ ㅇ ㅇ

---

(٦٧) جمع ضغينة : وهى الحقد .

(٦٨) كنز العمال (٢١٠/٨) .

(٦٩) البداية والنهاية (٥٦/٧) .

٢٨ – عن عُروةَ بْنِ الزُّبيرْ وغَيْره ، أنّ عُمَرَ خطَبَ فَحمِدَ اللهَ وأثْنَى عَليْه بما هُو أهْلهُ ثمَّ ذكّر النَّاسَ باللهِ عَزَّ وجَلّ واليَوْم الآخِرِ ثمَّ قالَ .

« يـاأيُّها النَّاسُ إنِّى قَدْ وُلِّيتُ عَليْكَم ، ولَوْلا رَجاء أنْ أكُونَ خيْرَكُم لَكُم وأقْواكُم عَليْكَم وأشدَّكُم اسْتِضْلاعا بما ينُوبُ مِنْ مُهمِّ أُمُورِكُم لما توَلّيْت ذلكَ مِنْكِم ولكفى عُمَرَهَمًّا مُحْزِناً انْتِظارُ مُوافَقة الحِسَابِ بأخْذ حُقُوقكُم كَيْف آخُذَها وأيْن أضَعُها وبَالسَّيْر فِيكَم كَيْفَ أسيرُ ، فَربِّى المسْتعانَ ، فإنَّ عُمَر أصْبَحَ لا يثِقُ بقوَّةٍ ولا حِيلةٍ إنْ لَمَ يَتَداركه الله عزَّ وجلّ برحْمتِه وعَوْنِه وتأْيِيده » أهـ(٧٠) .

○ ○ ○

٢٩ – وخطَب عُمر فَقالَ :

« إنَّ الله عزَّ وجلّ قدْ ولَّانِى أمْرَكُم ، وقد عَلمْتُ أنْفع مَا بحَضْرتكَم لكَم ، وإنِّى أسْأَل الله أنْ يُعينَنِى عَليْه وأنّ يَحرسَنِى عِنْدهُ كما حَرَسنِى عِنْد غَيْره ، وأنْ يُلْهِمَنِى العَدْلَ فى قَسمِكمْ كالّذى أمَرَ بِه ، وإنِّى امرؤٌ مُسلمٌ ، وعَبدٌ ضَعيفٌ ، إلّا ما أعَانَ الله عزَّ وجلّ ، ولَنْ يُغيِّر الّذى وُلِّيتُ مِنْ خلافَتكم مِنْ خُلقى شَيْئاً إنْ شاءَ الله ، إنَّما العَظمةَ لله عزَّ وجلّ ، ولَيْس لِلعبادِ منْها شَىءٌ ، فَلا يقولنَّ أحُدٌ مِنْكم إنّ عمر تغيَّر مُنْذ ولِى ، أعْقِلَ الحقَّ مِنْ نَفْسِى ، وأتَقدَّمُ وأُبيِّن لكَم أمْرِى فأيُّما رَجلٍ كانَتْ لَهُ حاجَةٌ أوْ ظَلِمَ مظلمة أوْ عتَبَ

(٧٠) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه (٣/٢٨١) .

علينَا فى خُلُقٍ ، فليؤْذِنِّى ، فإنَّما أنَا رَجُلٌ منكم فَعَلَيْكُم بِتَقْوَى الله فى سرِّكم وعَلَانِيَتِكُم ، وحُرُماتِكُم وأعْرَاضِكُم ، وأعْطَوا الحقَّ مِنْ أنْفسكم ، ولا يَحْمل بَعْضكم بَعْضاً عَلَى أنْ تحاكمُوا إلىَّ ، فإنَّهُ ليْس بيْنى وبَيْن أحَدٍ مِنَ النَّاسِ هوادَةٌ ، وأنَا حَبِيبٌ إلىَّ صَلاحكُم ، عَزِيزٌ علىَّ عتبكُمْ ، وأنْتُم أناسٌ عامَّتُكم حَضَر فِى بلادِ الله وأهْل بلَدٍ لا زَرْع فِيهِ ولا ضَرْعَ إلَّا ما جاءَ الله بِهِ إليْه ، وإنَ الله عزَّ وجلَّ قَدْ وَعَدكُم كَرامةً كَثيرةً ، وأنَا مَسْئولٌ عَنْ أمانتى ومَا أنا فيه ومطلع على ما يحضرنى بنفسى ، وإن شاءالله لا أكِلُه إلى أحد ، ولا أستطيع ما بَعُد مِنه إلّا بالأمَناءِ وأهْل النّصْح منكم للعامَّةِ ، ولَسْت أجْعَل أمَانَتِى إلَى أحَدٍ سِواهُمْ إنْ شَاءَ الله » أهـ(٧١) .

○ ○ ○

٣٠ - عن عُروةَ قالَ : خطَبَ عُمرُ فَقالَ :

إنَّ الله سُبْحانَهُ قَدِ استَوجَبَ عَلَيْكُم الشكْرَ ، واتَّخَذَ عَلَيْكُم الحُجَج فيما آتاكُم مِنْ كَرامَةِ الآخرةِ عَنْ غير مَسْألةٍ مِنْكُم ولا رَغبَةٍ مِنْكُم فِيهِ إليْهِ ، فَخَلقكُم تَبارَكَ وتَعالَى - ولَم تكونُوا شيئاً - لِنَفسه وعِبادَتِه ، وكان قادِراً أنْ يجْعلكُم أهْوَن خَلْقِه عَلَيهِ ، فجعَلَ لكُم عامَّة خَلْقِه ولَمْ يَجعلكُم لِشْئٍ غَيْره .

وقد ﴿ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾(٧٢) وحَمَلكُم فى البرِّ والبَحْر ورزَقكُم مِنَ الطَّيِّبات لعَلّكُم تَشْكُرونَ ، ثمَّ جَعَل لكُم سَمْعاً وبَصَراً ، ومِنْ نِعَم الله عَلَيْكُم نِعمٌ عَمَّ بها بَنِى

---

(٧١) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه (٢٨١/٣) .

(٧٢) لقمان : ٢٠

آدَمَ ، ومِنْها نِعمٌ اختصَّ بِهَا أَهْلَ دِينِكُم ، ثمَّ صارَتْ تِلْكَ النِّعمُ خواصُّها وعوامُّها فى دولتكم وزمانكم وطبقتكم ، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرىءٍ خاصَّة إلّا لَوْ قُسِمَ ما وَصَلَ إليْه منها بيْنَ النّاسِ كلّهم أتْعبهم شُكْرُها وفَدَحَهم(٧٣) حقّها إلّا بِعَوْنِ الله مَعَ الإيمانِ بالله ورَسُولِه ، فأنْتم مُستخْلفُونَ فى الأرْضِ قاهِرونَ لأهْلها قَدْ نَصَرَ الله دِينكُم ، فلَم تُصبح أمَّةٌ مُخالِفةٌ لِدِينكُم غيْرَ أمّتيْن ، أمّةٍ مُسْتعبَدةٍ للإسْلام وأهْلِه يجزون لَكُم يَسْتصفُونَ مَعايِشَهم وكدَائِحَهُم ورَشْح جِباههم عَليْهِم المؤنَة ولكم المَنْفعة ، وأمَّة تَنْتظِرُ وقائِع الله وسَطَواته فى كلّ يَومٍ ولَيلَةٍ ، قد مَلأ الله قلوبَهُم رُعْباً فلَيْسَ لَهُم مَعْقِلٌ(٧٤) يلْجئونَ إليْهِ ولا مَهربٌ يتقون بِه قَدْ دهَمتهم جُنودُ الله عزَّ وجلّ ، ونَزَلَت بسَاحَتِهم مَعَ رَفَاغةِ(٧٥) العَيْشِ اسْتفاضَةَ المالِ ، وتَتابُع البُعُوثِ ، وسَدّ الثُّغُورِ بإذْنِ الله مَعَ العَافِية الجَليلة العامَّةِ الّتى لَمْ تكُنْ هـٰذِه الأمَّة عَلى أحْسنَ مِنها مِذْ كانَ الإسْلامُ ، والله المَحْمُودُ مَعَ الفَتوحِ العِظامِ فِى كلّ بَلدٍ ، فمَا عَسَى أنْ يَبْلُغَ مَعَ هـٰذا شُكْر الشّاكِرينَ ، وذِكْر الذّاكِرينَ ، واجْتِهادُ المجْتَهدينَ ، مَع هـٰذِه النِّعَم الّتى لا يُحْصَى عَددُها ، ولا يُقدَّرُ قَدْرُها ، ولا يُسْتَطاعُ أداءُ حَقّها إلا بَعْونِ الله ورحْمَتِه ولَطفِه ،فنسأل الله الّذي لا إلـٰه إلّا هُوَ أنْ يَرْزُقنا العَمَل بطَاعَتِه والمسَارَعَة إلى مَرْضاتِه ، واذْكُروا عِبادَ الله إبلاءَ الله عِنْدَكم واسْتَتِمُّوا نِعْمةَ الله عليْكُم وفى مَجالِسكُم مَثْنَى وفُرادَى ، فإنّ الله عزَّ وجلّ قالَ

---

(٧٣) أى أثقلهم

(٧٤) أى ملجأ

(٧٥) أى السعة .

لموسى : ﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ (٧٦) ، وقالَ لمحمَّدٍ ﷺ : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(٧٧) .

فلَوْ كُنْتم — إذْ كُنْتم مُستَضْعفِينَ محْرُومِينَ خَيْرَ الدُّنْيا — عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ الحقِّ تؤْمِنُون بهَا وتَستَرِيحُونَ إلَيْها مَعَ المعْرِفَة باللهِ ودِينِه ، وترْجُون بِها الخَيْرَ فيما بَعْد المَوْتِ — لكان ذلك ، ولكنكم كنْتُم أشَدّ النَّاسِ مَعيشَةً وأثبته بالله جَهَالة ، فلَوْ كانَ هـٰذا الّذى استَشْلاكُم(٧٨) بِه لَم يكُنْ مَعهُ حظٌ فى دُنْياكم غير أنه ثقة لكم فى آخرتكم التى إليها المعاد والمنقلب ، وأنتم من جهد المعيشة على ما كُنْتم عَليه أحْرِياء(٧٩) أن تشحُّوا عَلى نَصيبكُم منهُ وأنْ تظهرُوا عَلَى غيْرِه قبْلَه ما إنَّه قَدْ جَمَع لكُم فَضيلَةَ الدُّنْيا وكَرامَةَ الآخِرةِ ومَنْ شاءَ أنْ يُجْمَع لهُ ذلك مِنكُم ، فأذْكُرُكم اللهَ الحائِل بيْن قلُوبكُم إلّا ما عَرفْتُم حقَّ اللهِ فعملْتُم لهُ وقَسرتُم أنْفسكُم عَلى طاعَتِهِ وجَمعْتُم علَى السُّرورِ بالنِّعَم خَوْفاً لَها ولانتْقالها ، ووَجَلًا منها ومن تحْويلها ، فإنه لا شَيْءَ أسْلَبُ للنِّعْمةِ مِن كُفْرانها ، وإنَّ الشُّكْر أمنٌ لِلْغِيَرِ ونماءٌ للنِّعْمة واسْتيجابٌ للزِّيَادَةِ هـٰذا لله علىَّ مِنْ أمْرِكُم ونَهْيكُم واجبٌ أهـ(٨٠) .

○ ○ ○

---

(٧٦) إبراهيم : ٥

(٧٧) الأنفال : ٢٦

(٧٨) أى استنقذكم به من الهلكة .

(٧٩) جمع حرىّ أى الخليق .

(٨٠) أخرجه ابن جرير فى تاريخه (٢٨٣/٣) .

٣١ — خطَبَ عُمر فَحمِدَ الله وأثْنَى عَليه ، وصلّى عَلى النّبىّ ﷺ ، ثم قالَ :

« أيُّها النَّاسُ : إنّ بعْضَ الطّمَع فقْرٌ ، وإنّ بَعْض اليأْسِ غِنىً وإنكَمْ تَجْمعونَ مالَا تأْكلون ، وتأملُونَ ما لَا تُدْركونَ ، وأنْتم مُؤجلُون فى دارِ غُرورٍ ، وكنتُم عَلى عَهْد رسُولِ الله ﷺ تؤْخَذُون بالوَحْى ، فَمنْ أسَرَّ شَيْئاً أخِذَ بسَرِيَرتهِ ، ومَنْ أعْلَن شيْئاً أخِذَ بِعلانِيتهِ ، فأظْهِرُوا لَنَا أحْسَنَ أخْلاقِكَم والله أعْلَم بالسَّرائِر ، فإنّه مَنْ أظْهرَ لَنَا قَبيحاً ، وزَعَم أنّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَة لَمْ نُصَدِّقه ، ومَنْ أظْهَر لَنَا عَلانِيةً حَسَنَةً ظَنَنَّا بِه حَسَناً ، واعْلَموا أنّ بَعَض الشُّحِّ شُعبةٌ مِنَ النِّفاقِ ، فأنْفِقَوا خَيراً لأنْفَسِكم .

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٨١) .

أيُّها النَّاسُ : أضيِئوا مَثْواكَم واصْلِحُوا أمُوركَم ، واتَّقوا الله ربَّكم ، ولا تُلْبسوا نِساءكَم القَباطِى(٨٢) فإنَّهُ إنْ لَمْ يَشِفّ فإنّه يَصِفَ(٨٣) .

أيُّها النَّاسُ : إنّى لَوَددْتُ أنْ أنْجر كفَافاً لَا لِى ولاعلىَّ ،وإنّى لأرْجُو إنْ عُمِّرتُ فِيكَم يَسيراً أو كَثِيراً أنْ أعْمَل بالحقِّ إنْ شَاءَ الله ألا يَبْقى أحدٌ مِنَ المسْلِمينَ وإنْ كانَ فى بَيْتِه إلّا أتاهُ حقّهُ ونصيبُه مِنْ مال الله ، وإنْ لَمْ يُعْمِلَ إليْه نَفْسَه ، ولَم ينْصب إلَيْهِ بَدنَه ، وأصْلحُوا أمْوالكَم الّتى رَزَقكَم الله ، ولَقليلٌ فى رفقٍ خَيرٌ مِنْ كَثيرٍ فى عُنْفٍ ، والقَتْلَ حَتْفٌ مِنَ الحتُوفِ يُصيبُ البرَّ والفَاجِرَ ، والشَّهيدُ مَنِ احْتَسَبَ نَفْسَه » أهـ(٨٤) .

---

(٨١) ٩ : الحشر ، ١٦ : التغابن .

(٨٢) القباطىّ : بضم أوله وتشديد آخره : ثياب كتّان بيض رقاق جمع قبطية .

(٨٣) شفّ : رق فحكى ما تحته ، وصف : أى حدد لدقته .

(٨٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه (٥/٢٦) .

٣٢ - عَنْ مَعْدان بن أبى طَلْحة اليَعْمُرىّ أنّ عُمرَ بنَ الخطّابِ قامَ عَلى المنْبر يَوْمَ الجُمعة فَحَمِدَ الله ، وأثْنى عَليْه ، ثمَّ ذكَر رَسُولَ الله ﷺ ، وذكَرَ أبا بكرٍ ثمَّ قالَ :

« رَأَيْتُ رُؤْيا لا أراهَا إلّا بحُضُور أجَلى ، رأيْتُ : كأنّ دِيكاً نَقرني نَقرتيْن أحمر ، فَقَصصتُها علَى أسْماء بنت عُمَيْس فقالَتْ : يَقتُلكَ رجُلٌ مِنَ العَجَمَ ، وإنّ النّاسَ يأمرونى أنْ أستَخْلفَ ،وإنّ الله عزَّ وجلّ لم يكُنْ ليُضيِّعَ دِينَه وخلافتهُ الّتى بَعثَ بها نبيَّه ﷺ ، وأن يُعجِّل بى أمْره ، فإنّ الشورَى فى هؤلاءِ السّتَّة الّذينَ ماتَ النّبىُّ ﷺ وهُو عَنهمْ راضٍ : عُثْمان وعَلىٌّ والزُّبيْر وَطلْحةَ وعبْدُ الرَّحمـٰن بنُ عَوفٍ وسَعْدُ بنُ أبىٍ وقّاص ، فَمَن بايعتم مِنهُم فاسْمعُوا له وأطِيعُوا ، وإنّى أعْلَم أنّ ناساً يسْتطيعُون(٨٥) فى هَذا الأمْرِ ، أنَا قاتَلْتُهم بِيَدي هـٰذِهِ عَلى الإسْلامِ ، أولَئِك أعْداءُ الله الكفّارُ الضُّلّال ، وإنّى لا أدَعُ شيْئاً أهَمّ عِنْدى مِنْ أمْرِ الكَلالَةِ ، وايْمُ الله ما أغْلَظ لى نَبِىُّ الله ﷺ فى شَىْءٍ منْذ صَحِبتُه أشدّ ممّا أغلَظَ لى فى شأنِ الكَلالَةِ حتّى طَعَن بأصْبُعه فى صَدْرِى وقالَ : يكْفيكَ آيةَ الصَّيْف الّتى نَزَلت فى آخرِ سُورَة النّسَاء ، وإنّى إنْ أعِشْ فسأقْضِى فِيها بقَضاءٍ يعْلَمه مَنْ يقرأ ومَنْ لا يَقْرأ ، وإنّى أشْهد الله على أمراءِ الأمْصَارِ أنّى إنّما بعثْتُهم ليُعَلّموا النّاسَ دِينَهُم وسُنَّةَ نَبيِّهم ، ويرْفعُوا إلىَّ مما عُمّى عَليْهم ، ثمَّ إنّكم أيُّها النّاسُ تأكلُون مِنْ شَجَرتَيْن لا أراهُما إلّا خَبيثتيْن : هما الثوْم والبَصَل ، وَايْمُ الله ! لَقَدَ كنْتُ أرَى نَبىَّ الله ﷺ يَجدُ ريحَهما من الرَّجُل فيأمُر به فَيُؤخَذ بيَدهِ فَيَخْرُجُ مِنَ المسْجِدِ حتّى يُؤتَى بِهِ البَقِيعِ ، فمَنْ

(٨٥) كذا فى الطبعة الأولى من الكنز ، وفى الثانية (٤٢٣/٥) عن ابن سعد : سيطعنون كذا قال فى حياة الصحابة (٤٥٦/٣) كنز العمال (١٥٣/٣) .

أكلهُما لابُدَّ فلْيُمِتْهما طبْخاً ، فخَطَبَ النَّاس يَوْم الجُمَعة وأُصِيبَ يَوْم الأَرْبعاءِ لأَرْبعٍ بَقِينَ مِنْ ذِى الحجَّة » أهـ(٨٦) .

○ ○ ○

٣٣ – عَنْ يَسارِ بْنِ مَعْرورٍ قال : خَطَبنا عُمرُ رضىَ الله عنه فقالَ :

« يأيُّها الناسُ ، إنّ رَسُولَ الله ﷺ بَنَى هـٰذا المسْجِدَ ونحْنُ مَعهُ المهاجِرُون والأنْصَار ، فإذَا اشْتدَّ الزِّحامُ فلْيسْجُد الرّجُل منْكَم علَى ظَهْر أخِيهِ ، ورَأىَ قَوْماً يُصلّون فى الطّرِيقِ فقالَ : صلّوا فى المسْجد » أهـ(٨٧) .

○ ○ ○

٣٤ – عَنْ عُمَر رضىَ الله عنهُ قالَ : لمَّا وُلّى عمر بن الخطاب رَضىَ الله عنْهُ خَطَب النَّاس فَقالَ : « إن رَسُولَ الله ﷺ أذِنَ لَنا فى المُتْعَة ثَلاثاً ثمَّ حرَّمَها ، والله ، لا أعْلَم أحداً تمتَّعَ وهُوَ مُحْصَنٌ إلّا رَجمْتُه بالحِجارَة إلّا أنْ يأتِينى بأرْبعَةٍ يشْهدُونَ أنّ رَسُولَ الله ﷺ أحلّها بَعْد إذْ حَرَّمها ، ولا أجدُ رجُلًا مِنَ المسْلِمينَ متمتّعاً إلّا جَلدْتُه مائة جَلْدةٍ إلّا أنْ يأتينى بأرْبَعة يشهدون أنّ رَسُولَ الله ﷺ أحَلّها بَعْد إذْ حَرَّمَها » أهـ(٨٨) .

○ ○ ○

---

(٨٦) أخرجه الطيالسى وابن سعد وابن أبى شيبة وأحمد وابن حبان ومسلم والنسائى وأبو عوانة وأبو يعلى .

(٨٧) أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأحمد والشاش والبيهقى وسعيد بن منصور انظر كنز العمال (٢٥٩/٤) .

(٨٨) أخرجه ابن عساكر وسعيد بن منصور ، كنز العمال (٢٩٣/٨) .

٣٥ – عَنْ عَبْد الله بْنِ سَعيدٍ ، عَنْ جَدِّه أنّه سَمِعَ عُمَر بنَ الخَطّاب رَضِىَ الله عنهُ علَى المِنْبَر يقولَ :

« يا مَعْشَر المسْلِمينَ ، إنّ الله قَدْ أفَاءَ عَلَيْكُم مِنْ بلادِ الأعَاجِمِ مِنْ نِسائِهم وأوْلادِهِمْ ما لَمْ يفئْ عَلَى رُسُولِ الله ﷺ ولا عَلَى أبِى بكْرٍ ، وقَدْ عرفْتُ أنّ رِجالًا يُسْلمُونَ بالنِّسَاء ، وأيُّما رجُلٍ ولَدتْ لَه امْرأةٌ مِنْ نِساءِ العَجَم فلا تَبيعُوا أمّهاتِ أوْلادِكَم ، فَإنّكَم إنْ فَعلتُم أوْشَكَ الرَّجُل أنْ يَطأ حَرِيمَهُ وهُوَ لَا يَشْعُر » هـ(٨٩) .

○ ○ ○

٣٦ – عَنْ أبِى هُرَيرَة رَضِىَ الله عنهُ قالَ : كانَ عُمر بنُ الخطّاب رَضِىَ الله عنهُ يقولَ :

« أفْلَح مِنْكَم مَنْ حُفِظَ مِنَ الهَوَى والغَضَب والطّمَع ، وَوُفّق إلَى الصِّدْقِ فى الحَديث ، فإنَّهُ يَجرُّه إلَى الخَيْر ، مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ ، ومَنْ يَفْجُر يَهْلِك ، وإيَّاكُم والفُجُور ، ما فُجُور مَنْ خُلقَ مِنَ التُّرابِ وإلَى التُّرابِ يَعودُ ؟ اليَوْم حىٌّ وغداً ميِّتٌ ، اعْملُوا عَمَل يَومٍ بِيومٍ ، واجْتَنبُوا دَعْوة المظْلومِ ، وعُدُّوا أنْفسكَم مِنَ المَوْتَى » أهـ(٩٠) .

○ ○ ○

(٨٩) أخرجه البيهقى ، كنز العمال (٢٩٢/٨) .
(٩٠) أخرجه البيهقى ، كنز العمال (٢٠٨/٨) .

٣٧ – عَنْ سُلَيمانَ بنِ يَسارٍ قالَ : خَطبَ عُمرُ بنُ الخطّابِ الناسَ فى زَمانِ الرَّمادةِ فَقالَ : « أيُّها الناسُ اتَّقوا اللهَ فى أنْفسِكم وفيما غابَ عَنِ النّاسِ مِنْ أمْرِكمْ فَقَد ابْتُليتُ بكَم وابْتُليتُمْ بِى ، فما أدْرِى السُّخْطَة عَلَىَّ دُونكَم ، أوْ عَليكَم دُونِى ، أوْ قَد عَمَّتْنى وعمَّتكم ، فَهلُّموا فَلْنَدْعُ اللهَ يُصْلح قَلوبَنا وأنْ يَرْحَمنَا ، وأنْ يَرفَعَ عنَّا المحْلَ ، قالَ : فَرُئِى عمر يَومئذٍ رَافعاً يَديْه يَدعُو اللهَ ، ودَعَا النَّاسُ ، وبكَى ، وبكَى الناسُ مَليًّا ، ثم نَزَل » أ هـ(٩١) .

○ ○ ○

٣٨ – عَنْ قُبيْصَة قالَ : سَمعتُ عُمرَ رَضىَ اللهُ عنْهُ وهو يقُولَ عَلَى المنْبَر : « مَنْ لَا يَرْحَم لا يُرْحَم ومَنْ لَا يَغْفر لا يُغْفَر لَه ، ومن لا يَتُوبُ(٩٢) لا يُتَاب عَليهِ ، ومَنْ لا يتَّقِ لا يُوقَه » أ هـ(٩٣) .

○ ○ ○

٣٩ – عَنْ عبدالله بن خَراشٍ عَن عمِّه قالَ : سمِعْتُ عُمرَ بنَ الخطّاب رضىَ اللهُ عنهُ يقولَ فى خُطْبتهِ :

« اللّهمَّ ! اعْصِمنَا بحَبْلك ، وثَبِّتْنا علَى أمْرِك » أ هـ(٩٤) .

○ ○ ○

---

(٩١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/٣٢٢) .
(٩٢) كذا فى كنز العمال والظاهر : من لا يتب .
(٩٣) أخرجه البخارى فى الأدب وابن خزيمة ، كنز العمال (٨/٢٠٧) .
(٩٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٥٤) وكذا أحمد فى الزهد والرويانى واللالكائى وابن عساكر وزادوا : « وارزقنا من فضلك » كما فى الكنز (١/٣٠٣) .

خُطبُ عُثمانَ بن عفّان رَضىَ الله عنْهُ

حَينَ بايَعَه أهْلَ الشُّورَى :

٤٠ – خَطَب رَضىَ الله عنهُ حينَ بايَعَه أهْلَ الشُّورى فَحِمَد الله وأثْنَى عَليْه وصَلّى عَلَى النَّبى صَلّى الله عليه وسلّم ثمَّ قالَ :

« إنَّكَم فى دَارٍ قَلْقَة وفى بَقيَّةِ أعْمارٍ ، فبادِرُوا آجالَكَم بخيْرْ ما تَقْدِرونَ عليْهِ ، ألَا وإنّ الدُّنيا طويَتْ عَلَى الغُرُور ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(٩٥) اعْتبُروا بِمَن مَضى ثمَّ جِدُّوا ولا تغْفلوا فإنَّه لا يغْفَل عَنكَم : أيْنَ أبْناء الدُّنْيا وإخْوانُها الّذينَ آثَروها وعَمَّروهَا ومُتِّعوا بِهَا طَويلاً ؟ ألَمْ يَلْفَظْهم ؟ ارْمُوا بالدُّنيا حَيثُ رَمىَ الله بِها ، واطْلبُوا الآخِرة ، فإنّ الله قَدْ ضَربَ لَها مَثَلاً ، والَّذِى هُوَ خيرٌ ، فقَالَ عزَّ وجلَّ :

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٩٦) » أهـ(٩٧) .

○ ○ ○

---

(٩٥) ٣٣ : لقمان

(٩٦) الكهف ٤٥ و٤٦ .

(٩٧) ذكره الطبرى فى تاريخه (٤٣/٥) .

التَّقوى والعمل :

٤١ – قالَ الحَسنُ البَصريُّ : خَطب عُثمانَ فَحِمدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ ثمَّ قالَ :

« أيُّها النَّاسُ ، اتَّقوا اللهَ ؛ فإنّ تَقْوى اللهِ غُنْمٌ ، وإنّ أكْيَسَ النَّاسِ مَنْ دَانَ نَفْسهُ وعَمِلَ لما بَعْدَ الموْتِ ، واكْتَسبَ مِنْ نُورِ اللهِ نُوراً لِظَلْمة القَبْرِ ، ولْيَخْش عَبدٌ أنْ يَحشُره اللهُ أعْمَى وقَدْ كانَ بَصيراً ، واعْلَموا أنّ مَنْ كانَ اللهُ لَهُ لم يَخَفْ شَيْئاً ومَنْ كانَ اللهُ عَلَيه فَمنْ يَرْجو بَعْدهُ ؟ » أ هـ(٩٨) .

○ ○ ○

الاسْتِعدادُ للموْتِ :

٤٢ – قالَ مُجاهدٌ : خَطَب عُثمان فَقَال : « ابْنَ آدَمَ اعْلَم أنّ مَلَكَ الموْتِ الّذى وُكّلَ بِكَ لَمْ يَزَلْ يخلفَك وَيتَخطّى إلَى غَيْركَ مُنذُ أتيْتَ فِى الدُّنيْا ، وكأنّهُ قَدْ تخَطّى غيرَك إليْكَ وقَصَدكَ ، فَخذْ حِذْركَ واسْتَعدَّ لَه ولا تَغْفل ، فإنّه لا يغْفَلَ عَنْكَ واعْلَم ابنَ آدَمَ إنْ غَفَلْت عَنْ نَفْسِك ولَمْ تَسْتَعدّ لَها لم يَسْتَعدّ لَها غَيْرُكَ ، ولابُدَّ مِنْ لقاءِ اللهِ ، فَخُذْ لِنفْسِك ولا تَكلها إلَى غَيْرِك والسَّلام » أ هـ(٩٩) .

○ ○ ○

خُطب جامِعةٌ وآخرُ خُطَبه رَضِىَ اللهُ عنهُ :

٤٣ – عَنْ عُتْبَة قالَ : خَطَب عُثمانَ النَّاس بَعْد ما بُويعَ فقَالَ :

« أمَّا بَعْد ، فإنّى قد حُمِّلْت وقَدْ قَبِلْتُ ، ألَا وإنّى مُتّبِعٌ ولَسْتُ بمُبْتدِعٍ ، ألَا

---

(٩٨) أخرجه ابن عساكر وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٢١٤/٧) .

(٩٩) ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٢١٥/٧) .

وإنّ لكَمْ عَلَىَّ بَعْد كِتاب الله عزَّ وجلّ وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ ثلاثاً : اتِّباعَ مَنْ كانَ قَبْلى فِيما اجْتَمعتُم عَليه وسنَنْتُم ،وسَنّ سُنَّة أَهْلِ الخيْرِ فِيمَا لَمْ يسنُّوا عَنْ مَلئِه ، والكفّ عَنكم إلا فيمَا استَوْجَبْتُم ، أَلَا وإنّ الدُّنْيا خَضِرَةٌ قَدْ شُهِّيتْ إلَى النَّاسِ ومالَ إليها كَثيرٌ مِنهُم ، فَلَا تَرْكنُوا إلَى الدُّنْيا ، ولا تَثقُوا بِها ، فإنَّها لَيسَتْ بثقةٍ واعْلَموا أنَّها غَيْرُ تارِكةٍ إلّا منْ تَرَكَها » أ هـ(١٠٠) .

○ ○ ○

٤٤ - عَنْ مالكٍ عن عَمِّه أبى سُهَيْل بن مالك عن أَبِيهِ أَنَّه سَمِعَ عُثْمانَ بن عَفّان يقولَ فى خُطبَةٍ .

« لا تُكلِّفوا الصَّغِيرَ الكَسْبَ ؛ فإنَّه مَتَى كلّفتموه الكسْبَ سَرَقَ ، ولَا تُكَلِّفوا الأَمَةَ غَير ذَاتِ الصَّنْعة الكَسْب ، فإنّكمْ إنْ كَلّفْتُموها الكَسْب كَسَبَتْ بفَرْجها ، وعِفُّوا إذا أعفكم الله ، وعَليْكم مِنَ المطاعِم بمَا طابَ مِنْها » أ هـ(١٠١) .

○ ○ ○

٤٥ - عَنْ زيْدِ بن الصَّلْت أنَّهُ سَمِعَ عُثْمان وهُوَ عَلَى المِنبرِ يقُولَ :

« يأَيُّها النَّاسُ إيَّاكَم والمَيْسِر - يُريدُ النَّردَ - فإنَّها قَدْ ذُكِرتْ لى أنَّها فى بُيوتِ ناسٍ مِنكَم ، فمَنْ كانَ فِي بَيْتِه فلْيحْرِقْها أوْ يكْسِرْها ، وقالَ عُثمَانَ مرَّةً أُخْرَى وهُوَ عَلَى المِنْبر : « يأيُّها الناسُ إنِّى قَدْ كلّمْتكم فى هـٰذا النَّردِ ولَمْ

---

(١٠٠) أخرجه ابن جرير فى تاريخه (٤٤٦/٣) .

(١٠١) أخرجه الشافعى والبيهقى (٩/٨) . قال البيهقى : ورفعه بعضهم عن عثمان من حديث الثورى ورفعه ضعيف ، كذا فى الكنز (٤٧/٥) .

أُرَكَم قَدْ أخْرجْتُموها ، فلَقَد هَممتُ أنْ آمر بحُزَمِ الحَطَبِ ثمَّ أرْسِل إلَى بُيوتِ الّذينَ فى بُيُوتِهم فأحْرِّقها عَليْهم » أ هـ(١٠٢) .

○ ○ ○

٤٦ – عَنْ بَدْرِ بنِ عُثْمان ، عَنْ عَمِّه قالَ : آخِرُ خُطْبَةٍ خَطبَها عُثْمان فى جَماعَةٍ :

« إنّ الله إنَّما أعْطاكَم الدُّنْيا لتطلبُوا بِهَا الآخرَةَ ، ولم يُعْطِكموهَا لتركَنُوا إلَيْها ، إنّ الدُّنْيا تَفْنَى ، وإنّ الآخِرةَ تَبْقى ، لا تَبْطرنَّكم الفانِية ، ولَا تَشْغلنَّكَم عَنِ الباقِيَةِ ، وآثِرُوا ما يَبْقى عَلَى ما يَفْنَى ، فإنّ الدُّنْيا منْقطِعةٌ ، وإنّ المَصيرَ إلَى الله .

اتَّقُوا الله ؛ فإنّ تَقْواهُ جُنَّةٌ من بأْسِه ، وَوسِيلَةٌ عِنْدهُ ، واحْذَروا مِنَ الله الغِيَرَ ، والْزَمُوا جَماعَتكُم لا تَصِيرُوا أحْزابا .

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١٠٣)

أ هـ(١٠٤) .

○ ○ ○

---

(١٠٢) أخرجه البيهقى عن زيد بن الصلت ، كنز العمال (٣٣٤/٧) .

(١٠٣) آل عمران : ١٠٣ و١٠٤ .

(١٠٤) ذكره الطبرى (٤٤٦/٣) .

خُطَبِ عَلِىٍّ بِنِ أَبِى طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجْهَه

لمَّا وُلِّى الخِلافَةَ :

٤٧ – بُويعَ علىٌّ بالخِلافَةِ يَومَ الجُمعة لخَمسٍ بَقينَ مِنْ ذِى الحجَّةِ سَنَة خَمسٍ وثَلاثِينَ فَخَطَب النَّاسَ : حَمِدَ الله وأَثْنى عَلَيْهِ ثمَّ قالَ :

« إنّ الله – عزَّ وجَلّ – أنزلَ كِتاباً هَادِياً بَيَّنَ الخَيْرَ والشَّرَّ فَخذُوا بالخَيْر ودَعُوا الشَّرَّ ، الفَرائِض الفَرائِضَ أدُّوهَا إلَى الله تَعالَى يؤدِّكم إلَى الجَنَّةِ ، إنّ الله حرَّمَ حُرُماتٍ غَيْرَ مَجْهولَة ، وفَضَّل حُرْمة المسْلِم عَلى الحُرَم كلِّها ، وشَدَّ بالإخْلاصِ والتَّوحِيدِ حُقوقَ المسْلمينَ ، فالمسْلِمُ مَنْ سَلِم المسْلمُونَ مِنْ لِسانِهِ ويَدِهِ إلَّا بالحقِّ ، لا يَحلّ دَمُ امْرئٍ مُسلم إلا بمَا يَجبُ ، بادِرُوا أمْرَ العامَّةِ ، وخاصَّة أحَدِكَم الموْت ، فإنّ النَّاسَ أمَامَكم ، وإنَّما خَلْفكم السَّاعة تَحْدوكم فخفّفوا تلْحقَوا ، فإنَّما ينْتظَر بالنَّاسِ أخْراهُم ، اتَّقُوا الله عِبادَ الله فى بلادِهِ وعِبادِهِ ، إنكمْ مَسْئولُون حتَّى عَن البقاعِ والبَهائِم ، أطِيعُوا الله – عزَّ وجَلّ – فلَا تَعْصُوه،وإذَا رَأيْتم الخَيْر فخذُوا بِه ، وإذَا رَأيْتم الشَّرَّ فدَعوهُ ﴿ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ(١٠٥) ﴾ أهـ(١٠٦) .

○ □ ○

(١٠٥) ٢٦ : الأنفال .

(١٠٦) ذكره ابن الأثير فى التاريخ (٣/٧٦) .

الحثّ على العَمَل والإخلاص :

٤٨ – وخَطَبَ كَرَّمَ اللهُ وجْههُ فقَالَ بَعْد حَمْدِ اللهِ والثَّناءِ عَلَيْهِ :

« أمَّا بَعدُ فإنَّ الدُّنْيا قَدْ أدْبَرتْ وآذَنَت بودَاعٍ ، وإنَّ الآخِرةَ قَدْ أقبَلَتْ وأشْرَقتْ باطّلاعٍ ، ألَا وإنَّ المِضْمارَ اليَوْم وغدَاً السِّباق ، ألَا وإنّكم فى أيَّامِ أمَلٍ مِنْ ورائها أجَلٌ ، فَمنْ عَمِلَ فى أيَّام أمَلِهِ قَبْل حُضُورِ أجَلِهِ نَفَعهُ عَملُه ولَمْ يَضرَّهُ أجَلهُ ومَنْ قَصرَّ فى أيَّامِ أمَلِه قَبْل حُضورِ أجَلِه فَقَدَ خَسِرَ عَملهُ وضَرَّه أجلُه ، ألا فاعملوا لله فى الرَّغْبة كما تَعمَلُون لهُ فى الرَّهْبَة ، ألَا وإنِّى لَمْ أرَ كالجَنَّةِ نامَ طَالبُها ، ولا كالنَّارِ نامَ هارِبُها ، ألا وإنَّه مَنْ لَم ينفعه الحقُّ يَضرهُ البَاطل ، ومَنْ لَمْ يستَقِم بِهِ الهُدى يَجْر بِه الضلالُ إلَى الرَّدَى ، ألَا وإنّكم قَدْ أمِرْتُم بالظّعن ودُلِلْتُم علَى الزَّادَ ، ألَا وإنَّ أخْوفَ ما أخاف عَلَيْكُم اتِّباعُ الهَوَى وطَولَ الامَلِ ، تَزَوَّدُوا فى الدُّنْيا مِنَ الدُّنْيا ما تحرِزُونَ به أنْفسكم غَداً » أ هـ(١٠٧) .

○ ○ ○

التَّقْوى :

٤٩ – خَطبَ علىٌّ كَرَّمَ اللهُ وجْهَه بَعْد حَمْدِ اللهِ وقالَ :

« أيُّها النَّاسُ ، اتَّقُوا الله ، فما خُلِقَ امْرؤٌ عَبَثاً فيلهو ، ولَا أهْمِلَ سُدًى فَيلْغُو ، وما دُنْياهُ الّتى تحَسَّنَت إليْهِ بخَلَفٍ مِنَ الآخِرَةِ الّتى قبّحها سُوءُ النظرِ

(١٠٧) نهج البلاغة (١/٦٦) وإعجاز القرآن للباقلانى (٩) والكشكول (٢٥٧) .

إلَيها ، ومَا الخَسِيسِ الّذي ظَفِرَ بهِ مِنَ الدُّنيا بأعْلى همَّته كالآخرِ الّذي ظَفِرَ بِهِ مِنَ الآخرةِ مِنْ سُهْمتِه »(١٠٨) أهـ(١٠٩) .

○ ○ ○

الرَّجاء والخوف والصَّبر :

٥٠ – وخَطبَ عَلى كرَّم الله وجْههُ فقالَ :

« أيُّها النَّاسُ احْفَظُوا عَنِّى خَمْساً فَلوْ شَدَدْتُم إليْها المطايا حَتَّى تُضْنوهَا لَم تظْفرُوا بمِثْلِها : ألّا لَا يَرْجُوَنّ أحَدُكَم إلّا ربَّه ، ولا يخَافنَّ إلّا ذَنْبهُ ، ولَا يَستَحى أحَدُكم إذَا لَمْ يَعْلَم أنْ يتعلّم ، وإذا سُئِلَ عمَّا لَا يَعْلمُ أنْ يقولَ لَا أعْلَمُ ، وإنّ الخَامِسةَ الصَّبْرُ ، فإنّ الصَّبْرَ مِنَ الإيمانِ بمنْزلةِ الرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ مَنْ لا صَبْرَ لَهُ لا إيمانَ لَه ، ومَنْ لَا رأسَ لَه لا جَسَدَ لَهُ ، ولا خَيْرَ فى قِراءَةٍ إلّا بِتَدْبيرٍ ، ولا فِى عِبادَة إلّا بِتفكِير ، ولا فِى حِلْمٍ إلّا بِعلْم ، ألا أنَبِّئكم بالعَالِم كَلّ العَالِم ؟ مَنْ لَا يُزيِّنُ لِعبادِ الله مَعاصِى الله ، ولَمْ يُؤمِّنهم مَكْرَهُ ، ولَمْ يُؤيسْهُم مِنْ رَوحِهِ .. لا تُنزِلُوا المطِيعِينَ الجنَّة ، ولا المُذْنِبين الموحِّدينَ النَّارَ حتَّى يَقْضِيَ الله فِيهم بأمْرِه ، ولا تأمَنُوا عَلَى خَيرِ هـٰذِهِ الأمَّة عَذابَ الله ، فإنَّه يقولَ :

﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(١١٠) ولا تُقَنِّطُوا شَرَّ هـٰذِهِ

---

(١٠٨) السهمة : بضم فسكون : النصيب .
(١٠٩) ذكره الباقلانى فى إعجاز القرآن (٦٩) .
(١١٠) ٩٩ : الأعراف .

الأمّةِ مِنْ رَحْمةِ الله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ (١١١) ﴾ أهـ(١١٢) .

○ ○ ○

خُطب جامِعةٌ له كرَّمَ الله وجْهَهُ :

٥١ - خَطَب عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ الله وجْهَه فقالَ :

« عَشِيرةُ الرَّجل للرَّجُل خَيرٌ مِنَ الرَّجُل لِعَشيرتِهِ ، إنَّه إنْ كفّ يَدَهُ عَنْهُم كفّ يداً واحِدةً ، وكَفّوا عنْهُ أيْدياً كثيرةً مَعَ مودتهم وحِفاظِهِم ونُصْرتهم حتّى

---

(١١١) ٨٧ : يوسف

(١١٢) ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد (٣٧٣/٢) قول ابن عباس : ما اتعظت بعد رسول الله ﷺ بمثل كتاب كتبه إلَيَّ على رضى الله عنه « أما بعد فإن الإنسان يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، فلا تكن بما نلته من دنياك فرحاً ، ولا بما فاتك منها ترحاً ، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويرجو التوبة بدون الأمل ، عباد الله ، الحذر الحذر ، فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر ، وأمهل حتى كأنه قد أهمل ، والله المستعان على ألسنة تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف » أهـ ذكره فى الكشكول (٢٤٨/٣) .

وما روى : أن جندب بن عبدالله دخل على عليٍّ فقال : يا أمير المؤمنين إن فقدناك ولا نفقدك - فنبايع الحسن ؟ فقال : ما آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصَرُ فرد عليه مثلها فدعا حسناً وحسيناً فقال : أوصيكما بتقوى الله وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شىء زوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعينا الملهوف ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم ناصراً ، واعملا بما فى الكتاب ولا تأخذكما فى الله لومة لائم » أهـ ذكره الطبرى (٨٥/٦) .

وقوله للحسن : « أوصيك أى بنى بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور ولا تقبل صلاة من مانع الزكاة وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ وصلة الرحم ، والحلم عند الجهل ، والتفقه فى الدين ، والتثبت فى الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، واجتناب الفواحش » أهـ ذكره الطبرى (٨٥/٦) .

لربَّما غَضبَ الرَّجلَ للرَّجُل وما يعْرفَه إلّا بَحسَبِه ، وسأتْلو عَليْكم بذلك آياتٍ مِنْ كتابِ الله فتلا هٰذِهِ الآية :

﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾(١١٣) .

قال عليٌّ : والرُّكْنُ الشَّديدُ : العَشيرةَ ، فَلَم تكُنْ لِلوطٍ عشيرةٌ فَوَالّذى لَا إلٰه إلّا هُوَ ما بَعَثَ الله نبيّاً قطّ بَعْدَ لَوطٍ إلا فى ثَرْوةٍ مِنْ قوْمِه – وتلا هٰذه الآية فى شُعَيب ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾(١١٤) قالَ : كَان مكفوفاً فَنسبُوهُ إلَى الضّعْفِ ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ﴾(١١٥) قال عليٌّ : فَوَالله الذى لا إلٰه غَيْرهُ ! ما هَابُوا جَلالَ ربِّهم إلّا العَشِيرة » أ هـ(١١٦) .

○ ○ ○

٥٢ – عَنْ على أنه خَطَبَ النَّاسَ فَحمِدَ الله فأثْنَى عليْه وذكَر الموْتَ فَقالَ :

« عِبادَ الله ، والله الموْتُ لَيسَ مِنه فَوتٌ ! إنّ أقَمتُم لَهُ أخذكَم وإنّ فرَرْتُم مِنْه أدْرَكَكَم ، فالنّجاةَ النَّجاةَ والوَحَاء الوَحَاء(١١٧) ، ووراءكَم طالِبٌ حَثِيثٌ(١١٨) القَبْرُ فاحْذَرُوا ضَغْطَتَهُ وَوحْشَتَه ألَا وإنّ القَبْر حُفرةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ أوْ رَوضَةَ مِنْ رِياضِ الجنَّةِ ، ألَا وإنَّه يَتكلّمُ فى كلّ يَومٍ ثَلاثَ مَرَّاتَ فيقُولَ :

---

(١١٣) ٨٠ : هود .
(١١٤) ٩١ : هود
(١١٥) ٩١ : هود .
(١١٦) أخرجه أبو الشيخ عن على كرم الله وجهه (١/٢٥٠) .
(١١٧) الوحاء الوحاء : أى السرعة السرعة .
(١١٨) أى سريع .

أنا بَيْتُ الظُّلْمَة ، أنَا بَيْتُ الدُّود ، أنَا بَيْتُ الوَحْشَة ، ألَا وإنّ وَرَاء ذلِكَ ما هُو أشَدُّ ، نَارٌ حرُّها شَديدٌ ، وقَعْرهَا بَعيدٌ ، حُليُّها حَديدٌ وخازنها مالِكٌ ، لَيسَ لله فيهِ – وفى لَفْظٍ – فيها رحمةٌ ، ألا وإن وَرَاء ذلِك جَنَّةٌ عرْضها السمـٰواتُ والأرْضُ أعِدَّتْ للمتَّقينَ ، [جعلنا الله] وإيَّاكَم مِنَ المتَّقينَ ، وأجَارَنَا وإيَّاكَم مِنَ العَذابِ الأليِمِ » أهـ(١١٩) .

ـــ وزاد ابن كَثير قوله : « أنَا بَيتُ الوَحْشَة ألا وإنّ وراءَ ذلِكَ يوماً يَشيبُ فِيه الصَّغيرُ ويَسْكَر فيهِ الكَبيرُ وتَضَعُ كلّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَها ، وتَرَى النَّاسَ سُكارَى وما هُمْ بِسُكارَى ولكنَّ عَذابَ الله شَديدٌ » أهـ(١٢٠) .

٥٣ – عَنْ عَبْدِالله بنِ صالحِ العجلى ، عَنْ أبيهِ قالَ :

خطبَ علىٌّ بنُ أبِى طالبٍ ، فَحمِدَ الله وأثْنَى عَلَيهِ وصلّى عَلى النَّبىِّ ﷺ ثمَّ قال :

« عِبادَ الله ، لَا تَغرَّنُكم الحَياةَ الدُّنيا ، فإنَّها دَارٌ بالبَلاءِ مَحفُوفةٌ ، وبالفَناءِ مَعْروفَةٌ ، وبالغَدْرِ موْصُوفةٌ ، وكلّ ما فِيها إلى زَوال ، وَهىَ ما بَيْن أهْلها دُولٌ وسِجالٌ ، لَنْ يَسْلَمَ مِنْ شرِّها نُزَّالَها ، بَيْنا أهْلَها فى رَخاءٍ وسُرورٍ إذَا هُم مِنْها فى بلاءٍ وغَرورٍ ، والعَيشُ فِيها مذْموم ، والرَّخاءُ فِيها لا يَدُوم ، وإنَّما أهْلَها فِيها أغراضٌ(١٢١) مُسْتهدفةٌ تَرْميهِم بِسِهامها ، وتَقْصِمهُم(١٢٢) بِحِمامِها .

(١١٩) أخرجه الصابونى فى المائتين وابن عساكر ، كنز العمال (٨/١١٠) .
(١٢٠) البداية والنهاية (٨/٦) وزاد « ثم بكى وبكى المسلمون حوله » .
(١٢١) جمع غرض وهو الهدف .
(١٢٢) تكسرهم بموتها .

عِبادَ الله ، إنّكُمْ وما أنتم مِنْ هـٰذِهِ الدُّنْيا عَنْ سَبيلِ مَنْ قَدْ مَضَى مِمَّن كانَ أطْولَ مُنْكَم أعْماراً وأشَدّ مِنكَم بَطْشاً ، وأعْمر دِياراً ، وأبْعَدَ آثاراً ، فأصْبحَت أصْواتُهُم هامِدَةً(١٢٣) خامِدَةً مِنْ بَعْد طَول تَقلّبها ، وأجْسادُهُم بالِيَة ودِيارُهُم خالِيَةً وآثارُهُم عَافِيَةً(١٢٤) واستَبدلَوا بالقُصُورِ المُشيَّدة والسُّرُرِ(١٢٥) والنّمارِقِ(١٢٦) المُمَهدَة الصُّخُورَ والأحجارَ المسْنَدَة فى القُبُورِ الملاطِيَّة المُلْحِدَة الّتى قَدْ بيَّن الخَرَابَ فَناؤُها وشُيِّد بالتُّراب بناؤُها ، فمحلّها مُقْتربٌ ، وسَاكِنُها مُغْتَربٌ بَيْن أهْل عِمارةٍ موُحِشِين ، وأهَلِ محِلّة مُتشاغِلينَ ، لا يَسْتأنِسُونَ بالعُمْرانِ ، ولا يتواصَلَون تواصُلَ الجيرانِ ، على ما بَيْنَهم مِنْ قُرْبِ الجِوارِ وُدُنُوّ الدار ، وكيف يكونَ بَيْنهم تَواصَلٌ وقَدْ طَحَنُهم البَلاءُ ، وأكَلتهم الجَنادِلِ(١٢٧) والثّرى(١٢٨) ؟ فأصْبَحُوا بَعْد الحَياةِ أمْواتاً ، وبَعْد غضارَةِ(١٢٩) العَيْشِ رُفاتاً ، فجَمَع بهم الأحْبابَ ، وسَكَنُوا التُّرابَ ، وظَعَنُوا فلَيْسِ لَهُم إيابٌ ، هَيْهات هَيْهات كلّا إنّها كلِمَةٌ هُوَ قائِلُها ومِنْ وَرائِهِم بَرْزَخٌ إلَى يَوْمِ يُبْعثون ، فكأنّ قَدْ صِرْتُم إلَى ما صَارُوا عَليْه مِنَ الوحْدَة والبلَى فى دَارِ المْوتَى ، وارْتُهَنْتُم فى ذلِكَ المضْجَع ، وضمَّكُم ذلِـكَ المسْتودعُ ، فكَيْفَ بكُم لَوْ قد تَنَاهَت الأمُورُ ، وبُعثَر ما فى القُبُور ، وحُصِّل ما فى الصُّدُورِ ، وأوْقِفتم للتَّحصِيل بَيْن يَدىْ مَلِك

(١٢٣) أى ساكنة .
(١٢٤) أى ممحوة .
(١٢٥) جمع سرير .
(١٢٦) جمع نمرقة أى الوسادة .
(١٢٧) جمع جندل وهو الصخر العظيم .
(١٢٨) أى التراب .
(١٢٩) أى طيب العيش ولذته .

جَليل ؟ فَطارَت القَلوبُ لاشْفَاقِها(١٣٠) من سالِفِ الذّنُوب ، وهُتِكَتْ عَنكم الحُجُبُ والأَسْتارُ فظهَرَت مِنكمُ العُيوبُ والأَسْرارُ ، هُنالِكَ تُجْزَى كلّ نفْسٍ بمَا كسَبَت لِيَجزِى الّذِين أسَاءوا بمَا عَمِلُوا ويَجْزِىَ الّذين أحْسَنُوا بالحُسْنى ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(١٣١) جعلَنَا الله وإيّاكم عامِلينَ بكِتابِه مُتبعينَ لأَوْليائِه حتّى يحلّنا وإيَّاكَم دَارَ المُقامَةِ مِنْ فَضْلِه إنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ »أهـ(١٣٢) .

○ ○ ○

٥٤ — عَنْ جَعْفر بن مُحمدٍ ، عَنْ أبيهِ عَنْ جَدِّه أنَّ عَليًّا شَيَّع جنازَةً فلمَّا وُضِعتْ فى لَحِدها عجَّ(١٣٣) أهْلَها وبكَوْا فقالَ : ما يبكُونَ ؟ أمَا والله لَوْ عَايَنُوا ما عَايَنَ ميّتهُم لأَذْهَلتهم مُعايَنَتُهم عَنْ مَيّتهم ، وإنّ لَهُ فِيهِم لعَودَةً ثمَّ عَودةً حتى لا يَبْقى مِنهم أحدٌ ، ثمَّ قامَ فقالَ : أُوصيكُم عِبادَ الله بتقْوَى الله الذى ضرب لكم الأمثال ، ووقّت لكم الآجال ، وجعل لكم أسماعاً تعى ما عناها وأبصارا لتجلو عَنْ غشَاهَا ، وأفئِدةً تفْهَم ما دَهَاها(١٣٤) فى تَرْكيبِ صَبْرِها ، وما أعْمرهَا فإنّ الله لمَ يخْلقكَم عَبَثاً ، ولم يَضْرِب عنكَمُ الدّهْر صَفحاً ، بَلْ أكْرمَكَم بالنّعم السَّوابغ(١٣٥) وارْفَدَكَم بأوْفَر الرّاوفِدِ(١٣٦) وأحَاطَ بكم

---

(١٣٠) أى لخوفها .

(١٣١) ٤٩ : الكهف .

(١٣٢) أخرجه الدينورى وابن عساكر ، انظر كنز العمال (٢١٩/٨) .

(١٣٣) أى رفعوا أصواتهم .

(١٣٤) أى ما أصابها .

(١٣٥) أى الكاملة .

(١٣٦) أى العطايا

الإحْصاءَ ، وأرْصدَ لكَم الجزَاءَ فى السَّرَّاءِ والضرَّاءِ ، فاتَّقوا الله عِبادَ الله ، وجدُّوا فى الطلَب وبادِرُوا بالعَمَل مُقطَعَ النَّهمات(١٣٧) ، وهَادِمِ اللّذات ، فإنّ الدُّنْيا لا يدُومُ نَعِيمُها ، ولا تُؤمَن فجائِعُها ، غرورٌ حائلٌ ، وشَبَحٌ فائلٌ(١٣٨) ، وسِنادٌ مائِلٌ ، يمْضِى مُستطرفاً ، ويُرْدى مُسْتردِفاً بإتْعابِ شَهَواتِها وخَتْل تَرَاضُعِها ، اتّعظوا عِبادَ الله بالعِبر ، واعْتَبِروا بالآياتِ والأثَر ، وازْدَجِرُوا بالنُّذُر وانْتفعُوا بالمواعِظِ ، فكأن قَدْ عَلقتكَم مخالِبُ(١٣٩) المنيَّةِ ، وضمَّكَم بَيْتُ التُّرابِ ودَهمتكَم مُفْظعاتُ الأمُورِ بنَفْخةِ الصُّورِ وبَعْثَرةِ القُبورِ ، وسِياقَة المحْشَر ، ومَوْقِف الحَساب بإحاطة قُدْرةِ الجبَّارِ ، كلّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ يَسُوقُها لحَشرِها وشاهِدٌ يَشْهدُ عَلَيْها لعَملها وأشْرَقَتِ الأرْضُ بِنُورِ ربِّها وَوُضعَ الكِتابُ وجِيءَ بالنَّبيِّين والشُّهدَاء وقُضِىَ بَيْنهم بالحقِّ وهُمْ لا يُظْلَمون ، فارْتجَّتْ(١٤٠) لِذلكَ اليَوْم البِلادُ ، ونَادى المُنادِ ، وكانَ يَوْم التَّلاقِ ، وكُشِفَ عَنْ سَاقٍ ، وكُسِفَتِ الشَّمسُ ، وحُشِرت الوُحوشُ مَكان مَواطِن الحَشْر ، وبَدتِ الأسْرارُ ، وهَلَكتِ الأشْرارُ ، وارْتَجَّت الأفئِدةُ ، فَنزلَت بأهْلِ النَّارِ مِنَ الله سَطْوةٌ مُجيحَةٌ(١٤١) وعُقوبةٌ مَنيحةٌ وبُرِّزَتِ الجَحيمُ لَهَا كَلَبٌ ولَجبٌ(١٤٢) وقَصِيفُ(١٤٣) رَعْدٍ ، وتَغيُّظٌ ووَعيدٌ ، تأجَّجَ جَحِيمُها وغَلَى حَمِيمُها ، وتَوقَّدت سُمُومُها ، فَلَا يِنفس خالِدُها ولا تنْقطِعُ حَسَراتُها ولا تُعصم

---

(١٣٧) الحاجات ، والمراد من مقطع النهمات وهادم اللذات الموت .

(١٣٨) أى ضعيف .

(١٣٩) جمع مخلب وهو لسباع الطيور والبهائم بمنزلة الظفر للإنسان .

(١٤٠) أى اضطربت .

(١٤١) مهلكة .

(١٤٢) أى صوت وجلبة مع اختلاط .

(١٤٣) أى صوت هائل .

كبُوبِها ، مَعَهم مَلائِكةٌ يُبشِّرونَهم بِنُزُلٍ مِنْ حَميمٍ وتَصلِيةِ جَحِيمٍ ، عَنِ اللهِ مَحْجوبُونَ ، ولأَوْليائِه مُفارِقُونَ وإلَى النَّارِ مُنْطلقُونَ ، عبادَ اللهِ ، اتَّقُوا اللهَ تَقيَّةَ مَنْ كَنَع(١٤٤) فَخَنَع(١٤٥) وحَلَّ فرَحَل ، وحَذِرَ فأَبْصرَ فازْدَجَر(١٤٦) فاحتثَّ طلبا(١٤٧) ونَجا هرَباً ، وقَدِمَ للمعادِ واستَظْهر بالزَّادِ ، وكَفَى باللهِ مُنتقِماً وبَصِيراً ، وكَفَى بالكِتابِ خَصْماً وحَجِيجاً ، وكفَى بالجَنَّةِ ثَواباً ، وكفَى بالنَّارِ وَبَالاً وعقاباً ، واسْتَغْفِرُ اللهَ لِى ولَكُم » أهـ(١٤٩) .

○ ○ ○

٥٥ – عَنْ زيادٍ الأَعْرابىِّ قالَ : صَعِدَ أَمِير المُؤْمِنينَ عَلىٌّ بن أبى طالبٍ رَضىَ اللهُ عَنهُ مِنْبر الكَوفَةِ بَعْد الفِتْنة ، وفَراغِه مِنَ النَّهْروانِ ، فَحَمِدَ اللهَ وخَنَقَتْه العَبْرَةَ فَبَكى ، واخْضَلَّت(١٥٠) لِحيتُهُ بدُمُوعِه ، وجَرتْ ثمَّ نَفَض لِحْيتَهُ فوَقَعَ رَشاشُها عَلَى ناسٍ منْ أناسٍ فكُنَّا نقول : إنَّ مَنْ أصَابهُ مِنْ دُمُوعِه فَقَد حَرَّمهُ اللهُ على النارِ .

ثمَّ قالَ : لا تكونُوا مِمَّن يرْجُونَ الآخِرةَ بِغَيْر عَمَلٍ ، ويؤَخِّرُ التَّوْبَةَ بطُولِ الأملِ ، يقولَ فى الدُّنيا قَولَ الزَّاهِدينَ ، يعْمَلَ فِيها عَمَلَ الرَّاغِبين ، إنْ أُعْطِىَ مِنْها لَم يَشْبَعْ ، وإنْ مُنِعَ مِنها لَمْ يَقْنَع ، يَعْجزُ عَنْ شُكْرِ ما أوتىَ ، ويبتغِى

---

(١٤٤) أى خضع وذل .
(١٤٥) أى ذل .
(١٤٦) أى كف نفسه .
(١٤٧) أى أسرع .
(١٤٨) أى حجة له أو عليه .
(١٤٩) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٧٧/١) .
(١٥٠) اخضلت : ابتلت .

الزِّيادَةَ فِيمَا بَقِىَ ، ويُؤْمَرُ ولا يأْتى ، ويُنْهَى ولا ينْتَهِى ، يُحبُّ الصَّالَحينَ ولا يَعْمَل بأعْمالِهِم ، ويبغَضُ الظَّالمينَ وهُوَ مِنْهُم ، تَغْلِبُهُ نَفْسه على ما يَظنّ ، ولا يَغْلبُها عَلى ما يَسْتيْقِنُ ، إنِ استَغْنَى فَتِنَ ، وإنْ مَرض حَزِنَ ، وإنِ افتقَرَ قَنطَ وَوَهَن[١٥١] ، فَهُو بيْنَ الذّنبِ والنِّعْمةِ يرتَعُ: يُعافَى فَلَا يشْكُر ، ويُبتَلَى فَلَا يَصبر ، كأنَّ المحذَّرَ مِنَ المَوْتِ سِواهُ ، وكأنَّ مَنْ وُعِدَ وزُجِرَ غَيرهُ ، يا أغْراضَ المنايا ، يا رَهائنَ الموتِ ، ويا فاكِهة الزَّمانِ ، ويا نُورَ الحَدَثانِ ويا أخْرَس عِنْد الحُجج ! ويا مَنْ غمرتْهُ الفِتنُ وحِيلَ بيْنهُ وبيْن مَعْرفةِ العِبَر ! بحقٍّ أقُولَ : ما نَجا مَنْ نَجا إلّا بمعْرِفَةِ نَفْسِه ، وما هَلَك مَنْ هَلَك إلّا مِنْ تَحْتِ يَدِهِ ، قالَ الله تعالَى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[١٥٢] جَعَلنا الله وإيَّاكُم ممَّن سَمَع فَقبلَ ودُعِىَ إلَى العَمَل فعَمِل » أهـ[١٥٣] .

○ ○ ○

٥٦ – عَنْ يَحْيى بنِ يَعْمُر أنّ عليَّ بنَ أبِى طالبٍ رَضِىَ الله عنهُ خطَبَ النَّاسَ فحَمِدَ الله وأثْنَى عَليْه ثمَّ قالَ :

« يـٰأيُّها النَّاسُ ، إنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قبْلَكُم برِكُوبِهم المَعَاصِى ولَم ينْههم الرَّبانِيُّون والأحْبارُ ، أنْزلَ الله بِهِمِ العُقُوبات ، ألَا فمُرُوا بالمعْرُوفِ وانْهَوا عَنِ المنكَر قَبْل أنْ ينْزلَ بكَم الّذِى نَزَلَ بِهِم ، واعْلمُوا أنّ الأمْرَ بالمعْرُوفِ والنَّهىَ عَنِ المنكَر لا يقْطعُ رِزْقاً ، ولا يُقرِّبُ أجَلاً ، إنّ الأمْرَ ينْزِلَ مِنَ السَّماءِ لِقطْرِ

---

(١٥١) وهن : أى ضعف .
(١٥٢) التحريم : ٦
(١٥٣) أخرجه ابن النجار كذا فى كنز العمال (٨/٢٢٠) .

المَطَر إلى كلّ نَفْسٍ بما قَدَرَ الله لَها مِنْ زيادَةٍ ، أوْ نُقصانٍ فى أهْلٍ أوْ مَالٍ أو نَفْسٍ ، فإذا أصابَ أحدَكَم النُّقصانَ فى أهْلٍ أوْ مالٍ أو نَفْسٍ ، ورَأى لغيْرِهِ غَيره(١٥٤) . فَلَا يكوننَّ ذلكَ لَهُ فتنةً ، فإنّ المْرءَ المسْلِمَ ما لَم يَغْشَ دَناءَةً يُظْهر تخشُّعاً لَها إذَا ذُكرَتْ ويُغْرى بِه لِئامَ النَّاسِ كالياسِرِ(١٥٥) الفالج(١٥٦) الّذِى ينْتظِرُ أوَّل فَوْزةٍ(١٥٧) مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لهُ المغْنَم ، وتَدفعُ عَنْه المغْرَمَ ، كَذَلكَ المْرءُ المسْلمُ البَرىءُ مِنَ الخِيانَةِ ، إنَّما ينْتَظر إحْدَى الحُسْنَيَيْن إذَا ما دَعَا الله ، فَما عِنْد الله هُو خَيرٌ لَه ، وإمّا أنْ يرْزقَه الله مالاً ، فإذا هُو ذَو أهْلٍ ومالٍ ، الحرْثُ حَرْثان : المالَ والبَنُونَ حَرْث الدُّنْيا ، والعَملَ الصَّالحُ حَرثَ الآخِرَة ، قَدْ يجْمعُهما الله لأقْوامٍ » قالَ سُفْيانَ بنُ عُيَيْنةَ : « ومَنْ يُحْسِنُ أنْ يتكلّم بهَذا الكلامِ غَيْرُ عَلىٍّ بنِ أبى طالبٍ » أهـ(١٥٨) .

○ ○ ○

٥٧ – عن أبى وائل قالَ : خَطبَ علىٌّ رَضىَ الله عنهُ الناسَ بالكُوفةِ فَسمِعْتهُ يَقولَ فى خُطبةٍ « أيُّها النَّاسُ : إنَّه مَنْ يفْتقِر وَمَنْ يُعمَّر يُبْتَلى ، ومَنْ لا يْستعدّ للبَلاءِ إذَا ابْتُلىَ لا يَصْبر ، ومَنْ مَلَكَ استأثَر ، ومَنْ لا يَسْتشيرُ ينْدَم وكان يقول مِن وراءِ هـٰذا الكلام :

« يُوشِكَ ألّا يَبْقَى مِنَ الإسْلامِ إلّا اسْمُه ، ومِنَ القرآنِ إلّا رسْمُه » وكانَ يقولَ :

---

(١٥٤) فى البداية عن أبى الدنيا : كثرة (٨/٨) .
(١٥٥) الياسر : المقامر .
(١٥٦) الفالج : الغالب فى قمار .
(١٥٧) فى البداية : فورة .
(١٥٨) أخرجه ابن أبى الدنيا (٢٢٠/٨) كنز العمال ، ومنتخبه (٣٢٦/٦) .

« أَلَا لَا يَسْتَحِى الرَّجُل أَنْ يتعلّم ، ومَنْ يُسْأل عمّا لا يَعْلم أنْ يقولَ : لا أَعْلَم ، مَساجِدُكَم يَوْمئِذٍ عامِرةٌ ، وقلوبكم وأبْدانكم خَرِبةٌ مِنَ الهُدَى ، شَرُّ مَنْ تَحْتَ ظِلّ السَّماءِ فقهاؤُكم ، مِنْهُم تَبْدو الفِتْنةُ ومنْهُم تَعُود ، فقَامَ رجُلٌ فقالَ : فَفِيمَ يا أَمِير المؤْمِنينَ ؟ قالَ : إذَا كانَ الفِقْهُ فى رُذَالِكَم(١٥٩) والفَاحِشةَ فى خِيارِكَم والمُلْكُ فى صِغَارِكَم ، فَعِندَ ذلكَ تقومُ السَّاعةَ » أهـ(١٦٠) .

○ ○ ○

٥٨ – وخَطبَ علىٌّ كرَّم الله وجْهَه خُطبةً جامِعةً فقالَ :

« الحَمدُ لله فاطِرِ الخلْقِ ، وفالِقِ الإصْباحِ ، وناشِرِ المَوْتَى وباعِثِ مَنْ فى القُبُورِ .. وأشْهدُ أنْ لَا إلـهَ إلّا الله وأشْهَد أنّ مُحمداً عَبدُه ورسُولُه ...

وأوصِيكَم بتَقْوى الله ؛ فإنّ أفْضَل ما تَوسَّلَ به العَبدُ الإيمانُ والجهادُ فى سَبِيله وكَلِمةُ الإخلاصِ ، فإنَّها الفِطرَةُ ، وإقام الصَّلاةِ ، فإنَّها المِلّة ، وايتَاءُ الزَّكاةِ فإنَّها مِنْ فَرِيضَته ، وصَومُ شَهْر رمَضانَ ، فإنَّه جُنَّةٌ مِنْ عذابِهِ ، وحِجٌّ البَيْت ؛ فإنّه مَنْفاةٌ للفَقْر ، مَدْحَضةٌ للذّنْب ، وصِلَةُ الرَّحِمِ ، فإنَّها مَثْراةٌ فى المالِ ، مَنْسَأةٌ فى الأجَلِ ، محبَّةٌ فى الأهْلِ ، وصدقَةُ السِّرِّ ، فإنَّها تكفِّرُ الخَطِيئَة وتُطْفِىءُ غَضَب الرَّبّ ، وصُنْعُ المعْروف ، فإنَّه يدْفعُ مِيتة السُّوءِ ويَقِى مَصارِعَ الهَوْلِ . أفيضُوا فى ذِكْر الله ، فإنَّه أحْسَنُ الذِّكْرِ ، وارْغَبُوا فِيما وُعِدَ المُتَّقونَ ،

---

(١٥٩) جمع رذيل وهو القليل أو الضئيل من الناس فكراً وعلماً .
(١٦٠) أخرجه البيهقى ، انظر كنز العمال (٢١٨/٨) .

فإنّ وَعْدَ الله أصْدقُ الوَعْدِ ، واقتدوا بِهدَىْ نَبيِّكَم صلّى الله عليه وسلم ؛ فإنَّه أفْضَل الهَدْى ، واستَنُّوا بسُنَّتِهِ ؛ فإنَّها أفْضَل السُّنَن ، وتعلّمُوا كِتابَ الله ؛ فإنَّه أفْضَل الحدَيثِ ، وتَفقهوا فى الدِّينِ ، فإنَّهُ رَبيعُ القلوب ، واسْتَشفَوا بِنُورِه ؛ فَإنَّهُ شِفاءٌ لما فى الصُّدورِ ، وأحْسنُوا تِلاوَتهُ ؛ فإنَّه أحْسَنُ القَصَصِ ، وإذَا قُرِئَ عَليكَم فاستَمِعُوا لهُ وأنْصِتوا لعلّكَم تُرحَمون ، وإذَا هُدِيتم لعِلْمه فاعْملُوا بمَا علمتم بِه لعلّكَم تَهتدُونَ ، فإنّ العالِمَ العَامِلَ بغيْر عِلْمِه كالجاهِلِ الحائِرِ الّذِى لا يَستقيمُ عَنْ جَهْلِهِ ، بَلْ قَدْ رَأيتُ أنّ الحجَّةَ أعْظَمُ ، والحَسْرةَ أدْوَمُ عَنَ هـذا العَالِم المنْسَلخ مِنْ عِلْمهِ ، مِنْ هٰذا الجَاهِلِ المتَحيِّرِ فِى جَهْلِهِ ، وكِلاهُما مُضَلّلٌ مَثْبورٌ(١٦١) لا تَرتابُوا فَتَشكّوا ، ولا تَشكّوا فتكفُرُوا ، ولا تُرْخِصوا لأنْفسكَم فَتَذهَلُوا ، ولا تَذْهلَوا فى الحقِّ فَتخْسَروا ، ألَا وإنّ مِنَ الحَزْم أنْ تَثقَوا ، ومِنَ الثّقةِ ألّا تَغْترُّوا ، وإنّ أنْصَحَكَم لنَفْسهِ أطْوَعُكَم لِربِّهِ ، وإنّ أغَشَّكَم لِنَفْسه أعْصَاكم لربِّهِ ، مَنْ يُطعِ الله يأمَنْ ، ويَستبشِرْ ، ومَنْ يَعْصِ الله يخَفْ وينْدَمْ ، ثمَّ سَلَوا الله اليَقينَ ، وارْغبُوا إلَيْهِ فى العافِيَةِ ، وخَيرُ ما دَامَ فى القَلْب اليقينُ ، إنّ عَوازِمَ الأمورِ أفْضَلُها(١٦٢) ، وإنّ مُحْدثاتِها شِرارُها ، وكلّ مُحدثٍ بِدْعةٌ ، وكلّ مُحدِثٍ مُبْتدعٌ ، ومَنِ ابْتدعَ فَقَد ضَيَّع ، ومَا أحْدثَ مُحدِثٌ بدْعةً إلّا تَرَك بها سنَّة ، المغْبُونُ مَنْ غَبَن دِينَهُ(١٦٣) والمغْبُونُ مَنْ خَسِر نَفْسه .

---

(١٦١) من ثبره الله أهلكه ، ويقال ثبر هو ثبوراً هلك .
(١٦٢) العوازم جمع عزيمة : وهى الفريضة .
(١٦٣) غبنه : أى نقصه وغبن بالبناء للمفعول فهو مغبون .

وإنّ الرِّياءَ مِنَ الشِّرْكِ ، وإنّ الإخلاصَ مِنَ العَمَلِ والإيمانِ ، ومجَالسَ اللّهْو تُنسِي القرْآنَ ويَحْضرُها الشَّيْطانَ وتَدْعو إلَى كُلّ غيٍّ ، ومُجالَسةَ النِّساءِ تُزيغُ القلوبَ ، وتطْمَحُ إلَيْها الأَبْصَارِ ، وهُنَّ مَصائِدُ الشَّيْطانِ ، فاصْدقُوا الله ؛ فإنَّ الله مَعَ مَنْ صَدَق ، وجانِبُوا الكَذبَ ؛ فإنّ الكَذِبَ مُجانِبٌ للإيمانِ . ألَا إنّ الصِّدْقَ عَلَى شَرَف(١٦٤) مَنْجاةٍ وكَرَامَةٍ ، وإنّ الكَذِبَ عَلَى شَرَفِ رَدَى وهلَكَةٍ ، ألَا وقولَوا الحقَّ تُعْرفُوا بِهِ ، واعْملَوا بِهِ تكونُوا مِنْ أَهْلِهِ ، وأَدُّوا الأَمَانَة إلَى مَن ائْتمَنَكُم ، وصِلَوا أَرْحَامَ مَنْ قَطَعكُم ، وعُودُوا بالفَضْل عَلَى مَنْ حَرَمكُم ، وإذَا عاهَدْتُم فأَوْفُوا ، وإذَا حَكَمْتُم فاعْدِلَوا ، ولا تُفاخِرُوا بالآبَاءِ ، ولا تَنابَزُوا(١٦٥) بالألْقابِ ، ولا تَمازَحُوا ولا يغْتَبْ بعْضُكم بَعْضاً . وأعينُوا الضعِيفَ والمظْلومَ والغَارِمين وفِى سَبيلِ الله وابْنَ السَّبيلِ والسَّائِلينَ وفى الرِّقابِ ، وارْحمُوا الأرمَلَةَ(١٦٦) واليتيمَ ، وأفْشُوا السَّلامَ وردُّوا التَّحيةَ عَلى أهْلِها بمثْلِها أو بأحْسَن مِنها ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١٦٧) وأكْرمُوا الضيفَ ، وأَحْسنُوا إلَى الجارِ ، وعُودُوا المَرْضَى ، وشَيِّعوا الجَنائِزَ ، وكُونُوا عِبادَ الله إخواناً .

أمّا بَعْد/ :

فإنّ السَّبقةَ(١٦٨) الجنَّةَ ، والغَايَةَ النَّارُ ، ألَا وإنكَمْ فى أيَّام مَهْلٍ ، مِنْ ورائها أجلٌ يحثُّه عَجلٌ ، فمَنْ أخْلَص لله عملَه فى أيَّامِ مَهْلِه قَبْل حُضُور أجَلِه ، فقد

(١٦٤) شرف : بفتحتين ، أى على رغبة فيه .

(١٦٥) النبز : بفتحتين وهو لقب السوء كفاسق وجاهل أى لا يدعو بعضكم بعضاً بما يسوءه .

(١٦٦) المرأة لا زوج لها .

(١٦٧) ٢ : المائدة .

(١٦٨) أى أن الجنة هى التى ينبغى التسابق إليها بالعمل الصالح .

أحْسَنَ عَمَلَهُ ونالَ أمَلَهُ ، ومَنْ قَصَّرَ عَنْ ذلكَ(١٦٩) فَقَد خَسِرَ عَملَهُ ، وخَابَ أمله ، فاعْملوا فى الرَّغبة والرَّهْبة ، فإنْ نَزلَت بكَم رغبَةٌ فاشْكَروا الله واجْمعُوا مَعَهَا رَهْبَةً ، وإنْ نَزلَت بِكَم رهْبَةٌ فاذْكَروا الله واجْمعُوا مَعَها رَغبَةً ، فإنّ الله قَدْ تأذَّنَ(١٧٠) المسْلِمينَ بالحُسْنَى ومَنْ شَكَر بالزيادَةِ ، وإنّى لَم أرَ مِثْلَ الجنَّةِ نامَ طَالِبُها ، ولا كالنَّارِ نامَ هَارِبُها ، ولا أكْثَر مُكْتَسباً من شَىءٍ كَسبهُ ليومٍ تُدَّخَرُ فيه الدَّخائر ، وتُبْلَى فيه السَّرائر(١٧١) وتجتمع فيه الكبائرُ ، وإنَّه مَنْ لا يَنْفَعُه الحقُّ يضرهُ الباطِلَ ، ومَنْ لا يَسْتَقيم بِهِ الهُدَى يجُورُ به الضَّلاَل ، ومَنْ لا يَنفَعُه اليَقينُ يضُرُّهُ الشَّكُّ ، وإنكم قَدْ أمِرتُم بالظّعْن ، ودُلِلْتُم عَلى الزَّاد ، ألَا وإنّ أخْوَف ما أخَافَ عليكم اثْنانِ : طَولُ الأمَل واتِّباعُ الهَوَى ، فأمّا طولُ الأمل فيُنسى الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيُبْعد عن الحقِّ ، ألَا وإنّ الدُّنيا قد ترحَّلَت مُدبرةً ، ، وإنّ الآخِرةَ قَدْ تَرحَّلت مُقْبلةً ، ولَها بَنُون . فكُونُوا مِنْ أبنَاء الآخِرةِ إنِ اسْتطعْتُم ولا تكُونُوا مِنْ بَنِى الدُّنيا ، فإنَّ الْيومَ عَملٌ ولا حِسابٌ وغَداً حِسابٌ ولا عَمل أهـ(١٧٢) .

○ ○ ○

٥٩ – وخَطبَ عَلىٌّ كرَّم الله وجْهَه فقالَ :

الحمْدُ لله الّذِي جَعَل الحمْدَ مفتَاحاً لِذِكْره ، وسَبَباً للْمزيد مِنْ فَضْله ، ودَليلًا عَلى آلائِه وعَظمتِه ، عِبادَ الله . إنّ الدَّهْر يَجْرى بالباقِينَ كجَرْيِهِ بالماضِينَ لا يَعُودُ ما قَدْ ولّى منْهُ ، ولا يَبْقى سَرْمداً ما فِيهِ ، آخِرُ فعالِهِ

(١٦٩) أى عجز .
(١٧٠) أى أعلم .
(١٧١) فرائض الأعمال الباطنة : كالصوم .
(١٧٢) البداية والنهاية (٣٠٧/٧) .

كأوّلِه ، مُتسابقةٌ أمورُهُ ، مُتظاهرةٌ أعْلامُه ، فكأنّكم بالسّاعَة تَحْدوكَم حَذْوَ الرّاجزِ بشوْلِه فَمَن شَغَل نَفْسه بغَيْر نَفْسِهِ تَحيَّر فى الظّلماتِ ، وارْتَبكَ فِى الهَلكَات ، ومَدّت بِه شَياطِينُه فى طُغْيانِه ، وزَيّنتْ لَهُ سَيِّئَ أعْمالِه ، فالجَنّةُ غَايةُ السّابقينَ ، والنّارُ غايةُ المفرطِينَ ، واعْلموا عِبادَ الله أنّ التَّقْوى دَار حِصْنٍ عَزيز ، والفَجورَ دارُ حِصْنٍ ذَليلٍ ، لا يمْنَع أهْله ، ولا يُحرزُ مَنْ لَجأ إلَيْهِ ، ألَا وبالتّقْوى تُقْطعُ حمّة الخَطايَا ، وباليَقينِ تُدركَ الغايَةَ القَصْوى .

عِبادَ الله

الله الله فى أعزّ الأنْفس عليْكَم ، وأحبّها إلَيْكَم ، فإنّ الله قَدْ أوْضح لكَم سَبيلَ الحقّ وأنار طُرقَهُ ، فَشِقوةٌ لازمةٌ ، أوْ سعَادةٌ دائمةٌ ، فتزوّدوا فى أيّام الفَناءِ لأيّام البَقَاء ، قَدْ دُلِلْتم عَلى الزّادِ ، وأُمِرتُم بالظّعن ، وحثثم عَلى المَسيرِ ، فإنما أنْتم كرَكْبٍ وُقوفٍ لا تَدْرونَ مَتَى تؤْمَرونَ بالمسِيرِ ، ألَا فما يَصْنَعُ بالدُّنيا مَنْ خُلِقَ الآخِرةِ ، وما يَصنْعُ بالمالِ مَنْ عنَّا قَليل يُسْلَبُه وتَبْقى عليْهِ تبعته وحِسابُه .

عِبادَ الله :

إنّهُ لَيسَ لمَا وعَدَ الله مِنَ الخيْرِ مَتْركٌ ، ولا فِيمَا نَهى عنْهُ مِنَ الشّرّ مرغبٌ .

عِبادَ الله :

احْذروُا يَوماً تُفْحص فيهِ الأعْمالَ ، ويكْثُر فيهِ الزّلْزالُ ، وتَشيبُ فيه الأطْفالُ ، اعْلمُوا عِبادَ الله أنّ عَليْكَم رَصَداً مِنْ أنْفسكم ، وعُيوناً مِنْ جَوارِحكَم ، وحُفّاظَ صِدْقٍ يحْفظُونَ أعْمالكَم ، وعَدَدَ أنْفاسِكَم ، لا تَستُركَم مِنهم ظُلْمةُ لَيلٍ دَلجٍ ، ولا يَكُنّكَم مِنهم بابٌ ذَو رتاج ، وإنّ غداً

مِنَ اليَوْم قريبٌ يُذهلَ اليومُ بما فِيهِ ، ويجيءُ الغدُ لاحقاً بِهِ ، فكأنَّ كُلَّ امرئٍ منكُمْ قَدْ بَلَغ مِنَ الأرْضِ مَنزلَ وَحْدتَهُ وخطَّ حُفرتهُ ، فَيالَه مِنْ بيتٍ وحْدةٍ ، ومنْزِلٍ وَحْشةٍ ، ومفْرَد غُرْبةٍ . وكأنَّ الصَّيْحَة قَدْ أتتكَمْ ، والسَّاعةَ قَدْ غشيتكم ، وبرزْتُم لِفصلِ القَضاءِ ، قَد زاحَتْ عَنكَم الأباطيلَ ، واضْمحلَّتْ عنكَم العِللَ ، واستْحقت بكَم الحقَائِق ، وصَدَرت بكَم الأمورُ مَصادِرها ، فاتَّعظَوا بالغِيَرِ ، وانْتفعُوا بالنُّذُرَ » أ هـ(١٧٣) .

○ ○ ○

٦٠ — عَنْ ابراهِيمَ التَّيمْى عَنْ أبيهِ قالَ : خَطَبنا علىٌّ رَضىَ الله عنْهُ فقالَ :

« مَنْ زَعَم أنّ عِنْدنَا شَيْئاً نقْرؤُه إلا كتابَ الله ، وهٰذِه الصَّحيفة صَحِيفَةٌ فِيها أسْنانَ الإِبِلِ وأشْيَاءُ مِنَ الجِراحَات فَقَد كذَبَ ، قالَ : وفِيها قالَ رسُولَ الله ﷺ : المدِينَةَ حَرَمٌ مَا بيْن عَيْرٍ إلَى ثَوْر ، فَمَن أحْدَث فِيها حَدَثاً أوْ آوَى مُحْدِثاً فعليْهِ لعْنَةَ الله والملائكةِ والنَّاسِ أجْمعِينَ ، لا يقْبلَ الله مِنه يَوْمَ القِيامَةِ عَدْلاً ولا صرْفاً ، ومَن ادَّعى إلَى غيْر أبيهِ أوْ تَولّى غيْر مَواليهِ فَعَليْه لعْنَةَ الله والملائِكَةِ والنَّاسِ أجْمعِينَ ، لا يقْبل الله مِنْه يَوْم القِيامَة صرْفاً ولا عَدْلًا ، وذِمَّةَ المسْلِمِينَ واحِدةٌ يِسْعى بِها أدْناهُم » أ هـ(١٧٤) .

٦١ — عَنْ أبِى عَبْد الرَّحْمـٰن السّلمىّ قالَ :

خَطَب علىٌّ رَضىَ الله عنْهُ قالَ : « يأيُّها النَّاسُ ! أقِيمُوا عَلَى أرِقَّائكم الحدُودَ مَنْ أحْصَن مِنْهم ومَنْ لَم يُحْصَن ، فإنّ أمَةً لِرسُول الله ﷺ زَنَت ،

---

(١٧٣) نهج البلاغة (١/٣٠٥) .
(١٧٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/٨١) .

فأمرنى رَسولَ الله ﷺ أنْ أقِيمَ عَليها الحدَّ ، فأتَيْتُها فإذَا هِىَ حَديثَ عَهدٍ بِنِفاسٍ ، فخشِيتُ إنْ أنا جَلدْتُها أن تَمُوت فأتَيتُ رسُولَ الله ﷺ فَذكرْتُ ذَلكَ لهُ ، فقال : أحْسَنْتَ » أهـ(١٧٥) .

٦٢ - عَنْ عُميْر بن عَبْد الملِكِ قالَ : خطَبنا علىُّ بنُ أبِى طالبٍ رَضىَ الله عنهُ عَلَى مِنْبر الكَوفةِ قالَ « كنتُ إنْ لَمْ أسْأل النَّبىَّ ﷺ ابْتدأنى ، وإنْ سَألْتُهُ عَنِ الخَيْر أنبأنى ، وإنَّه حدَّثنى عَنْ ربِّه عزَّ وجلّ قالَ : يقولَ الله عزَّ وجلّ :

وارْتِفاعِى فوْق عَرْشِى ، مَا مِنْ أهْل قَرْيةٍ ولا أهْل بيْتٍ ، ولا رَجُلٍ ببادية كانُوا عَلى ما كَرِهتُ مِنْ مَعْصِيتى ثمَّ تحوَّلوا عَنْها إلَى ما أحْببت مِنْ طاعَتِى إلّا تَحوَّلتُ لَهُم عمَّا يكْرهُونَ مِن عَذابِى إلَى ما يُحبُّون مِنْ رحْمَتى ، وما مِنْ أهْلِ قرية ولا أهْل بَيْتٍ ، ولا رجُلٍ ببادِيَةٍ كانُوا عَلى ما أحْببَتُ مِنْ طاعَتِى ثمَّ تحوَّلوا عَنْها إلى ما كَرهتُ مِنْ مَعْصيتى إلّا تحوَّلتُ لَهُم عمَّا يُحبونَ مِنْ رحْمِتى إلَى ما يكْرهُون من غَضَبى » أهـ(١٧٦)

○ ○ ○

(١٧٥) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١٥٦/١) .
(١٧٦) أخرجه ابن مردويه . كنز العمال (٢٠٣/٨) .

خُطَب الحَسنِ بن عليٍّ رضى الله عنهُ

لمَّا تُوفِّى على رَضى الله عنهُ :

٦٣ – عَنْ هُبيْرةَ قالَ : لما تُوفِّى عليٌّ بنُ أبِى طالبٍ رَضىَ الله عنهُ قامَ الحسنُ ابنُ عليٍّ رضَى الله عَنهما – فَصعِدَ المنْبرَ فقالَ :

« أيُّها النَّاسُ ! قَدْ قُبضَ اللَّيلَة رَجلٌ لَم يَسْبقْه الأوَّلونَ ، ولا يُدْركَه الآخِرونَ ، قَدْ كانَ رَسُولُ الله ﷺ يبْعثُهُ المبْعَثَ فيكْتنِفهُ جِبريلُ عَن يَمينهِ ومِيكائيلَ عَنْ شِماله ، فَلا ينْثنِى حتَّى يفْتَح الله لهُ ، وما تركَ إلاَّ سبْعمِائةِ دِرهمٍ أرَاد أنْ يَشْترىَ بها خَادماً ، ولَقَد قُبضَ فى اللَّيلةِ الَّتى عُرِج فِيها بُروحِ عِيسَى بنِ مَرْيم ليْلَة سَبعٍ وعِشْرين مِنْ رَمَضان » .

وزادَ فى رواية « ما تَرَك صَفْراءَ ولا بَيْضاءَ إلّا سَبْعَمائةِ دِرْهمٍ فَضلتْ مِنْ عَطائِه » أ هـ(١٧٧) .

٦٤ – عَنِ الحَسنِ رَضىَ الله عنهُ أنَّه لما قَتَلَ عليٌّ رضىَ الله عنهُ قامَ خَطيباً ، فحمِدَ الله وأثْنَى عَليه ثمَّ قالَ :

« أمَّا بَعْدُ : والله لَقَد قَتلْتُم اللَّيلةَ رَجُلاً فى ليلةٍ نَزَل فِيها القُرآنُ ، وفِيها رُفِعَ

---

(١٧٧) أخرجه أحمد (١/١٩٩) .

عِيسَى بنُ مَرْيمَ عَليه السَّلامُ ، وفِيها قُتِل يُوشعُ بنُ نُونٍ فَتى مُوسَى عليه السَّلامُ ، وفيها تِيبَ عَلَى بَنى إسْرائِيل »أهـ(١٧٨) .

○ ○ ○

٦٥ – عَنْ أَبِى جَمِيلةَ أَنّ الحَسَن بنَ علىٍّ رضىَ الله عَنْهما – حِين قُتِل علىٌّ رضِىَ الله عنْهُ استُخلفَ ، فبيْنا هُو يُصلِّى بالنَّاسِ إذْ وَثَب إليْهِ رَجلٌ فطَعنهُ بخِنْجرٍ فى وَركهِ فتمرَّضَ مِنْها أشْهراً ثمَّ قامَ فَخطَب عَلى المِنْبر فقالَ :

يأهْلَ العِراقِ اتَّقُوا الله فينَا فإنَّا أمراؤكَم وضيِفَانكَم ، ونحْنُ أهْلَ البَيتِ الّذينَ قالَ فيهم اللهُ عزَّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(١٧٩) فما زال يَوْمئذٍ يتكلّمُ حتَّى ما تَرَى فى المسْجِد إلّا باكياً » أهـ(١٨٠) .

○ ○ ○

٦٦ – عَنِ الشَّعْبى قال : شَهِدْتُ الحَسَنَ بنَ علىٍّ رضىَ الله عنْهما حِينَ صَالحهُ مُعاوَيةَ – رَضىَ الله عنهُ – فقَالَ لهُ مُعاوِيَة : إذْ كان ذَا فقم فتكلّمْ وأَخبِرِ الناسَ أنّك قَدْ سَلّمتَ هَذا الأمْرَ لِى – وربَّما قالَ سُفْيان : أَخْبر الناسَ بِهذَا الأمْرِ الّذِى ترَكْتَهُ – فَقامَ فخطَبَ عَلى المِنْبر فحمِدَ الله وأثْنى عَلَيْهِ – قالَ الشَّعْبىُّ : وأنَا أسْمع – ثمَّ قالَ :

« أمَّا بعْدُ : فإنّ أَكْيَس الكَيْس التُّقَى ، وإنّ أَحْمَق الحمْقِ الفَجورُ ، وإنّ

---

(١٧٨) منتخب كنز العمال (٥/١٦١) .

(١٧٩) الأحزاب : ٣٣

(١٨٠) أخرجه الطبرانى عن أبى جميلة ، مجمع الزوائد (٩/١٧٢) وقال : رجاله ثقات .

هَذا الأَمَرَ الَّذِى اخْتلفْتُ فِيهِ أَنَا ومُعاوِيةَ إِمَّا كانَ حَقًّا لى تَرَكْتُهُ لمعاوِيةَ إرادَةَ صَلاحِ هٰذِه الأُمَّة وحَقْن دِمائِهِم أوْ يكونَ حَقاً كانَ لامْرِىءٍ أحقَّ به مِنِّى فَفَعلتُ ذلكَ ، وإنْ أدْرِى لعلّهُ فِتْنةٌ لكُم ومَتاعٌ إلَى حِينٍ » أهـ(١٨١) .

○ ○ ○

٦٧ – وذَكَر ابنُ جَرِيرٍ فى تاريخِهِ أنّ الحَسَن بنَ علىٍّ رضىَ الله عنْهُما قالَ فى تلك الخُطْبة :

« أمّا بَعْد ، يأيُّها النَّاسُ ، فإنّ الله قَدْ هَداكَم بأوَّلنا وحَقَن دِماءَكَم بآخِرِنا ، وإنّ لهذا الأَمْرِ مُدَّة ، والدُّنْيا دُوَل ، وإنّ الله تَعالى قالَ لِنَبيِّه ﷺ : ﴿ وإنْ أدْرِى لَعلّه فِتنةٌ لَكُم ومَتَاعٌ إلَى حِينٍ ﴾ أهـ(١٨٢) .

○ ○ ○

٦٨ – عَنْ مُحمدِ بنِ الحَسَنِ قالَ : لما نَزَل عُمر بنُ سَعْدٍ بالحُسيْن ، وأيْقَن أنّهم قاتِلوه ، قامَ فى أصْحابِه خَطِيباً ، فَحمِدَ الله عزَّ وجلّ وأثْنى عَليْه ثمّ قالَ : « قَدْ نَزَل مَا تَرَوْنَ مِنَ الأَمْرِ ، وإنّ الدُّنْيا تَغيَّرتْ وتنكَّرتْ ، وأدْبَرَ(١٨٣) مَعْرُوفها وانْتشَرَ حتَّى لَمْ يَبْق مِنْها إلّا صُبابَةُ الإناءِ إلا حَشِيشُ عِيس كالمَرْعَى الوَبِيل(١٨٤) ، ألَا تَرَوْنَ الحقَّ لا يُعْمَلَ بِه ، والباطِلَ لا يُتَناهَى عنْهُ ؟ لِيرْغَب المؤْمنُ فِى لَقاءِ الله ، فإنِّى لا أرَى الموْتَ إلّا سَعادَةً ، والحيَاةَ مَعَ الظّالمينَ

---

(١٨١) أخرجه الطبرانى ، قال الهيثمى فى مجمع الزوائد فيه مجالد بن سعيد وفيه كلام وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح » أهـ (٢٠٨/٤) .

(١٨٢) تاريخ ابن جرير (١٧٣/٨) .

(١٨٣) أى مضى .

(١٨٤) الوخيم .

إلّا بَرَمًا » أ هـ(١٨٥)

○ ○ ○

٦٩ – عَنْ عُقْبة بنِ أَبِي العيزار أنّ الحُسَين خَطَب أصْحابَهُ وأصْحابَ الحرِّ بِالبَيْضةِ ، فَحَمدَ الله وأثنى عليْهِ ، ثمَّ قالَ :

«أيُّها النَّاسُ ، إنّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ : مَنْ رأى سُلْطاناً جائراً مُسْتحلاً لحُرَمِ الله ناكِثاً(١٨٦) لِعهْدِ الله ، مخالِفاً لِسُنة رسُولِ الله ﷺ ، يَعْمل فى عِبادِ الله بالإِثْم والعُدْوانِ ، فلَمْ يُغيِّر عَليْه بفعْلٍ ولا قولٍ ، كانَ حقّا عَلَى الله أنْ يُدْخلهُ مُدْخَلهُ ، ألَا وإنّ هَؤلاءِ قَدْ لَزِمُوا طاعَةَ الشَّيْطانِ ، وتركُوا طَاعَةَ الرَّحْمــٰن ، وأظْهروا الفَسَادَ ، وعطّلوا الحُدودَ ، واسْتأثرُوا بالفَيْء ، وأحلّوا حَرامَ الله وحرَّمُوا حَلالَهُ ، وأنَا أحَقُّ مَنْ غَيَّر ، وقَدْ أَتتنى كُتُبُكم وقَدمَتْ عليَّ رُسُلُكم ببيْعتكمُ أنكَمْ لا تسلمُونى ، ولا تَخْذلُونى ، فإنْ تَمَّمْتُم عَلَى بيْعتِكَم تُصيبُوا رُشْدَكَم ، فأنَا الحُسيْن بنُ عَليٍّ وابنُ فاطِمةَ بنْت رَسُولِ الله ﷺ ، نَفْسى مَعَ أنْفسكَم ، وأهْلِي مَع أهْلِيكَم ، منكَم فىَّ أسْوةٌ ، وانْ لَم تفعلُوا ونَقضتُّم عَهْدَكَم ، وخَلعْتُم بَيْعتِى مِنْ أعْناقِكَم فَلَعَمْرى ما هِىَ لكَم بِنكْر ، لَقَد فعَلْتُموها بأَبِى وأخِي وابْن عَمِّى ، والمغْرُورُ منكَمْ مَنِ اغْترَّ بكَم ، فحظّكم أخطأتُم ، ونَصيبَكَم ضيَّعتُم ، ومَنْ نكثَ فإنَّما ينْكُثُ عَلَى نَفْسهِ ، وسيُغْنِى الله عَنْكَمْ والسَّلامُ عَلَيْكَمْ ورحْمةَ الله وبركاتُه أ هـ(١٨٧) .

○ ○ ○

---

(١٨٥) أخرجه الطبرانى ، مجمع الهيثمى (١٩٣/٩) وقال : محمد بن الحسن هذا هو ابن زبالة متروك ولم يدرك القصة » أ هـ .

(١٨٦) ناكثاً : ناقضاً .

(١٨٧) ذكرها ابن جرير فى تاريخه (٣٠٥/٤) .

آخر خُطبةٍ لسيِّدنا الحُسيْن رَضىَ الله عنهُ :

فى اليَوْم الّذى استُشْهد فيه :

٧٠ – خَطَب الحُسيْن بنُ عَلىٍّ رضىَ الله عنهُ فى اليَوْمِ الّذى استُشْهِدَ فِيهِ فحمِدَ الله وأثْنى عَليْه ثمَّ قالَ : « يا عِبادَ الله اتَّقُوا الله وكُونُوا مِنَ الدُّنْيا عَلَى حَذَرٍ ، فإنّ الدُّنْيا لَوْ بَقيتْ عَلَى أحَدٍ أوْ بَقىَ عَليْها أحَدٌ ، لكانَتِ الأنْبياءُ أحَقَّ بالبَقاءِ ، وأوْلَى بالرِّضاءِ ، وأرْضَى بالقَضاءِ ، غَيرَ أنّ الله تعالَى خلَقَ الدُّنْيا لِلفَنْاءِ ، فَجدِيدُها بالٍ ، ونَعِيمها مُضمحلٌ ، وسُرورُها مُكفَهرٌّ(١٨٨) والمْنزِلة تَلْعَةٌ(١٨٩) والدَّارُ قَلْعَةٌ(١٩٠) ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾(١٩١) ، واتَّقُوا الله لعلّكَم تُفْلحون » أهـ(١٩٢) .

○ ○ ○

---

(١٨٨) مكفهر : كمطمئن يعنى متغير غير خالص .

(١٨٩) تلعة : بفتح فسكون أى مرتفع أو منخفض حسب عمل الإنسان فهو من الأضداد .

(١٩٠) قلعة : بضم فسكون العارية وفى الحديث بئس المال القلعة .

(١٩١) البقرة : ١٩٧ .

(١٩٢) الدين الخالص (٢٥٣/٤) .

خطب معاوية بن أبى سفيان

التقوى :

٧٠ – خَطبَ مُعاويةَ بنُ أبى سُفْيانَ الجمعَة فى يَوْم صَائِف شَديدِ الحَرّ ، فَحمِدَ الله وأثْنَى عَلَيْهِ ، وصلّى على رسَولِهِ ﷺ ثمّ قالَ :

« إنّ الله عَزّ وجلّ خَلقكم فلَمْ يَنْسكَم ، وَوَعظكَم فلَمْ يُهْملكم ، فقالَ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١٩٣) قومُوا إلَى صَلاتِكم » أهـ(١٩٤) .

○ ○ ○

إنّما العِلْم بالتّعلّم :

٧١ – عَنْ مكْحُولٍ عَن مُعاويةَ – رَضِىَ الله عنهُ – أنهُ قالَ وهُو يخْطُب عَلَى المنْبَر : سَمِعْت رَسولَ الله ﷺ يقَولَ :

« يأيُّها النّاسُ ، إنّما العِلْمُ بالتّعلّم ، والفِقْهُ بالتّفقّهِ ، ومَنْ يُرِدِ الله به خَيْراً

---

(١٩٣) ١٠٢ : آل عمران .

(١٩٤) ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد (٢/٣٧٤) .

يُفقّههُ فى الدِّينِ ، وإنَّما يخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلماءُ ، ولَنْ تَزالَ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّتى ظاهِرِيَن عَلى النَّاسِ لا يُبالُونَ مَنْ خَالَفهُم ولَا مَنْ ناوَأهُم حتَّى يأْتِىَ أمْرُ اللهِ وهُم ظاهِرُونَ » أ هـ(١٩٥) .

○ ○ ○

---

(١٩٥) كنز العمال (٧/١٣٠) .

خطب عبدالله بن مسعود

٧١ – خَطبَ عبدُ الله بنُ مَسْعودٍ رَضِىَ الله عنهُ فقالَ بَعْد حَمْدِ الله والثَّناءِ عَلَيْه :

« إنّ أصْدَقَ الحَديثِ كِتابُ الله ، وأوْثَقَ العُرا كَلِمةُ التَّقْوى ، وخَيْرَ المِلَلِ مِلّةَ إبْراهِيمَ ﷺ ، وأحْسَنَ السُّنَنِ سُنَّةَ مُحمد ﷺ ، وخيرَ الهَدْى هَدْىُ الأنْبياءِ ، وأشْرَف الحَديثِ ذِكْرُ الله ، وخيرَ القَصصِ القرآنَ ، وخَيرَ الأُمورِ أوْسَاطَها ، وشَرَّ الأُمورِ مُحْدثاتُها ، وما قَلّ وكَفَى خيرٌ مما كَثُر وألْهَى . وشَرَّ النَّدامةِ نَدامةَ القِيامَةِ ، وشَرَّ الضَّلالةِ الضَّلالةَ بَعْد الهُدَى ، وخَيرَ الغِنَى غِنى النَّفس ، وخَيْر الزَّادِ التَّقْوَى ، وخَيرَ ما أُلْقِىَ فى القَلْب اليقِينُ.والرَّيبُ مِنَ الكُفْرِ ، وشَرَّ العَمَى عَمَى القَلْب . والخَمرُ جِماعُ كُلِّ إثمٍ ، والنِّساءُ حبَالَةُ(١٩٦) الشَّيْطانِ ، والشَّبابُ شعْلةٌ مِنَ الجُنون ، والنَّوحُ مِنْ عَملِ الجَاهِلِيَّةِ ، ومِنَ النَّاسِ مَنْ لا يأتِى الجَماعَة إلّا دُبُرًا ، ولا يَذْكُرُ الله إلا هَجْراً ، وأعْظَمُ الخَطايَا الكَذِبُ ، وسِبابُ المُؤمن فُسوقٌ ، وقِتالُه كفرٌ ، وأكْلُ لَحْمِهِ(١٩٧) مَعْصيةٌ ، وحُرمَةُ مالِهِ كَحُرمَةِ دَمِه ، ومَنْ يَعْفُ يَعْفُ الله عنْهُ ، ومَنْ يكْظم الغَيظَ يأجُرْه الله ، ومَنْ يغْفِرْ يَغْفر الله لهُ ، ومَنْ يَصْبِرْ عَلى

---

(١٩٦) الحبالة : بكسر الحاء ما يصاد بها .
(١٩٧) كناية عن غيبته .

الرَّزِيَّةِ يُعقبْهُ الله . وشرُّ المكَاسب كَسبُ الرِّبَا ، وشرُّ الأكْلِ أكْلُ مَالِ اليَتيمِ ، والشَّقىُّ مَنْ شَقىَ فى بَطْنِ أمِّه ، والسَّعيدُ مَنْ وُعِظ بغَيْرِهِ ، وإنَّما يكفى أحَدَكم ما قَنِعتْ بِهِ نفْسُه ، وإنَّما يَصيرُ إلَى أرْبَعة أذْرَعٍ ، والأمُورُ بعَواقِبِها ، ومِلاكُ العَمَلِ خَواتِيمُه ، وأشْرفُ المَوْت الشَّهادَةَ ، ومَنْ يَعْرِفِ البَلاءَ يَصبِرْ عَليْه ، ومَنْ لا يعرفْه ينكرْه ومن يستكبرْ يضعْه الله ، ومن يطعِ الشيطان يعص الله ، ومن يَعْصِ الله يُعذِّبْه » أ هـ(١٩٨) .

○ ○ ○

٧٢ – عَنْ أبِى الدَّرْداءِ رَضىَ الله عنهُ قالَ : « خَطبَ رسُولَ الله ﷺ خطبةً خَفيفةً فَلَّما فرَغَ مِنْ خُطبتِهِ قالَ : يا عُمر ، قُمْ فاخْطُب ، فقامَ فَقَصَّر دُونَ رَسول الله ﷺ ، ودُون أبِى بكْرٍ ، فلمّا فرَغَ مِنْ خُطبتِهِ قالَ : يا فُلانَ : قُمْ فاخْطَب فَشقَّق(١٩٩) القَوْلَ ، فَقالَ لهُ رسُولَ الله ﷺ : اسْكُت – أو : اجْلِس – فإنّ التشقيق مِنَ الشَّيْطانِ ، وإنّ البَيان مِنَ السِّحر ، وقالَ : يابْنَ أمِّ عَبْد ، قُمْ فاخْطَب ، فقامَ ابنُ أمِّ عَبْدٍ فحَمِدَ الله وأثْنى عَليْه ثمَّ قالَ : يٰأيها النَّاسُ ! إنّ الله عزَّ وجلّ ربُّنا ، وإنّ الإسْلامَ دِينُنَا ، وإنّ القَرآنَ إمامُنا ، وإنّ البَيْتَ قِبْلَتنا ، وإنّ هٰذا نَبيُّنا – وأوْمأ بيَدِه إلى النَّبىِّ ﷺ ،. رَضِينَا ما رَضىَ الله تعالى لنَا ورسُولَه ، وكَرِهْنا ما كَرِهَ الله تَعالَى لنَا ورسُولَه ، فقالَ النَّبىُّ ﷺ : أصابَ ابْنُ أمِّ عَبْدٍ أصابَ ابْنُ أمِّ عَبْدٍ وصدَقَ ، رَضىَ الله تَعالَى لِى ولأمَّتِى وابْنِ أمِّ عبدٍ » أ هـ(٢٠٠) .

---

(١٩٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، وانظر الدين الخالص (٢٥٥/٤) .

(١٩٩) أى تطلب فيه ليخرجه أحسن مخرج .

(٢٠٠) أخرجه الطبرانى عن أبى الدرداء ، انظر مجمع الزوائد (٢٩٠/٩) وقال : رجاله ثقات إلا أن عبيدالله بن عثمان بن خيثم يسمع من أبى الدرداء » أهـ .

٧٣ – عَنْ أبى وائلٍ أنّ عَبدَالله بنَ مَسعُودٍ رضِىَ الله عنهُ سارَ مِنَ المدِينَة إلى الكَوفَةِ ثمانِياً حِينَ استْخْلِفَ عُثمانَ بنُ عَفّان ، فَحَمِدَ الله وأثنى عَليهِ ثمَّ قالَ : « أمَّا بَعْد ، فإنّ أمِيرَ المْؤمنينَ عُمرَ بنَ الخَطّاب ماتَ فلَمْ نَرَ يَوْماً أكثر نشيجاً(٢٠١) مِنْ يَومئذٍ ، وإنَّا اجْتَمعنا أصْحابَ مُحمدٍ فلَم نَألُ عن خَيْرِنَا ذِى فَوقٍ ، فَبايَعْنا أمِيرَ المؤمنينَ عُثمانَ فَبايِعُوهُ » أهـ(٢٠٢) .

○ ○ ○

---

(٢٠١) بكاء

(٢٠٢) أخرجه ابن سعد (٦٣/٣) الطبقات .

خُطَب عَبْدالله بن الزبير

٧٤ – خَطَبَ عَبدُالله بنُ الزُّبيرْ فَحمِدَ الله وأثْنَى عَليْه ثمَّ قالَ : « أمَّا بَعدُ فإنَّكم جئتُم مِنْ آفاقٍ شتَّى ، وُفوداً إلَى الله عزَّ وجلّ ، فَحقٌّ عَلى الله أنْ يُكرِمَ وَفدَهُ ، فَمَن جَاءَ يطْلبُ ما عِندَ الله فإنّ طالِبَ الله لا يَخيبُ ، فَصدِّقوا قَولكم بفعْل ؛ فإنّ مِلاكَ القَوْلِ الفِعْلَ ، والنِّيةَ النِّيّة ، القلوبَ القَلوبَ . الله الله فى أيَّامِكَم هٰذِهِ ؛ فإنَّها أيَّامٌ تُغفَرُ فيها الذّنوبُ ، جئتُم مِنْ آفاقٍ شتَّى فى غَيْر تجارَةٍ ولا طلَبِ مالٍ ولا دُنْيا ترجُونَها » أهـ(٢٠٣) .

○ ○ ○

٧٥ – عَنْ سَهْلِ بنِ سَعد السَّاعديِّ الأنْصاريِّ قالَ : سَمعتُ ابنَ الزُّبيْر يقَولَ فى خَطَبتِهِ عَلى مِنْبَر مكّةَ : « يأيُّها النَّاسُ إنّ رسُولَ الله ﷺ كانَ يقَولَ : لَوْ أنّ ابْنَ آدَمَ أعْطىَ وَادياً مِنْ ذَهبٍ أحبَّ إلَيْهِ ثانياً ولَوْ أعْطىَ ثانياً أحَبَّ إليْهِ ثالثاً ، ولا يملأ جَوْفَ ابن آدَمَ إلّا التُّرابُ ، ويَتُوبُ الله علَى مَنْ تابَ » أهـ(٢٠٤) .

○ ○ ○

---

(٢٠٣) ذكره أبو نعيم فى الحلية ، (٣٣٦/١) ، وأخرجه الطبرانى بزيادة ، انظر مجمع الزوائد (٢٥٠/٣) .

(٢٠٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٣٧/١) .

٧٦ - عَنْ كَلثومٍ بنِ جَبْر قالَ : خطَبنا ابنُ الزُّبير فقالَ : « يا أهْلَ مَكّة ، بلَغني عَن رجالٍ مِنْ قُريش يلْعبُون بلُعْبةٍ تُقال لَها النَّردشِير ، وكان أعْسرَ ، قالَ الله :

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾(٢٠٥) .

وإنِّي لأحْلفُ باللهِ لا أُوتَى برجُل لَعِبَ بها ألّا عاقَبْته في شَعْرهِ وبَشَرهِ ، وأعْطيتُ سَلَبه لمنْ أتاني بهِ » أهـ(٢٠٦) .

○ ○ ○

---

(٢٠٥) ٩٠ : المائدة .

(٢٠٦) أخرجه البخاري في الأدب (١٨٦) .

خطب حذيفة بن اليمان رضى الله عنه :

٧٧ – عَنْ أَبِى عَبْدِ الرَّحمنِ السُّلَمِى قال : انطلقتُ إلَى الجمعَةِ مَعَ أَبِى بالمَدائِنِ وبيْنَنَا وبيْنَها فَرسخٌ ، وحُذَيفَةَ بنُ اليَمانِ رَضىَ الله عنهُ علَى المدائنِ ، فصعِدَ المنبرَ فحمِدَ اللهَ وأثْنَى عَليْهِ ثمَّ قالَ : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾(٢٠٧) ألَا وإنَّ القَمَرَ قَدِ انْشَقَ ، ألَا وإنَّ الدُّنْيا قَدْ آذَنَت بفراقٍ ، ألَا وإنَّ اليَوْم المضمار وغداً السِّباق ، فقلْتُ لأَبِى : ما يَعْنى بالسِّباقِ ؟ فقالَ : من سبَقَ إلى الجَّنة » أهـ(٢٠٨) .

○ ○ ○

٧٨ – عَن أَبِى نُعيم أيْضاً فى الحِلْية ، عَنْ كَرْدَسٍ قالَ : خَطَب حُذيْفةُ بالمدائِنِ فَقال : أيُّها الناسُ تعاهدُوا ضَرائبَ غِلمانِكُم ، فإنْ كانَتْ مِن حَلال فكلُوها ، وإنْ كانَتْ مِن غيْرِ ذلكَ فارْفضوها ، فإنِّى سَمْعت رسولَ الله ﷺ يقولَ : « إنَّه لَيسَ لَحمٌ ينْبُت مِنْ سُحتٍ فيدْخلَ الجنَّةَ » أهـ(٢٠٩) .

○ ○ ○

---

(٢٠٧) ١ : القمر .
(٢٠٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٨١/١) .
(٢٠٩) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، انظر حياة الصحابة (٤٩٠/٣) .

٧٩ – عَنْ أبى دَاودَ الأحْمَدى قالَ : خَطَبنا حُذيفة بالمدائِن فقالَ : « أيُّها النَّاسُ ، تَفقّدوا أرقّاءَكم ، واعْلَموا مِنْ أيْن يأتونكُم بضرائِبهم ، فإنّ لَحماً نَبَت مِنْ سُحتٍ لَنْ يَدخُل الجنَّة أبداً ، واعْلَموا أنّ بائِع الخَمْر ومُبتاعَه ومُقتَنِيَه كآكِلِه » أهـ(٢١٠) .

○ ○ ○

(٢١٠) أخرجه عبد الرزاق عن أبى داود كما فى كنز العمال (٢/٢١٨) .

خُطبةَ عُتبة بن غزوان رضى الله عنه

٨٠ – عَنْ خالِد بْنِ عُميرٍ قالَ : خَطَبنا عُتبةَ بنُ غَزوانَ رَضىَ الله عنْهُ وكانَ أميراً بالبَصْرة ، فحَمِدَ الله وأثْنَى عليْهِ ثمَّ قالَ : « أمَّا بعْدُ ، فإنّ الدُّنْيا قَدْ آذَنَت بِصَرْمٍ وولّتْ حذاءً ، ولَم يَبْق مِنها إلّا صبابَةٌ(٢١١) كَصُبابَةِ الإناءِ يتصابُّها(٢١٢) صَاحِبُها ، وإنكَم مُتنقّلون مِنها إلَى دارٍ لا زَوالَ لَها ، فانْتقَلُوا بخَيْرِ ما بحْضْرتكم ؛ فإنّه قَدْ ذُكِرَ لنا أنّ الحَجَر يُلقَى مِنْ شَفير(٢١٣) جَهنّم فيْهوِى فيها سبعْينَ عاماً لا يُدْرِكُ لَها قَعْراً ، والله لَتُملأنّ ، أفَعجْبتُم ؟ ولَقَد ذُكرَ لَنا أنّ ما بَيْن مِصْراعَيْن مِنْ مَصاريع الجنَّةِ مَسيرةُ أرْبعِين عاماً ، وليأتِينَّ عليْه يَومٌ وهُوَ كظيظٌ(٢١٤) مِنَ الزّحامِ ، ولَقَد رأيتُنى سابعَ سَبْعةٍ معَ رسُولِ الله ﷺ ، ما لَنا طعامٌ إلّا وَرَقَ الشَّجَرِ حتَّى قَرِحَتْ أشْداقنا ، فالْتَقَطتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُها بيْنى وبَيْن سَعد بن مالِكٍ فَأتزرت بنِصِفْها ، وأتزر سَعَدُ بنصْفِها ، فَما أصْبَح اليَومَ منَّا أحدٌ إلّا أصْبَح أمِيراً على مِصْرٍ مِنَ الأمْصارِ ، وإنّى أعُوذَ بالله أنْ أكونَ فى نفْسِى عَظيماً وعِنْد الله صَغِيراً »أهـ(٢١٥) .

○ ○ ○

(٢١١) البقية اليسيرة من الشراب تبقى فى أسفل الاناء .
(٢١٢) أى يشرب صبابتها .
(٢١٣) أى من ناحيتها .
(٢١٤) أى ممتلئ .
(٢١٥) الترغيب (١٧٩/٥) .

خطبة أبى مُوسى الأشعرىّ رضى الله عنه

٨١ – عَن قَسامَة بنِ زُهيرٍ أنّ أبَا مُوسَى رَضىَ الله عنهُ خطَبَ الناسَ بالبَصْرة فَقال :

« أيُّها النَّاسُ ابْكَوا فإنْ لَمْ تَبْكَوا فَتَباكَوْا ، فإنّ أهْل النَّار يبْكَون الدُّموعَ حتَّى تَنْقطِعَ ، ثمَّ يبْكون الدِّماءَ حَتَّى لَوْ أُجْرِى فِيها السُّفُن لَسارَتْ » أهـ(٢١٦) .

○ ○ ○

خطبة ابن عباس رضى الله عنه

٨٢ – عَنْ شَقيقٍ قالَ : « خَطَبنا ابنُ عبَّاسٍ رَضىَ الله عنْهُما وهُوَ عَلى المْوْسِم فافْتَتح سُورةَ البَقَرة ، فجعَلَ يقرأُ ويُفسِّر ، فجعَلْتُ أقولَ : ما رأيتُ ولا سَمِعتُ كلامَ رجُل مِثلِه ، لَوْ سَمِعَتْه فارسُ والرُّومُ لأَسْلَمتْ » أهـ(٢١٧) .

○ ○ ○

---

(٢١٦) أخرجه ابن سعد (٤/١١٠) .

(٢١٧) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٣٨٣) .

خطبة سَعْدِ بن عُبَيد القارِئ والد عُمَير الآتى بعده

٨٣ – عَنْ سَعْد بن عُبيدٍ أنَّه خَطبهُم فقالَ : « إنَّا لاقُو العَدوِّ غَداً وإنَّا مُستشهدون غَداً ، فلا تَغْسِلُوا عنَّا دَماً ، ولا نكفَّنُ إلّا فى ثَوبٍ كانَ عَلَيْنا »أهـ(٢١٨) .

○ ○ ○

خُطْبة عُمْير بْن سَعْدٍ رضى الله عنه

٨٤ – عَنْ سَعيدِ بن سُويد بن عُمْير بن سَعْد رضىَ الله عنهُ أنَّه كانَ يَقولَ وهُو أميرٌ – عَلَى المنْبرِ عَلى حِمْص وهُو مِنْ أصْحاب النَّبىِّ ﷺ :

« إنّ الإسْلامَ حائطٌ مَنيعٌ ، وبابٌ وَثيقٌ ، فحائِطَ الإسْلامِ العَدْلَ ، وبابُهُ الحقُّ ، فإذَا نُقِضَ الحائطَ وحُطِّمَ البابُ استُفْتِحَ الإسْلامُ ، فلا يَزالُ الإسْلامُ مَنِيعاً ما اشْتدَّ السُّلْطانَ ، ولَيسَ شِدَّةَ السُّلْطانِ قَتْلاً بالسَّيْفِ ، ولا ضَرباً بالسَّوْط ، ولكن قَضَاءً بالحقِّ ، وأخْذاً بالعَدْل أهـ(٢١٩) .

○ ○ ○

---

(٢١٨) أخرجه ابن سعد (٤٥٨/٣) .

(٢١٩) أخرجه ابن سعد (٣٧٥/٤) .

خطبة مُعاذ بن جبل رضى الله عنه

٨٥ - أخْرجَ ابن جَرير وابْنُ أبى حاتِمٍ عَن سَلَمة بن سَبُرةَ قالَ : خَطبنَا مُعاذٌ رَضىَ الله عنهُ بالشَّام فَقالَ : « أنتُمْ المؤْمِنونَ وأنْتم أهْلَ الجَنَّةِ ، والله إنِّى لا أرْجُو أنْ يُدْخِل الله تعالى مَنْ تسبُّونَ مِنْ فارِس والرُّومِ الجَنَّةَ ، وذلكَ بأنّ أحَدكَم إذَا عَمِل لهَ - يَعْنى أحَدهم - عَمَلاً قالَ : أحْسَنتَ رَحِمَكَ الله ! أحْسَنْت ، بارَكَ الله فِيكَ ! ثمَّ قَرأ :

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ (٢٢٠) أهـ(٢٢١)

○ ○ ○

خُطبة أبى الدَّرْداء رضىَ الله تعالى عنه

٨٦ - عَنْ حَوشَبٍ الفَزَارىِّ ، أنه سَمِعَ أبَا الدَّرْداءِ رضىَ الله عنهُ عَلى المنْبَر يخْطَب ويقولَ : « إنِّى لخائفٌ يَوم يُنادينى ربِّى عزَّ وجلّ فيقولَ : يا عُوَيْمرُ فأقولَ : لَبَّيك ، فيقولَ : كيْفَ عَمِلتَ فِيما عَلمْت ، فتأتِى كلّ آية فى كتابِ الله زاجرةٍ وآمِرةٍ فتسألنى فريضتَها ، فَتَشْهَد عَلَىَّ الآمِرةَ أنِّى لَمْ أفْعَل وتَشْهد علىَّ الزاجرةَ أنِّى لَمْ أنتهِ أفَأتْرِكُ ؟ » أهـ(٢٢٢) .

○ ○ ○

(٢٢٠) الشورى : ٢٦

(٢٢١) أخرجه ابن جرير ، كذا فى تفسير ابن كثير (١١٥/٤) .

(٢٢٢) أخرجه ابن عساكر كذا فى كنز العمال (٧٨/٧) .

خطبة أبى هريرة رضى الله تعالى عنه

٨٧ – أخْرجَ أبُو نُعيم فى الحِلْية ، عَن أبِى يَزِيد المَدَيْنى قالَ : قامَ أبُو هُريرةَ رَضِىَ الله عنهُ عَلى مِنْبرِ رَسُول الله ﷺ بالمدِينَة دُونَ مَقامِ رَسولِ الله ﷺ بِعَتَبةٍ فقالَ :

« الحمْدُ لله الّذِي أهْدَى أبَا هُريرَةَ للإسْلامِ ، الحمْدُ لله الّذِى عَلّم أبا هُريرةَ القُرآنَ ، الحمْدُ لله الّذِى مَنَّ علَى أبِى هُريرةَ بمحمَّدٍ ﷺ ، الحمْدُ لله الّذِى أطْعَمنِى الخَميرَ وألْبَسنِى الحَريرَ ، الحمْدُ لله الّذى زَوَّجنى بنْتَ غَزْوان بَعْد ما كُنتُ أجِيراً لَها لِطعامٍ ، فأرْحَلتْنى فأرْحَلْتُها كَما أرْحَلَتنى ، ثمَّ قال : ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب ، ويل لهم مِن إمَارَة الصِّبْيَان يحْكُمون فِيهم بالهَوَى ، ويَقْتُلون بالغَضَب ، أبْشِروا يا بَنى فروخ ! والّذِى نَفْسى بِيَده لوْ أنّ الدين مُعلقٌ بالثُّريا لنالهُ مِنْكُم أقوامٌ » أ هـ(٢٢٣) .

○ ○ ○

٨٨ – عَنْ أبِى حُبيْبة أنَّه دَخَل الدَّارَ وعُثمانُ رَضِىَ الله عنهُ محْصُورٌ فيها ، وأنَّه سَمعَ أبا هُريرةَ يَسْتأذِنَ عُثْمان فى الكلامِ فأذِنَ لَهُ ، فَقامَ فحمِدَ الله تعالَى وأثْنَى

---

(٢٢٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣٨٣/١) .

عَليه ثمَّ قالَ : « إنِّى سَمعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقولَ : سَتَلْقَوْن بَعْدى فتنةً واخْتلافاً - أو قالَ : اخْتلافاً وفتنة - فقالَ لَه قائلٌ : يا رَسولَ الله ! بماذا تأمُرُنا ؟ قالَ : عليْكَم بالأمِرِ وأصْحابِهِ - وهُو يُشيرُ بذلكَ إلَى عُثْمان رَضىَ الله عنهُ » أهـ(٢٢٤) .

○ ○ ○

(٢٢٤) أخرجه الحاكم (٤٢٣/٤) وقال الذهبى : صحيح .

خطبة عبدالله بن سلام رضى الله عنه

٨٩ – عَنْ عَبْد الملِكِ بنِ عُمَيْرٍ أنّ مُحَمَّدَ بنَ يوسُف بنِ عَبْدالله بن سَلام رَضِىَ الله عنهُ اسْتأذَن عَلى الحجَّاج بنِ يُوسفَ ، فأذنَ لهُ ، فدخَل وسلّم وأمَرَ رجُلَيْن ممَّا يَلِى السَّريرَ أنّ يُوَسِّعا لَه ، فأوْسَعَا لهُ ، فجلَسَ فقالَ له الحجَّاجُ . لله أبُوكَ ! أتعْلَم حَديثاً حدَّثهُ أبُوكَ عَبْد الملِكِ بن مَروان عَن جدِّكَ عَبْدالله بنِ سَلامٍ ؟ قالَ : فأىّ حَديثٍ رَحمكَ الله فرب حَديث ، قالَ : حَديثَ المصْريِّين حِينَ حَصرُوا عُثمانَ ، قالَ : قَدْ عَلمتُ ذَلكَ الحَديثَ : أقبلَ عَبدُ الله بنُ سَلامٍ وعُثمان محْصُورٌ فانْطلقَ فَدخل عليه فوسَّعُوا لَه حتَّى دَخلَ فقالَ :

السلّام عَليكَ يا أمِيرَ المؤمنينَ ! فَقالَ : وعليْكَ السَّلامُ ، مَا جاءَ بكَ عَبْدالله ابنَ سَلامٍ ؟ قالَ : جِئتُ لأثْبُتَ حتَّى أسْتَشهدَ أو يفتح الله لك ، ولا أرى هؤلاء القوم إلا قاتليك ،فإن يقتلوك فذاك خيرٌ لك وشرٌّ لهم ، فقال عثمان : أسألك بالَّذى لى عَليكَ مِن الحقِّ لمَّا خرجْتَ إليهم ، خيرٌ يُسوقَهُ الله بِكَ وشرٌّ يدفعهُ بِكَ الله ، فسمِعَ وأطاعَ فَخرجَ عَليْهم ، فلمَّا رَأوه اجْتمعُوا وظَنُّوا أنَّه قَدْ جاءَهُم ببعْضِ ما يُسَرُّونَ بِهِ ، فَقَامَ خَطيباً فحِمدَ الله وأثْنَى عَلَيه ثمَّ قالَ :

« أمَّا بَعْد فإنّ الله عزَّ وجلّ بَعثَ مُحمَّداً ﷺ بَشيراً ونَذيراً يُبشِّر بالجنَّةِ مَنْ أطَاعَهُ ، ويُنْذرُ بالنَّارِ مَنْ عَصاهُ ، وأظْهَر مَنِ اتبعَه عَلَى الدينِ كلّه ولَوْ كَرِهَ المشْرِكَونَ ، ثمَّ اخْتارَ لهُ المساكِينَ ، فاخْتارَ لهُ المدِينَة ، فجعَلَها دَارَ الهِجْرةِ ،

وجَعَلها دَارَ الإيمانِ ، فوالله ما زَالَت الملائِكَةَ حافَين بالمدِينَةِ مُنْذ قَدمَها رسُولُ الله ﷺ إلَى اليَوْمِ ، وما زَالَ سَيفَ الله مَغْموداً عنْكَم مُذ قَدِمَها رسُولَ الله ﷺ إلَى اليَوْم ، ثمَّ قال :

إنّ الله بَعثَ مُحمَّداً ﷺ بالحَقّ ، فَمِنَ اهْتَدى فإنَّما يَهْتَدِى بهدْي الله ، ومَنْ ضَلّ فإنّما يضلّ بَعْدَ البَيَانِ والحُجَّة ، وإنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ نَبىٌّ فيما مَضَى إلّا قتِلَ به سبْعونَ ألَف مُقاتِلٍ كلّهم يُقْتل بِهِ ، ولَا قتِلَ خَليفةٌ قَطّ إلّا قتِلَ بِهِ خَمَسةٌ وثلاثونَ ألَف مُقاتِلٍ كلّهم يُقْتَلَ به ، فَلَا تَعجلَوا عَلى هذا الشَّيْخْ بقَتْلٍ ، فوَالله لا يقْتلَه رَجلٌ منكَم إلّا لَقىَ الله يَومَ القِيامَةِ ويدُهُ مقْطوعَةٌ مَشْلولَةٌ ، واعْلمُوا أنّه لَيس لِوالِدِ عَلى وَلَدٍ حقٌّ إلّا ولهذَا الشَّيخ عليْكَم مِثْلَهُ ، قالَ : فقَامُوا فقالُوا : كذَبَتِ اليَهودُ وكَذبَتِ اليَهودُ ، فقالَ : كَذبْتُم والله ! وأنْتُم آثِمُونَ ، ما أنَا بَيهودىٌّ وإنِّى لأحَدُ المسْلِمِينَ ، يعْلَم الله بذَلكَ ورَسولَه والمؤْمِنُون ، وقَدْ أنْزَل الله فى القَرْآنِ :

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾(٢٢٥)

وقَدْ أنزلَ الآيَةَ الأخْرى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾(٢٢٦) – فذَكَر الحديثَ فى شهادَةِ عُثمان » أهـ(٢٢٧) .

○ ○ ○

---

(٢٢٥) الرعد : ٤٣ .
(٢٢٦) الأحقاف : ١٠
(٢٢٧) أخرجه الطبرانى ، مجمع الزوائد (٩٣/٩) وقال : رجاله ثقات .

خطبةَ يَزيد بن شَجَرة رضى الله تعالى عنه

٩٠ – عَنْ مُجاهِدٍ ، عَن يزيد بن شَجَرة رَضى الله عنهُ ، وكانَ يزَيدُ بنُ شجَرةَ ممَّنْ يَصْدقَ قَوْلَه فِعلَه ، قالَ : « خطَبَنا فقالَ : « يأيُّها النَّاسُ ، اذْكَروا نِعْمةَ الله عَليْكَم ، ما أحْسَنَ نِعْمةَ الله عليْكَم ، نَرَى مِنْ بَيْن أحْمرَ وأخْضَرَ وأصْفَرَ ! وفى الرِّجالِ مَا فِيها .

وكانَ يقَولَ : إذَا صُفَّ النَّاسُ للصَّلاةِ وصُفُّوا للقِتالِ فَتِحتْ أبْوابُ السَّماءِ ، وأبْوابُ الجنَّةِ ، وأبْوابُ النَّار ، وزُيِّن الحُورُ العينُ وأطّلِعْنَ ، فإذَا أقْبَل الرجُلَ قلْنَ : اللّهمَّ انْصرُهُ ، وإذَا أدْبَر احْتجبْنَ مِنْه وقلْنَ : اللّهمَّ اغْفِرْ لَهُ ، فأنْهكَوا وُجُوهَ القَوْمِ ، فِدًى لكَمْ أبى وأمِّى ! ولا تُخْزُوا الحُورَ العِينَ ، فإنَّ أوَّل قَطْرةٍ تنْضَح تكفِّرُ عَنْهُ كلّ شَىءٍ عَمِلهُ ، وتَنْزلَ إليْهِ زَوْجَتانِ مِنَ الحُور ، تَمْسَحانِ وجْهَهُ وتقَولانِ : قَدْ أنى لك ويقَولَ : قد أنى لكَنَّ ، ثمَّ يُكْسى مائة حُلّة لَيَس مِنْ نسْج بَنِى آدَمَ ، ولكِن منْ نبْتِ الجنَّةِ لَوْ وُضِعْنَ بيْن أصْبُعَيْن لَوَسِعْنَهُ ، وكانَ يقَولَ : نُبِّئْتُ أنّ السُّيُوفَ مَفاتِيحُ الجنَّة أهـ(٢٢٨) .

○ ○ ○

---

(٢٢٨) رواه الطبرانى من طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد (٢٩٤/٥) .

٩١ - عَنْ مُجاهد ، عَن يَزيد بْنِ شَجَرةَ الرُّهاوىّ ، وكانَ مِنْ أمراءِ الشَّامِ ، وكانَ مُعاويَةَ يستَعملَه عَلى الجُيوشِ ، فخَطَبنا ذَاتَ يَوْمٍ فقَالَ : « أيُّها النَّاسُ ، اذْكَروا نِعْمة الله عليْكَم ، لَوْ تَروْنَ ما أرَى مِنْ أسْوَدَ وأحْمَر وأبْيضَ ! وفِى الرِّجالِ ما فيها ، إنَّها إذَا أقِيمتْ الصَّلاةَ فَتحتْ أبْوابُ السَّماءِ وأبْوابُ الجنَّةِ وأبْوابُ النّارِ ، وزُيِّن الحُورُ ، ويَطَّلَعْن ، فإذَا أقْبلَ أحَدُهُم بِوَجْهِه إلَى القِتالِ قلْنَ : اللّهمّ ثَبِّتْهُ ! اللّهمَّ انْصرهُ ! وإذَا وَلّى احْتَجَبْن مِنْه وقَلْن : اللّهمَّ اغْفِر لهُ اللّهمَّ ارْحمْهُ فأنْهِكوا وُجُوه القوم ، فِداكم أبى وأمى ، فإن أحدَكم إذا أقبل كانت أول نفحة مِنْ دَمِه تحط عنْهُ خَطَاياهُ كَما يُحطّ وَرقَ الشَّجرةِ ، ويَنْزِلَ إليهِ ثِنْتانِ مِنَ الحُورِ العِينِ فتَمسَحَان الغُبارَ عَنْ وَجْهِهِ ، فيقَولَ لَهُما : أنَا لكَما ، وتقَولَان : لَا ، بلْ إنَّا لَكَ ، ويُكْسَى مائَةَ حُلةٍ لَوْ حلقتْ بَيْن أصْبعىَّ هَاتَيْن - يَعْنى السَّبَّابة والوُسْطَى لَوسعتَاهُ ، لَيس مِنْ نَسْج بَنِى آدَمَ ، ولكِن مِنِ ثيابِ الجنَّةِ ، إنَّكمْ مكْتُوبُون عِنْد الله بأسْمائِكَم وسِيِمَائكَمْ وحُلاكَم ونجواكَم ومَجالِسكَم ، فإذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ قِيلَ : يا فُلانُ ! هَذا نُورك ويا فَلانَ ، لا نُورَ لك ، وإنّ لجَهنَّم ساحِلا كساحِلِ البَحْر فِيه هَوامّ وحيَّاتٌ كالنَّخْل وعَقارِبُ كالبِغَالِ ، فإذا استَغاث أهْلَ جَهنَّم أنْ يخَفِّفَ عَنْهم قِيلَ : اخرجُوا إلَى السَّاحِلِ ، فيخرُجُونَ ، فيأخذَ الهَوامّ بِشِفاهِهِم وَوُجُوهِهِم ، ومَا شَاءَ الله فيكْشفَهم فَيسْتغِيثُون فِراراً مِنْها إلَى النَّار ، ويُسلَّطَ عَليْهُم الجَربُ فيحُكُّ أحدُهُم جلْدهُ حتَّى يَبْدو العَظمُ ، فيقَول أحُدهُم : يا فَلانَ ، هَلْ يؤْذِيكَ هَذَا ؟ فيقَولَ : نَعَم ، فيقول ذَلكَ بمَا كَنتَ تؤْذِى المؤْمنينَ » أهـ(٢٢٩) .

○ ○ ○

(٢٢٩) أخرجه الحاكم عن مجاهد (٣٩٤/٣) ، وكذا أخرجه ابن المبارك فى الزهد وابن منده والبيهقى من طريق مجاهد موقوفاً مطولاً ، كما فى الإصابة (٦٥٨/٣) .

الفصل الثالث

الوصايا

الوصايــا

ـ دَليلٌ عَلى الصِّدْقِ التَّامّ ، الصِّدقِ مَعَ النَّفس ، والصِّدقِ مَعَ الآخرينَ ..

إنَّها وَثيقةٌ تَجْمعُ المطلوبَ لا للنَّفسِ والذَّاتِ بلْ ليتحقَّق الخَيرُ للغَيْر . وكاتِبُها بِكتَابَتها يصلُ إلَى دَرجة الفَلاج التى عِنْدها يكون قد صَدَق مَعَ نَفْسِهِ ، وعَلِمَ الحقَّ حقا والبَاطِلَ بَاطِلاً ، فإذَا كانَتْ مِنْ أب صَالحٍ فَما أحْلاها وما أجْملَها مِنْ وصيَّةٍ ، وإنْ كانَتْ مِنْ جَدٍّ عَاصَرَ زَماناً تَقلَّبتْ فِيهِ الدُّنْيَا وتَبايَنَتْ فيهِ الأحْوالَ ، فَما أنْفعها مِنْ وَصيَّةٍ تُعينُ عَلى الدُّنيا والدِّينِ والمضيِّ فِي طريقٍ مستنير .

وإنْ كانَتْ مِنْ أخٍ فاضِلٍ ، فجزَاهُ الله الخَيْرَ كُلَّهُ لإدْراكِه ما ينْفَعنى ، ونَصَبه وشُغْله من أجْلى .

وإنْ كانَتْ مِنْ صَحابةِ رَسُولِ الله ﷺ فَهِى القَضيةَ الجَامعَةَ الَّتِى تَحْوى الخَيْر بمعْنَاهُ ، وترسُمُ الطّريق نحو الجنَّةِ ، فَرضَى الله عَنْهم أجْمعينَ .

وصية أبى بكرٍ لعُمَر رضى الله عنهما :

٩٢ - عَنِ الأعزِّ بنِ مَالكٍ - قالَ : لما أرادَ أبُو بكْرٍ أنْ يسْتخلِفَ عُمَر - رَضى الله عَنْهما - بَعَث إليْهِ فدعاهُ فأتاهُ فقالَ :

« إنّى أدْعوكَ إلَى أمْرٍ مُتْعِب لمن وليه ، فاتَّقِ الله يا عمر بطاعته ، وأطِعْه بتقواه ؛ فإن الأمر محفوظ ثمَّ إنّ الأمْرَ مَعْروضٌ لا يستَوجِبهُ إلّا مَنْ عمِل بهِ ، فَمَن أمَرَ بالحقّ وعَمِل بالبَاطِل ، وأمَرَ بالمعْروفِ وعَمِلَ بالمنْكَر يوشكُ أنْ تنْقَطعَ أمنيتهُ ، وأنْ يَحْبطَ به عملَه ، فإنْ أنْت وُلّيت عَليْهم أمْرَهُم ، فإن اسْتَطعْت أنْ تجفّ يَدُك مِنْ دِمائِهم ، وأنْ تَضْمُر بَطنُك منْ أمْوالِهم ، وأنْ يَجفّ لِسانُكَ عَنْ أعْراضِهِم فافْعَل ولا قُوَّة إلّا بالله » أهـ(١) .

○ ○ ○

٩٣ – عَنْ سالِم بنِ عَبْدالله بنِ عُمر – رَضىَ الله عنْهُم قالَ : لمَّا حَضرَ أبَا بكرٍ الصِّديقَ رَضىَ الله عنهُ المَوْتُ أوْصَى :

« بسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذا عَهدٌ مِنْ أبِى بكْرٍ الصِّدِّيقِ ، عنْد آخِرِ عَهْدِهِ بالدُّنْيا ، خارِجاً مِنْها ، وأوَّلِ عَهْدِهِ بالآخِرةِ ، دَاخِلاً فِيها ، حيثُ يُؤمِنُ الكافِرُ ، ويتَّقِى الفاجرُ ، ويَصْدقَ الكَاذِبُ . إنِّى اسْتخلَفتُ مِنْ بَعْدى عُمَرَ بنَ الخَطّابِ ، فإنْ عَدَل فذَلكَ ظنِّى فيه ، وإنْ جَارَ وَبدَّلَ فالخَيْرَ أرَدْتُ ، لا أعْلَم الغَيْبَ ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾(٢) .

ثمَّ بَعثَ إلَى عُمَر رضىَ الله عنهُ فدَعاهُ فقَالَ :

« يا عُمرُ : أبْغَضَكَ مُبْغِضٌ وأحبَّك مُحِبٌّ ، وقدْماً يُبْغَضُ الخيرُ ويُحبُّ

---

(١) أخرجه الطبرانى عن الأعز ، والأعز لم يدرك أبا بكر رضى الله عنه ، وبقية رجاله ثقات ، مجمع الزوائد (١٩٨/٥) ، وقال الحافظ المنذرى فى الترغيب (١٥/٤) رواته ثقات إلا أن فيه انقطاعات .

(٢) ٢٢٧ : الشعراء .

الشرُّ ، قالَ : فلا حاجَةَ لى فِيها ، قالَ : لكِنْ لَهَا بكَ حاجَةٌ وقدْ رأيتُ رَسُولَ الله ﷺ وصَحِبْتُهُ ورأَيْتُ أثرَتَه أنْفسنا عَلى نَفْسه ، حتَّى إنّ كنَّا لَنُهْدِى أهْلَهُ فَضْلَ ما يأْتِينا مِنْه ، ورأيْتَنى وصُحْبَتِى وإنَّما اتَّبعْت أثَرَ مَنْ كانَ قَبْلِى والله ما نِمْتُ فحَلمْتُ ، ولا شَهِدتُ فتَوهَّمتُ ، وإنِّى لَعَلى طَرِيقٍ ما زُغْت ..

تَعْلّمْ يا عُمَر أنّ لله حقًّا فى اللّيلِ لا يقْبلهُ بالنّهارِ ، وحقًّا بالنهارِ لا يقبلهُ باللّيلِ ، وإنَّما ثقُلت مَوازِين مَنْ ثَقلَتْ مَوازِينُه يَوْمَ القِيامَةِ باتباعِهِم الحقّ ، وحَقٌّ لميزانٍ أنْ يثْقَل لا يكَونَ فيهِ إلّا الحقّ ، وإنّما خَفّت مَوازِينُ مَنْ خفّت مَوازِينهُ يَوْم القِيامَةِ باتِّباعِهِم الباطلَ ، وحَقّ لميزانٍ أنْ يخفّ لا يكَون منهِ إلّا البَاطلَ .

إنّ أوَّلَ ما أحذرك نَفْسُكَ ، وأحَذرك النَّاس ؛ فإنَّهم قَدْ طَمَحتْ أبْصارُهُم ، وانْتَفخَت أهْواؤُهُم ، وإنّ لَهُم الخِيرَةَ عنْ زلّةٍ تكَونَ ، فإيَّاه تكَونُهُ ؛ فإنَّهم لَنْ يَزالُوا خائفين لك فَرِقين مِنْك ما خِفْتَ الله وفرِقْتَهُ ، وهٰذِهِ وصيَّتى وأقرأ عَليكَ السَّلامُ » أهـ(٣) .

○ ○ ○

٩٤ – عَنْ عَبْد الرَّحمـٰـن بنِ سَابطٍ ؛ وزيد بن زُبَيْدِ بنِ الحارِثِ ومُجاهِدٍ – رَضِىَ الله عنْهمْ – قالُوا : لمَا حَضر أبَا بكْرٍ الموْتُ دَعَا عُمَر – رَضِىَ الله عنْهما – وقالَ لهُ :

« اتَّقِ الله يا عُمَرُ واعْلَم أنّ لله عَمَلاً بالنَّهار لا يَقْبلهُ باللّيلِ ، وعَملاً بالليل

(٣) كنز العمال (٤٦/٣) ، حياة الصحابة (١٠٣/٢) .

لا يَقْبلهُ بالنَّهارِ ، وأنهُ لا يَقْبَلَ نافلةً حتّى تُؤدَّى الفَرِيضةَ ، وإنَّما ثَقَلت مَوازينُ مَنْ ثَقَلت مَوازِينهُ يَوْمَ القِيامَةِ باتِّباعِهِم الحقَّ فِي دَارِ الدُّنْيا وثقله عَليْهِم ، وحَقّ لِميزانٍ يُوضعُ فِيهِ الحقُّ غداً أنْ يَكون ثقيلاً ، وإنَّما خَفّت مَوازين مَنْ خَفّت مَوازِينُه يَومَ القِيامَة باتباعِهِم الباطِل فى الدُّنيا وخِفّتة عَليْهم ، وحَقّ لِميزانٍ يُوضَع فِيهِ البَاطِلَ غداً أنْ يكونَ خَفِيفاً . وأنّ الله تعالَى ذَكرَ أَهْلَ الجَنَّةِ فَذكَرهُم بأَحْسَن أعْمالِهم ، وتجاوَزَ عَنْ سيئاتهم ، فإذا ذَكَرتُهُم قُلتُ : إنِّى لأخافُ ألّا ألْحقَ بِهِم ، وأنّ الله تَعالَى ذَكر أَهْلَ النَّارِ فذكَرهُم بأسْوَأ أعْمالِهِم ، ورَدَّ عَليهم أحْسَنه ، فإذا ذَكَرتُهُم قُلت : إنِّى أخافُ أن أكُونَ مَعَ هَؤُلاءِ ، وذَكَر آية الرَّحْمة وآيَةَ العَذَابِ ، فيكُونَ العَبدُ راغباً راهِباً ، ولا يَتمنَّى عَلى الله غَيرَ الحقِّ ، ولا يَقْنَط مِنْ رحْمتِه ، ولَا يُلقِى بيديْه إلى التهلكَةِ ، فإنْ أنتَ حَفِظت وصيَّتى فلا يَكُ غائبٌ أحبَّ إليْكَ مِن الموْتِ وهُو آتِيكَ ، وإنْ أنْتِ ضَيَّعتَ وصيَّتى فلايَكُ غائبٌ أبغضَ إليْكَ مِنَ الموْتِ ولَسْتَ بمعْجِزِهِ » أ هـ(٤٣) .

○ ○ ○

(٤) رواه ابن المبارك وابن أبى شبية وهناد وابن جرير وأبو نعيم فى الحلية انظر منتخب كنز العمال (٣٦٣/٤) .

وصية أبي بكر لعمرو بن العاص وغيره

٩٥ - عَنْ عبدِالله بن أبِى بكْر بن مُحمدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ رضىَ الله عنهُم - قالَ : أجْمعَ أبُو بكرٍ رَضىَ الله عنهُ أن تُجمعَ الجيُوشُ إلَى الشَّامِ ، كانَ أوَّلَ مَنْ سارَ مِنْ عُمَّاله عَمْرُو بنُ العاصِ رَضىَ الله عنهُ ، وأمَرَهُ أنْ يَسْلُك عَلى إبلهِ عَامِداً لِفِلَسْطينَ ، وكانَ جُندُ عَمرو الّذينَ خَرجُوا مِنَ المدِينَة ثلاثَةَ آلافٍ ، فِيهمْ ناسٌ كَثيرٌ مِنَ المهَاجِرينَ والأنْصارِ ، وخَرجَ أبُو بكْر الصِّدّيقُ رَضىَ الله عنهُ يمشى إلى جَنْب رَاحِلَة عمرِو بنِ العاصِ رَضىَ الله عنهُ وهُو يُوصيهِ ويقولَ :

« يا عَمْرو ، اتَّقِ الله فى سَرائِركَ وعَلانِيَتكَ واسْتَحْيه ؛ فإنَّهُ يَراكَ ، ويَرَى عَملكَ ، وقَدْ رأيْتُ تَقْدِيمى إيَّاكَ عَلَى مَنْ هُمْ أقْدمُ سابِقةً مِنْكَ ، ومَنْ كانَ أعْظَمَ غِنىً عَنِ الإسْلامِ وأهْلِه مِنْكَ فكُنْ مِنْ عُمّال الآخِرةِ ، وأرِدْ بما تَعْمل وجْهَ الله ، وكُنْ والِداً لمَن مَعك ، ولا تكْشفنَّ النَّاسَ عَنْ أسْتارِهِمْ ، واكْتفِ بعَلانِيَتِهم ، وكُن مُجدًّا فى أمْرِك ، واصْدق اللّقاءَ إذَا لَقيتَ ولا تَجْبن فى الغُلُول[٥] وعاقِبْ عليه ، وإذَا وعَظتَ أصْحابَك فأوْجز ، وأصْلِح نَفسكَ تَصْلَحْ لَكَ رعيَّتُك » أهـ[٦] .

---

(٥) فى تاريخ بن عساكر « الغلول وهم الذين جاوزوا حدود ما أمروا به من الدين وطاعة الإمام وبغوا عليه وطغوا . (١٢٩/١) .

(٦) أخرجه ابن سعد ، انظر كنز العمال (١٣٣/٣) وتاريخ ابن عساكر (١٢٩/١) .

٩٦ - عَنِ القَاسِمِ بنِ مُحمد قالَ : كَتَبَ أَبُو بكْرٍ إِلَى عمرٍو وإلى الوَليدِ بن عُقْبَةَ - رَضِيَ الله عنْهُم - وكانَ عَلَى النصْف مَنْ صَدَقَات قُضاعَةَ ، وقَد كان أَبُو بكرٍ شَيَّعَهما فَبَعَضهما على الصدَّقةِ ، وأوْصى كُلّ منْهما بوَصيَّةٍ واحدةٍ فقالَ :

« اتَّقِ اللهَ فى السِّرِّ والعَلانية ؛ فإنَّه مَنْ يتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لهُ مَخْرجاً ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيثُ لا يَحْتسِبُ ، ومَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكفِّرْ عَنهُ سَيئاته ويُعْظِمْ لهُ أَجْراً ؛ فإنّ تَقْوى اللهِ خَيرُ ما تَواصَى بهِ عبادُ اللهِ . إنَّكَ فى سَبيلٍ مِنْ سُبُلِ اللهِ لا يَسعُك فيه الا دِّهانَ والتَّفْريط ولا الغَفْلة عمَّا فِيهِ قِوامُ دِينكُم وعِصْمةَ أمْرِكم فَلَاتَنِ(٧) ولَا تَفْتُر » أ هـ(٨) .

○ ○ ○

وصيَّة أبى بكر لشرَحْبيل :

٩٧ - عَنْ مُحمدِ بن إبْراهيمَ بن الحارِثِ التَّيْمىِّ رَضىَ اللهُ عنْهُ قالَ : لما عزلَ أَبُو بَكْرٍ خالدَ بنَ سَعيدٍ أوْصَى بهِ شُرَحْبيلَ بنَ حَسَنَةَ - رَضىَ الله عنهم - وكانَ أحَدَ الأُمَراء قالَ :

« انْظر خالِدَ بنَ سَعيدٍ ، فاعْرِف لهُ مِنَ الحقِّ عليْكَ مِثْل ما كُنت تُحبُّ أَنْ يَعْرفَه لَكَ مِن الحقِّ عليْه لَوْ خَرَجَ وَالياً عليْكَ ، وقَدْ عَرفتَ مَكانهُ مِن الإِسْلامِ ، وأنّ رَسولَ الله ﷺ تُوفِّى وهُو لهُ والٍ ، وقَدْ كَنتُ ولَّيْتهُ ، ثم

---

(٧) أى لا تضعف .

(٨) أخرجه ابن جرير الطبرى (٢٩/٤) .

رأيْتُ عَزْلَهُ وعسى أنْ يكَونَ ذلكَ خَيْر لهُ فى دِينهِ ، ما أغْبطَ أحَداً بالإمارَةِ وقَدْ خَيَّرْته فى أمَراء الأجناد فاخْتارَك على غَيْرِكَ وعَلى ابْن عمِّه ، فإذا نَزَل بلك أمرٌ تحتاجُ فيهِ إلَى رأى التَّقى النَّاصِح فلْيكن أوَّل مَنْ تبدأ بهِ أبو عُبيدَة بنُ الجرَّاحِ ، ومُعاذَ بنُ جَبلٍ ، وليَكُ ثالِثاً خالدُ بنُ سَعيدٍ ، فإنَّك واجدٌ عِنْدهُم نُصْحاً وخيراً ، وإيَّاكَ واسْتبدادَ الرَّأيِ عَنهُم أو تَطْوى عَنْهم بَعْض الخَيْر » أهـ(٩) .

○ ○ ○

(٩) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٤/٧٠) .

وصية أبى بكر الصديق ليزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهما

٩٨ – عن الحارثِ بنِ الفَضَيل قالَ : لما عَقَد أبُو بكرٍ ليزيدَ بن أبى سُفْيانَ رَضىَ الله عنهما فقالَ :

« يا يَزيدُ ؛ إنَّك شابٌّ ، تُذْكَر بخيرٍ قَد رُئِيَ فِيكَ ، وذَلكَ لِشيءٍ خلوَتَ بهِ فى نَفْسك ، وقَدْ أردْتُ أنْ أبْلُوَكَ ، وأسْتخرْجَك من أهْلكَ ، فانْظرْ كيفَ أنْتَ ؟ وكَيفَ وِلايتُكَ ؟ وأخبُرك فإنْ أحْسنْتَ زِدْتُكَ ، وإنْ أسأْتَ عَزلْتُك ، وقَدْ ولّيتُك عَمَل خالِد بنِ سَعيدٍ .

ثمَّ أوْصاهُ بما أوصاهُ يَعْملَ به فى وَجْهِهِ وقالَ لَه :

أُوصِيكَ بأبِى عُبيدةَ بنِ الجرَّاح خَيراً ، فَقدَ عَرفْتَ مَكانه مِنَ الإسْلامَ ، وأنّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ : لِكَل أمَّةٍ أمينٌ ، وأمينُ هٰذِهِ الأمَّةِ أبُو عُبيدةَ بنُ الجَّراحِ ، فاعْرفْ لهُ فَضْلَهُ وسابِقتَهُ ، وانْظر مُعاذَ بنَ جَبلٍ ، فَقَد عَرْفتَ مَشاهِدَه مَعَ رسُولِ الله ﷺ ، وإنّ رسُولَ الله ﷺ قالَ : يأتِى إمامُ العُلماءِ برَبْوَةٍ ، فَلا تَقْطَعْ أمراً دونهَما وإنَّهما لن يألُوَا بِكَ خَيراً .

قالَ يَزيدُ : يا خَليفَةَ رسُولِ الله أوْصِهما بي كَما أوْصَيْتَني بهمَا قالَ أبو بكرٍ : لَنْ أدَعَ أنْ أوصيهما بِكَ ، فقَالَ يَزيدُ : يَرْحمكَ الله وجَزاكَ الله عَنِ الإسْلامِ خَيراً » أهـ(١٠) .

○ ○ ○

(١٠) أخرجه ابن سعد ، كذا فى الكنز (٣/١٣٢) .

وَصَايا عُمرَ بنِ الخطّابِ رضى الله عنه

وصيَّةَ عُمرَ لوليِّ الأمْرِ مِنْ بَعْدِه :

٩٩ – عَنْ عُمَر رَضِيَ الله عنْهُ أنَّه قالَ :

« أُوصِى الخَليفَةَ بَعْدى بالمهَاجِرين الأوَّلينَ أنْ يَعْلم لَهُم حَقّهم ، ويحْفَظ لَهُم حُرْمتَهم ، وأُوصِيهِ بالأنْصارِ الّذِين تَبوَّءُوا الدَّار والإيمانَ مِنْ قَبْلِهِم إنْ يَقّبل مِنْ مُحْسنِهِم ، وأنْ يَعْفو عَنْ مُسيئِهم ، وأُوصِيهِ بأهْلِ الأمْصارِ خَيْراً ؛ فإنَّهم رِدْءُ الإسْلامِ وجُباةَ(١١) الأمْوالِ وغَيظُ العَدوِّ ، وألا يُؤخَذَ مِنْهم إلّا فَضْلُهُم عَنْ رِضاهُم ، وأُوصِيهِ بالأعْراب خَيراً ؛ فإنَّهم أصْلَ العَربِ ومادَّةُ الإسْلامِ أنْ يأخُذ من حَواشِى(١٢) أمْوالِهم فَيردّ عَلَى فُقَرَائِهم ، وأُوصِيهِ بذمَّةِ الله وذمَّةِ رَسولِهِ أنْ يُوفى لَهُم بِعهدِهم ، وأنْ يُقاتِلَ مِنْ وَرَائِهم ، ولا يَكلّفَهم إلّا طاقَتَهم » أ هـ(١٣) .

○ ○ ○

---

(١١) الردء : العون والناصر ، وجباة جمع جاب : وهو مستخرج الأموال من مظانها .
(١٢) هى صغار الإبل كابن المخاض وابن اللبون واحدها حاشية وحاشية كل شىء جانبه وطرفه .
(١٣) أخرجه ابن أبى شيبة وأبو عبيدة فى الأموال وأبو يعلى والنسائى وابن حبان والبيهقى عن عمر رضى الله عنه انظر المنتخب (٤/٤٣٩) .

وصيَّة عُمر بن الخطّاب لسعد بن أبى وقّاص :

١٠٠ - عَنْ سيفٍ ، عنَ مُحمدٍ وطلحة أنّ عُمرَ أرْسلَ إلَى سَعدٍ رَضىَ الله عنْهما - فَقدمَ عَليهِ فأمَّرهُ عَلَى حَرْب العِراقِ وأوْصاهُ فقالَ :

« يا سَعْدُ سَعْد بَن وُهيبٍ لا يَغُرَّنّك مِنَ اللهِ أنْ قِيلَ خَالَ رسُولِ اللهِ ﷺ وصاحبُ رسُولِ اللهِ ، فإنّ الله عزَّ وجلّ لا يَمْحو السَّيئَ بالسَّيئ ، ولكنَّه يمْحو السيِّئ بالحَسَن ، فإنّ الله لَيسَ بيْنهَ وبَيْن أحد نَسبٌ إلّا طَاعتُهُ ، فالنَّاسُ شَريفَهم وَوضيعهم فى ذاتِ اللهِ سَواءٌ ، اللهُ ربُّهم وهُم عِبادُه ، يتفاضَلَون بالعَافِية ويُدْركونَ ما عِندهُ بالطّاعةِ ، فانْظُر الأمْرَ الّذى رأيْتَ النَّبىَّ ﷺ عَليه مُنذَ بُعثَ إلَى أنْ فَارقَنا ، فالْزَمْهُ فإنَّهُ الأمْرُ ، هَذهِ عِظَتى إيَّاك إنْ تركْتَها ورَغبتَ عَنْها حَبِطَ عَملَكَ وكنْتَ مِنَ الخَاسِرِين » .

ولمَّا أرادَ أنْ يُسرِّحهُ دَعاهُ فَقالَ :

« إنِّى قَدْ ولّيتُكَ حَربَ العِراقِ فاحْفَظ وَصيَّتى ، فإنَّكَ تَقْدُمُ عَلى أمْرٍ شدَيدٍ كَريهٍ لا يُخْلَص منْه إلّا بالحقِّ ، فَعوِّدْ نَفْسكَ ومَنْ مَعَك الخير ، واسْتَفْتح بهِ ، واعْلَم أنّ لِكلِّ عادَةٍ عتاداً ، فَعتادُ الخَيْر الصبْرُ ، فالصبْرَ الصبْرَ عَلَى ما أصَابَك أونَابَك ، يجْتَمع لَكَ خَشْيةَ الله ، واعْلَم أنّ خَشيةَ الله تجْتَمعُ فى أمْريْن : فى طاعَتِه واجْتِنابِ مَعْصيَتِه ، وإنَّما أطَاعهُ مَنْ أطَاعهُ بِبُغْض الدُّنْيا وحُبِّ الآخِرةِ ، وعَصاهُ مَنْ عَصاهُ بحبِّ الدُّنيا وبُغْض الآخِرةِ ، ولِلقَلوبِ حقائِقُ يُنْشِئَها الله إنْشاءً مِنْها السرّ ، ومِنْها العَلانِيَة . فأمَّا العَلانِيةَ فأنْ يَكونَ حَامِدُهُ وذامُّه فى الحقِّ سَواء ، وأمَّا السرُّ فيُعْرف بظَهورِ الحِكْمة مِنْ قَلبهِ عَلى لِسانِه ، وبمحبة الناسِ ، فلا تَزْهدْ فى التَّحبُّب ، فإنّ النَّبيينَ قد سألَوا محبَّتَهم وإنَ الله إذَا أحبَّ

عَبداً حبَّبهُ ، وإذَا أبْغَضَ عَبداً بَغَّضَه ، فاعْتبرْ منْزِلتَك عِنْد الله تعالَى منْزِلتَكَ عِندَ النَّاسِ مِمَّنْ يَشْرع مَعَكَ فى أمْرِك » أ هـ(١٤) .

○ ○ ○

وصيةَ عُمر بن الخطّاب لعُتْبةَ بن غَزوانَ رَضى الله عنهما :

١٠١ – عَنْ عبد الملِك بنِ عُميرٍ قالَ : إنّ عُمَر قالَ لِعُتبةَ بنِ غَزوانَ رَضىَ الله عنهُما إذْ وَجَّهه إلى البَصْرة :

« يا عُتبةَ إنى قَد استعْملتُك علَى أرْضِ الهِنْد وهِىَ حَوْمةٌ مِنْ حَومةِ العَدوِّ ، وأرْجُو أنْ يَكْفيكَ الله ما حَوْلَها وأنْ يُعينَك عَليْها ، وقَدْ كتبتُ إلى العَلاءِ ابن الحَضْرمىِّ أنْ يَمدَّك بعَرْفَجةَ بنِ هَرْثَمة وهُو ذَو مُجاهَدةٍ للعَدوِّ ومُكايَدتِهِ ، فإذَا قَدِمَ عَليكَ فاستْشرهُ وقَرِّبْه وادْعُ إلَى الله ، فَمَن أجابَك فاقْبَلْ مِنْه ، ومَنْ أبَى فالجزْيةَ عَن صغارٍ وذلّةٍ وإلّا فالسَّيْفُ فى غير هَوادةٍ ، واتَّقِ الله فِيما وُلّيتَ ، وإيَّاك أنْ تُنازِعكَ نَفسُكَ إلَى كِبرٍ يُفْسدُ عَليكَ آخِرتَكَ ، وقَدْ صَحِبت رَسولَ الله ﷺ فَعززْت به بَعْدَ الذِّلّة ، وقويت به بَعْد الضَّعْفِ ، حتَّى صِرت أمِيراً مُسلّطاً ، ومَلِكاً مُطاعاً ، تقَولَ فيسْمع منْكَ ، وتأمُر فيُطاعُ أمْرُكَ ، فَيَا لَها نِعْمة إنْ لَم ترفعكَ فوْق قَدْرِك وتُبْطِرْكَ عَلى مَنْ دُونَكَ ، احْتفِظ مِنَ النِّعمَة احتفاظك مِنَ المعْصيّة ولَهِىَ أخْوَفهُما عِنْدى عَليْك أنْ يَسْتدرجَك ويَخْدعَك فتَسْقَط سَقْطةً تَصيرُ بِها إلى جَهنَّم أعيذكَ بالله ونَفْسىَ مِنْ ذَلكَ . إنّ النَّاسَ أسْرعُوا إلى الله حِينَ رُفِعَتْ لَهَم الدُّنْيا فأرَادُوها فأرِدِ الله ، ولا تُرِدِ الدُّنْيا ، واتَّقِ مَصارِع الظَّالمينَ » أ هـ(١٥) .

○ ○ ○

(١٤) أخرجه ابن جرير (٤/٨٤) .

(١٥) أخرجه ابن جرير (٤/١٥٠) .

وصيَّة عُثمان رَضىَ الله عنْه

١٠٢ – عَن العَلاءِ بنِ الفَضْل عَنْ أُمِّه قالَ : لما قَتلَ عُثْمانَ رَضىَ الله عنْهُ فتَّشُوا خَزائنهُ ، فوجَدُوا فِيها صُنْدوقاً مُقْفلاً ، فَفَتحُوه فوَجُدوا فِيهِ ورَقةً مَكتوباً فِيها :

« هَذِه وصيَّةَ عُثمانَ ، بسْمِ الله الرَّحْمـٰن الرَّحِيمِ ، عُثْمانَ بنُ عَفَّان يَشْهد أنْ لَا إلـٰه إلَّا الله وحْدَهُ لا شَريكَ لهُ ، وأنّ مُحَّمداً عبْدُه ورَسُولَه ، وأنَّ الجَنَّةَ حقٌّ ، وأنّ النَّارَ حقٌّ ، وأنّ الله يَبْعثَ مَنْ فِي القَبُور لَيومٍ لا رَيْب فِيهِ إنّ الله لا يُخلفَ المِيعادَ عَليْها يَحْيا ، وعَليَها يموت ، وعَليْها يُبْعثَ إنّ شاءَ الله أ هـ(١٦) .

وأخْرجَه أيْضاً نِظامُ المُلْك وزَادَ : ووجَدُوا فِى ظَهْرها مَكتوباً .

غِنَى النَّفْسِ يُغنِى النَّفْسَ حتَّى يُجلّها وإنّ عَضَّها حَتَّى يُضِرَّ بها الفَقْرُ
وما عَسْرةٌ فاصْبر لَها إنْ لَقيتَها بِكائِنَـةٍ إلَّا سَيَتْبعُهـا يُسْرُ
ومَنْ لَم يقاسِ الدَهْرَ لَمْ يعرف الأسَى وفى غِيَرِ الأَيَّام مَا وَعد الدَّهْرُ
أ هـ(١٧)

١٠٣ – عَنْ شدَّاد بنِ أوْسٍ رَضىَ الله عنهُ قالَ : لمَّا اشْتدَّ الحِصارُ بعُثْمان رَضىَ الله عنهُ يَومَ الدَّارِ أشْرفَ عَلى النَّاسِ فقَالَ : يا عِبادَ الله قالَ : فرأَيْتُ على

---

(١٦) أخرجه الفضائلى الرازى ، حياة الصحابة (٢/١١٤) .
(١٧) الرياض النضرة فى مناقب العشرة للطبرى (٢/١٣٣) .

ابنَ أبِي طالب رَضى الله عنه خارِجاً مِنْ منْزِله مُعْتمًّا بعمامَةِ رسُولِ الله ﷺ مُتقلِّداً سَيْفه ، أمامَهُ الحَسنُ وعَبدُ الله بنُ عُمرَ رضىَ الله عنهمْ – فى نَفر المهَاجرينَ والأنْصَارِ حتَّى حملَوا عَلى النَّاسِ وفرّقوهُم ، ثمَّ دخَلوا عَلَى عُثْمان رضىَ الله عنْه فقالَ لَهُ علىٌّ رضىَ الله عنهُ : السَّلامُ عَليْك يا أميرَ المؤْمِنينَ ! إنّ رَسُولَ الله ﷺ لم يلْحَقْ هٰذا الأمْرَ حتَّى ضَرَب بالمقْبِل المدْبرَ وإنِّى والله لَا أرَى القَوْم إلا قَاتِليكَ ، فمُرْنا فلْنُقاتِل ، فقَالَ عُثْمانَ رَضىَ الله عنهُ :

« أنْشدُ الله رجُلاً رأى لله حَقًّا وأقرَّ أنّ لى عَلَيه حَقًّا ، ألَّا يُهْريق فى سَبيلِى مِلْءَ حجْمِه مِنْ دَمٍ أو يُهْريقِ دَمَه فيَّ » .

فأعَادَ علىٌّ رَضىَ الله عنهُ عَليْه القَوْل ، فأجابَهُ بمثْلِ ما أجابَهُ ، قالَ : فرأيْتُ عَليًّا خارِجاً مِنَ البابِ وهُوَ يقولُ : اللّهمَّ إنَّكَ تَعْلمُ أنَّا بَذلْنا المجْهُود ثمَّ دخلَ المسْجد وحَضرَتِ الصَّلاةَ ، فقالُوا لهُ : يا أبَا الحَسَن تَقَدَّم فَصلِّ بالنَّاسِ ، فَقالَ : لا أصلِّى بِكم والإمامُ محْصُورُ ، ولكِن أصَلِّى وحْدِى فصلَّى وَحْدَهُ وانْصرَف إلى منْزِله فلَحِقهُ ابْنه وقالَ : والله : يا أبَتِ ؛ لَقدِ اقتَحمُوا عَليه الدَّار . قالَ : إنَّا لله وإنَّا إليْهِ رَاجعُونَ ! هُمْ والله قَاتِلوهُ ! قالُوا : أيْنَ هُو يا أبا الحَسَنِ ؟ قال : فى الجنَّةِ والله زُلْفى ، قالُوا : وأيْنَ هُمْ يا أبا الحَسَن ؟ قالَ : فى النَّارِ والله ! ثلاثاً أ هـ(١٨) .

○ ○ ○

---

(١٨) الرياض النضرة فى مناقب العشرة (١٢٨/٢)

١٠٤ - عَنْ أبى سَلَمة بنِ عَبد الرَّحمـٰن قالَ : دَخَل أبُو قتادَةَ ورجلٌ آخر عَلَى عُثْمانَ - رَضىَ الله عنهُم - وهوَ مَحصُورٌ ، فاستأذَنَاهُ فى الحجِّ ، فأذِنَ لَهما ، فقالَا لهُ : إنْ غَلَب هؤلاءِ القَوْمُ مَعَ مَنْ نكونُ ؟ قالَ : عليْكُم بالجماعَةِ ، قالَ : فإنْ كانتَ الجماعَةَ هِى الَّتى تَغْلبُ عَليْكَ مَع مَنْ نكونَ ؟ قالَ : فالجمَاعَةَ حَيثَ كانَتْ ! فَخَرجْنا فاستَقْبلنا الحَسنَ بن عَلىّ رَضىَ الله عَنْهما عِنْد بابِ الدَّارِ داخِلاً على عُثْمانَ رَضىَ الله عنْهُ ، فَرجَعنا مَعَه لِنسْمعَ ما يقُولَ ، فسلَّمَ عَلى عُثْمان ثمَّ قالَ : يا أمِيرَ المؤْمِنينِ مُرْنى بمَا شِئْت ، فقالَ عُثْمان : « يا ابْنَ أخِى ارْجع واجْلِسْ حتَّى يأتى الله بأمْرِه »

فخرجَ وخَرجنا عنْه فاستَقبلنا ابْنَ عُمر رَضى الله عَنْهما دَاخلاً إلَى عُثْمان رَضىَ الله عنْهُ فَرجَعنا مِعه نَسمعُ ما يقُولَ ، فسَلّم عَلى عُثْمان رَضىَ الله عنه ثمَّ قالَ : يا أمِيرَ المؤْمِنينَ صَحِبتُ رَسولَ الله ﷺ ، فسَمعْتُ وأطَعتُ ، ثمَّ صَحبتُ أبَا بكْرٍ رَضىَ الله عنْهُ ، فَسَمعتُ وأطَعتُ ، ثمَّ صحِبتُ عُمَرَ رَضىَ الله عنْهُ فَسمِعْتُ وأطَعتُ ورأَيْتُ لهُ حَقَّ الوالَدِ وحَقَّ الخِلافَةِ ، وها أنَا طَوْعُ يَديْك يا أمِيرَ المؤْمِنينَ ، فَمُرْنى بما شِئت ، فقالَ عُثْمان رضىَ الله عنْهُ : « جزَاكَمُ الله يَا آلَ عُمَر خَيْراً مَرَّتيْن لا حاجة لِى فى إراقَة الدَّم » أهـ(١٩) .

○ ○ ○

---

(١٩) الرياض النضرة فى مناقب العشرة .

وصيةَ على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه

١٠٥ - أخْرجَ ابنُ زَنْجَويه عَن رجُلٍ مِنْ ثَقيفٍ قالَ : استَعمَلنِى علىٌّ بنُ أبِى طَالبٍ رضىَ الله عَنهُ عَلى عُكبَرَا(٢٠) فقالَ لِى وأهْل الأرْضِ عِنْدى : « إنّ أهْلَ السَّوادِ قَومٌ خدعٌ فَلا يخْدعُنَّكَ ، فاستَوفِ ما عَلَيْهم »

ثمَّ قالَ لى : رُحْ إلىَّ ، فَلَمّا رجَعتُ إليْهِ قالَ لى : « إنَّما قُلتُ لَكَ الّذِى قُلتُ لأسمِعَهم ، لا تَضْرِبَنَّ رجُلاً مِنْهم بسَوْطٍ فى طَلَبِ دِرْهمٍ ، ولا تُقمهُ قائماً ، ولا تأخُذنَّ مِنُهم شاةً ولا بَقرةً ، إنّما أمْرُنا أنْ نأخُذَ مِنْهُم العَفْو ، أتَدْرِى ما العَفوُ ؟ الطّاقة » أهـ(٢١) .

○ ○ ○

وأخْرجهُ البَيْهقى أيضاً وفى حَديثِهِ : ولَا تَبيعنَّ لَهُم رزْقاً ولا كَسْوةً شِتاءً ولا صَيْفاً ، ولا دابَّةً يعْتملُون عَليْها ، ولا تُقِمْ رجُلاً قائماً فى طلبِ دِرْهم قالَ قلْت : يا أمِيرَ المؤْمنِينَ ، إذاً أرجع إليْكَ كمَا ذَهبتُ مِنْ عِندكَ ؟ قالَ : وإنْ رَجعتَ كَما ذَهبتَ ، ويْحكَ ! إنَّما أمْرُنا أنْ نأخُذَ مِنْهم العَفْو يَعْنى الفَضْل » أهـ(٢٢) .

---

(٢٠) عُكبرا : « بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وفتح الباء الموحدة وقد يمد ويقصر ، والظاهر أنه ليس بعربى وهو اسم بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ والنسبة إليها عبكرىّ وعكبراوى .

(٢١) كذا فى كنز العمال (١٦٦/٣) .

(٢٢) أخرجه البيهقى (٢٠٥/٩) .

١٠٦ - عَنِ النُّعمان بنِ سَعد قالَ : كنْتُ بالكَوفَة فى دارِ علىٍّ بن أبي طالب إذْ دخَلَ عَليْنا نَوْف بنُ عَبْدالله فقالَ : يا أمِيرَ المؤْمنينَ ، بالبابِ أرْبَعُونَ رجُلاً مِنَ اليَهُود . فقَالَ علىٌّ : عَلىَّ بِهِم ، فلمَّا وقَفُوا بَيْن يَدَيْه قالُوا لَه : يا عَلىُّ ، صِفْ لَنا ربَّك ، فاستَوى علىٌّ جَالَساً وقالَ : « يا مَعْشَرَ اليَهودِ اسْمَعُوا منِّى ولا تبُالُوا ألّا تَسْألوا أحَداً غَيْرى ، إنّ ربِّى عزَّ وجلّ هوَ الأوَّل لَم يخْلقِ الأشْياءَ مِنْ أصُولٍ أولية ، ولا بأوَائِل كانَتْ قَبْلهُ بديَّة ، بَلْ خَلَق ما خَلَق فأقامَ خَلْقه ، وصوَّر ما صَوَّر فأحْسنَ صُورتَه ، تَوحَّد فى عُلوِّه ، فلَيسَ لشئٍ مِنْه امْتناعٌ ، ولا لَهُ بطاعة شَئْء مِنْ خَلْقه انتِفاعٌ ، إجابَتُه للدَّاعينَ سَريعةٌ ، والملائكَةَ فى السمٰوات والأرْض له مُطيعةَ . عِلْمُه بالأمْواتِ البَائدِين كعِلمِه بالأحْياءِ المتقلّبينَ ، وعِلْمُه بما فِى السمٰوات العُلا كعِلْمه بما فِى الأرْضِ السُّفْلى . وعلْمُهُ بكلّ شَىءٍ لا تُحيرهُ الأصْواتُ ولَا تشْغلهُ اللّغاتُ . سَميعٌ للأصْواتِ المختلِفةِ بلا جَوارِحَ لَه مؤتلفة مُدَبِّرٌ بَصيرٌ عالمٌ بالأمُورِ .

حيٌّ قيُّومٌ كلّم مُوسَى تكْليماً بلا جَوارحَ ولا أدوات ، ولاشفة ولا لَهَواتِ(٢٣) سُبْحانه وتَعالَى عَنْ تكيِيف الصِّفاتِ . مَنْ زَعَم أنّ إلٰهنَا مَحْدودٌ ، فَقَد جَهِل الخالِقَ المعْبُودَ ، ومَنْ ذَكَرَ أنّ الأماكِنَ به تُحيطُ ، لزَمتْه الحِيرةَ والتخْليطَ . بَلْ هُوَ المحيطُ بكلّ مكانٍ ، فإنْ كُنْت صادِقاً أيُّها المتكلّفَ لوَصفْ الرَّحمٰن بخلافِ التنْزِيلِ والبُرهَانِ ، فصِفْ إلىَّ جبريل ومِيكائيل وإسْرافيل .

---

(٢٣) لهوات : بفتحات جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم .

هَيْهات ! أتعجز عَنْ صِفَة مخْلوقٍ مِثلك ، وتَصفُ الخالَق المعْبود ؟ وأنْتَ لَا تُدْرك صِفة ربِّ الهَيْئة والأدَواتِ ، فكيْفَ منَ لَم تأخذه سِنةٌ ولا نَوْمٌ ، لهُ ما فى الأرَضِ والسموات وما بيْنهما وهُو ربُّ العَرشِ العَظِيم »(٢٤)

○ ○ ○

١٠٧ – عَنْ جُندبِ بن عَبْدالله دَخَل عَلى عَلىٌّ فَقال : يا أميرَ المؤمنينَ : إنْ فَقَدناكَ – ولا نَفقَدكَ – فَنُبايع الحَسَن ؟ فقالَ : ما آمركم ولا أنهاكم ، أنْتم أبْصَر ، فَرَد عَليْه مثلها فَدَعا حَسَناً وحُسَيْناً فقالَ :

« أوصِيكَما بتَقْوى الله وألّا تَبْغيا الدُّنْيا وإنْ بَغتكَما ، ولا تَبكيَا عَلَى شَئٍ زَوَى عَنكَما ، وقولَا الحقّ ، وارْحَمَا اليَتيمَ ، وأعِينا الملْهُوف ، واصْنَعا للآخِرة ، وكَونا للظَّالم خَصْماً ، وللمظْلَوم ناصِراً ، واعْملا بما فى الكِتابِ ، ولا تأْخُذكما فى الله لَوْمَةَ لائم » أ هـ(٢٥) .

○ ○ ○

١٠٨ – وقولَه للحَسَن :

« أوصِيكَ أىْ بُنىَّ بتَقْوى الله ، وإقامِ الصَّلَاة لِوْقتها ، وإيتَاءِ الزَّكاةِ عِنْد مَحلِّها ، وحُسْن الوُضُوء ؛ فإنَّه لا صَلَاةَ إلّا بطهورٍ ، ولا تُقبلَ صَلاةٌ مِنْ مانِعِ الزَّكاةِ ، وأوصِيكَ بغَفْر الذَّنْب ، وكَظْم الغَيْظ ، وَصِلة الرَّحِم ، والحِلْمِ

---

(٢٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية وقال : حديث غريب من حديث النعمان ، رواه ابن اسحاق عنه مرسلاً . انظر الدين الخالص (٢٥١/٤) .

(٢٥) ذكره الطبرى (٨٥/٦) .

عِنْد الجَهْلِ ، والتَّفقه فى الدِّين ، والتَّثبُّت فى الأمْرِ ، والتَّعاهُد للقرْآن ، وحُسْنِ الجِوار ، والأمْرِ بالمعْرُوفِ والنَّهى عَنِ المنْكَر ، واجْتِنابِ الفَواحِش » أهـ(٢٦) .

○ ○ ○

١٠٩ – وممَّا وصَّى بِهِ عنْدَ مَوْتِه فقَالَ :

« بسْمِ الله الرَّحْمـٰن الرَّحيم . هَذا مَا أوْصَى بِهِ عَلىُّ بنُ أبِى طالِبٍ أنَّهُ يَشْهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلّا الله وحْدَه لا شَرِيكَ لهُ ، وأنّ مُحمداً عَبده ورَسُوله ، أرْسَله بالهُدَى ودِينِ الحقِّ لِيظهرهُ عَلى الدِّين كلّه ولَوْ كَرهَ المشْرِكون ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢٧) .

أُوصِيكَ يا حَسَن وجَميع ولَدِى وأهْلى ومَنْ بَلغَه كِتابى . بتَقْوى الله ربِّكَم ، ولا تمُوتُنَّ إلّا وأنتم مُسْلمُون ، واعْتصِمُوا بحَبْل الله جَميعاً ولا تَفرَّقَوا ، فإنِّى سَمْعتُ أبَا القَاسِمِ ﷺ يقولَ :

إنَّ صَلاحَ ذَاتِ البَيْن أفْضَل مِنْ عامَّةِ الصَّلاةِ والصِّيامِ ، انْظَروا إلَى ذَوى أرْحامِكَم فصِلَوهُم ، يُهوِّنْ الله عليْكَم الحِسابَ . اللهَ اللهَ فى الأيْتامِ فَلا تعنُوا أفْواهَهُم(٢٨) ولا يُضيَّعُنَّ بحَضْرتِكَم ، واللهَ اللهَ فى جِيرانِكَم ، فإنَّهم وصيَّةَ نبيِّكَم : ما زَال يُوصى بِهِم حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سيُوَرِّثَهم ، واللهَ اللهَ فى القَرآنِ

---

(٢٦) ذكره الطبرى (٦/٨٥) .

(٢٧) سورة الأنعام آيتا ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢٨) أى لا تذلوهم فلا يتمكنوا من الشكاية .

فلا يَسْبقنَّكم إلَى العَمَل به غَيْرُكم ، والله الله فى الصَّلاةِ ؛ فإنَّها عَمودُ دِينكم ، والله الله فى بَيْتِ ربّكم ، فلا يخْلوَنّ مِنكم ما بَقيتُم ، فإنَّه إنْ تُرِك لَمْ يُناظر ، والله الله فى شَهْرِ رَمَضانَ ، فإنّ صيامَه جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ .

والله الله فى الجهاد فى سَبيلِ الله بأمْوالِكم وأنْفسِكم ، والله الله فى الزَّكاةِ ، فإنَّها تُطْفِىءُ غَضَبَ الرَّب ، والله الله فى ذِمَّة نبيِّكم « يَعْنى أهْلَ الذّمة » فلا يُظْلمُنَّ بيْن ظَهْرانَيْكم ، والله الله فى أصْحاب نبيّكم ، فإنّ رَسولَ الله ﷺ أوْصَى بهم ، والله الله فى الفُقَراءِ والمسَاكِين فأشْرِكوهم فى معَايشكم .

والله الله فِيما مَلكتْ أيْمانُكم ؛ فإنّ آخِر ما تكلّم به رَسُولَ الله ﷺ أنْ قالَ :

« أوصيكُم بالضَّعِيفيْنِ : نِسائِكم ومَا مَلكتْ أيْمانُكم ، الصَّلاةَ الصَّلاةَ ، لا تَخافُنَّ فى الله لَوْمة لائم،ثمَّ بِكَفّكم مَنْ أرادكم وبَغَى عَليْكم ، وقولُوا للنَّاسِ حُسْناً كمَا أمَرَكم الله .

ولا تَتْركوا الأمْر بالمعْرُوف والنَّهى عَن المنكَر ، فيُولّى الأمْرَ شِرارُكم ثمَّ تَدْعُون فَلا يُسْتجابُ لكَم ، وعليْكم بالتَّواصُل والتَّبادُلِ ، وإيَّاكم والتَّدابُرَ والتَّقاطُعَ والتَّفرُّق ، وتَعاونُوا عَلى البرّ والتَّقْوى ولا تَعاونُوا عَلى الإثْم والعُدْوان واتَّقوا الله إنّ الله شَديدُ العِقابِ ، حَفِظكَم الله مِنْ أهْلِ بَيْت ، وحَفِظ عليْكم نبيكَم ، أسْتَوْدِعكَم الله ، وأقْرأ عَليكَم السَّلامَ ورَحْمةَ الله أ هـ(٢٩) .

○ ○ ○

---

(٢٩) ذكره ابن كثير (٣٢٧/٧) والطبرى (٨٥/٦)

وصية أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه

١١٠ – عَنْ سعيدِ بن المسيَّب قالَ : لمَّا طَعِنَ أَبُو عُبيدةَ رَضىَ الله عنْهُ بالأَرْدُن دَعَا مَنْ حَضَره مِنْ المَسلِمينَ وقالَ :

« إنِّى مُوصِيكَم بوَصيَّة إنْ قَبلتُموها لنْ تَزالُوا بخيرٍ : أقِيمُوا الصَّلاةَ ، وصُومُوا شهر رَمَضان ، وتصدَّقوا ، وحجُّوا ، واعْتمرُوا ، وتَواصَوْا ، وانصحُوا لِأمرائِكَم ولا تَغشُّوهُم ، ولا تُلْهكَم الدُّنيا فإنَّ امرأً لَوْ عُمِّرَ أَلْفَ حَوْلٍ ما كان لَه بدٌّ مِنْ أنْ يَصيرَ إلَى مَصْرعى هَذَا الَّذى تَرون ، إنَّ الله تعالَى كتَبَ المَوْتَ على بَنِى آدَمَ فَهُم ميِّتون ، فأكْيَسهُم أطْوَعُهم لربِّه وأَعْلَمُهم لِيومِ معادِه ، والسَّلامُ عليْكَم ورحْمةَ الله ! يا مُعاذَ بنَ حَبلٍ ! صَلِّ بالنَّاسِ » .

وماتَ رحمهُ الله . فقامَ مُعاذ رَضىَ الله عنهُ فى النَّاسِ فَقالَ :

« أيُّها النَّاسُ توبُوا إلَى الله مِنْ ذنوبِكَم ، فأيُّما عَبْدٍ يلْقى الله تعالَى تائباً مِنْ ذَنْبه إلّا كانَ على الله حقًّا أنْ يَغْفِر لهُ ، من كان عَلَيه ديْنٌ فَلْيقْضِه ، فإنَّ العَبْد

مُرْتهنٌ بديْنه ، ومَنْ أصبَح منكم مُهاجراً أخاهُ فلْيلْقهُ وليُصالحْهُ ، ولَا ينْبغِى لمسْلِمٍ أنْ يَهْجر أخاهُ أكْثر مِنْ ثلاثَةِ أيَّامٍ .

أيُّها المسْلمُون :

قَدْ فَجعْتُم برجُلٍ ما أزْعُمُ أنّى رأيتُ عَبْداً أبرَّ صَدْراً ، ولا أبْعَد مِنَ الغائِلةِ ، ولا أشَدّ حُبًّا للعامَّة ولا أنْصَح مِنْه ؛ فَترحَّمُوا عَلَيهِ ، واحْضُروا الصَّلاة عَليْه » أ هـ(٣٠) .

○ ○ ○

(٣٠) الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى (٣١٧/٢) وانظر حياة الصحابة (١٢٣/٢) .

نصيحة الرعية الإمام

١١١ - عَنْ مَكْحولٍ أنّ سَعيدَ بْنَ عامر بنِ خديم الجُمَحِيّ مِنْ أصْحاب النَّبيّ ﷺ قالَ لِعُمرَ بْنِ الخطّاب رَضِيَ الله عنْهُ : إنّي أُريدُ أنْ أُوصِيكَ يا عُمَرُ قالَ : أجَل فأوْصِني ! قالَ :

ـــ أوصِيكَ أنْ تخشَى الله في النَّاسِ ، ولا تَخشَ النَّاسَ في الله ، ولا يخْتَلِف قَولَك وفِعلَكَ ، فإنّ خَيْرَ القَوْل ما صَدَّقَهُ الفِعْلَ ، ولا تَقْضِ في أمْرٍ واحِدٍ بقضاءَينْ فيخْتلف عَليْك أمْركَ وتَزيغ عَنِ الحقّ ، وخُذْ بالأمْرِ ذِي الحجّة تأْخُذ بالفَلجِ ويُعينُكَ الله ويُصلِح رَعيَّتك عَلَى يَديْك ، وأقِمْ وَجْهَك وقَضاءَك لِمَن ولّاك الله أمْرهُ مِنْ بَعِيد المسْلمِين وقَريبهم ، وأحِب لَهُم ما تُحبُّ لنفْسك وأهْل بَيْتك ، واكْرَهْ لَهُم ما تَكْرهُ لنفْسكَ وأهْل بيْتِك ، وخُضِ الغَمَراتِ إلى الحقّ ، ولا تَخَفْ في الله لَوْمَةَ لائمٍ » .

فَقالَ عُمَر : مَنْ يَسْتطيعُ ذَلكَ ؟ فَقالَ سعِيدٌ : مِثْلُك ، مَنْ ولّاهُ الله أمْرَ أمَّة مُحمدٍ ﷺ ، ثمَّ لم يحُلْ بَينه وبيْن الله أحدٌ » أهـ[٣١] .

○ ○ ○

---

(٣١) منتخب كنز العمال (٤/٣٩٠) .

١١٢ – عَنْ عَبْدِاللهِ بن بُرِيدَةَ ، أنّ عُمر بنَ الخطّابِ رَضىَ اللهُ عَنْه جَمَع النَّاسَ لِقَدومِ الوَفْدِ فَقالَ لأرثة بْنِ أرْقم :

انْظُر أصْحابَ مُحمدٍ ﷺ فأذَنْ لَهُم أوَّلَ النَّاسِ ، ثمَّ القَوْم الّذينَ يلونَهُم ، فدَخلَوا فَصفُّوا قُدَّامهُ فَنَظرَ فإذَا رجلٌ ضَخمٌ عليه مُقطعة بُرودٍ ، فأومى إليْهِ عُمَر رضى الله عنه فأتاهُ فَقال عُمرُ : « إيه(٣٢) – ثَلاثَ مرَّاتِ ، فَقَالَ الرَّجُل : إيهِ – ثَلاثَ مرَّات . فقَالَ عُمرُ : أفْ ، قُمْ ، فقَامَ فنَظر فإذَا الأشْعرىُّ رجلٌ أبْيضُ ، خَفيفَ الجِسْم ، قَصيرٌ ثبطٌ(٣٣) ، فأومَأ إليْهِ فأتاهُ فقالَ عُمرُ ، فقَال الأشْعرىُّ : إيه ، قالَ عُمرُ إيهِ ! فقَالَ يا أميرَ المؤْمنينَ ، افْتَح حَديثاً فنُحدِّثكَ ، فقَالَ عُمرُ : أف ، قُمْ ! فإنَّه لَنْ ينْفعَك رأى ضان ، فَنَظَر فإذا رجُلٌ أبْيض ، خَفيف الجِسْم ، فأومأ إليْهِ فأتَاهُ فقال عُمرُ : إيهِ ! فوثَبَ فحَمِد الله ، وأثْنَى عَليْه ، ووَعظَ بالله ثمَّ قَالَ :

« إنَّك وُلِّيتَ أمْرَ هٰذِهِ الأمَّة ، فاتَّق الله فِيما وُلِّيتَ مِنْ أمْر هٰذِهِ الأمَّةِ وأهْل رَعيَّتِكَ فى نَفْسِكَ خاصَّةً ، فإنَّك مُحاسَبٌ ومسئولٌ وإنَّما أنْتَ أمينٌ ، وعَليْك أنْ تُؤدِّى ما عَليْك مِنَ الأمَانةِ فتُعْطَى أجْرَك عَلَى قَدْرِ عَملِكَ »

فقالَ : ما صَدَقنى رجلٌ مُنذُ اسْتُخْلِفْتُ غَيرَك . مَنْ أنْتَ ؟ قالَ أنَا رَبيعُ بنُ زِيادٍ ، فقالَ أخُو المهَاجرِ بْنِ زيادٍ ؟ قالَ : نَعَم . فجهَّز عُمَر جَيْشاً واسْتَعمله عَليْه الأشْعرىُّ ثمَّ قالَ : انْظُر رَبيعَ بنَ زِيادٍ فإنْ يَكُ صَادِقاً فِيما قالَ ، فإنَّ عِنْدهُ عَوناً عَلى هَذا الأمْرِ فاسْتَعْمِلْهُ ثمَّ لا يأتينَّ عَليْكُم عَشَرة إلّا تَعاهَدت مِنْه

(٣٢) اسم فعل للاستزادة من حديث أو فعل .

(٣٣) أى ثقيل بطىء .

عَملهُ ، وكَتَبتَ إلىَّ بِسيرَتِه فى عَملِه حتّى كأنّى أنا الّذِى استَعملتهُ ثمَّ قالَ عُمرُ : عَهِدَ إليْنا نَبيُّنا ﷺ فقالَ : « إنّ أخْوَف ما أخْشَى عَليْكم بَعْدِى مُنافِقٌ عَليمُ اللّسانِ » أ هـ(٣٤) .

○ ○ ○

(٣٤) أخرجه ابن راهويه والحارث ومسدد وأبو يعلى - وصحح - عن عبدالله بن بريدة ، كذا فى كنز العمال (٣٦/٧) .

الفصل الرابع

الكتب والدعوات

الكتب والدعوات

لا شَكَّ أنّ اليَدَ حَينَما تكْتُب تسْتَجمعُ خُلاصَة الخُلَاصَة لتخطّهُ بإتْقانٍ وإحْكامٍ .

ولا شَكَّ أنّ الإنْسَانَ يُرِيدُ أنْ يُعْلنَ أوْ يَعْلم عَنْ شيءٍ فى أقَلّ ما يُمْكن ..

فإنْ صَعُبَت الكِتابَة قَلّل الكَلِمات ، فأحْسَن اللّفظَ وجمَّل المعْنَى ..

ولا شَكَّ أنّ كِبارَ القَوْم وعُلماءَهُم وحُكَماءهم لَهُم مِنَ الكُتُب والدَّعَوات ما يُثْلج الصَّدْرَ ويُريح النَّفْس حِينَ قَراءَتِها ، لِذَا تَرَى النَّاسَ يُقبِلُون عَلَى الأخْبارِ مِنْ هَذا النَّوْعِ ؛ ليعلَموا ماذا أرْسَل ذَاكَ إلَى هذا ، وماذا كَتَب له ..؟

وكُتُب أصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ ودعواتهم تجْمَع العُلُومَ النَّافِعة والوَعْظَ الطَّيِّبَ الفَعّالَ ، والكلمةَ الصَّادِقة ، والمعْنَى البَدِيعَ .

١١٣ – كَتَب أبُو بكرٍ رضى الله عنه إلى عمرو وإلى الوَليدِ بْنِ عُقْبَة – رَضَى الله عنْهُم – وكانَ عَلَى النِّصْفِ مِنْ صَدَقات قُضاعَة ، وقَدْ كانَ أبُو بكرٍ شَيَّعُهما فَبعَثهما عَلَى الصَّدَقة ، وأوْصَى كَلّ واحِدٍ مِنْهَما بوَصيَّةٍ واحِدةٍ[1] .

١١٤ – وكتَب أبُو بكْرٍ الصِّديقُ إلَى عَمْرو بن العَاصِ – رَضَىَ الله عَنْهما :

---

(١) الوصية سبقت رقم (٩٦) ولكن أشرنا إليها هنا لكون أصلها كتابا بعثه أبو بكر رضى الله عنه .

« إنِّى كتَبْتُ إلَى خالِدِ بن الوَلِيدِ ليسيرَ إليْكَ مَدداً لَكَ ، فإذا قَدِمَ عَليْكَ فأحْسِنْ مُصاحَبتَك ، ولا تَطَاوَلْ عَليْه ، ولا تَقْطعِ الأُمُورَ دُونَه لِتقْديمى إيَّاك عَليْه وعلَى غَيْره ، شاوِرْهُم ولا تُخالِفْهم » أ هـ[٢] .

○ ○ ○

وكَتَبَ عُمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه :

١١٥ – عَنْ صالح بنِ كيسانَ قالَ : كانَ أوَّلُ كتابٍ كَتبُه عُمرُ حِينَ وُلّى إلَى أبِى عُبيْدةَ يُولّيه عَلى جُندِ خالِدٍ – رَضىَ الله عنْهُم :

« أُوصيكَ بتَقْوى الله الّذى يَبْقى ويفْنَى ما سِواهُ ، الّذى هدَانَا من الضَّلالَةِ ، وأخْرجَنا مِنَ الظّلماتِ إلَى النُّور ، وقَد استْعملْتُكَ عَلَى جُنْد خالدِ ابن الوَليدِ ، فقَمْ بأمْرِهم الّذِى يحق عَليْك ، لا تُقْدم المسْلمِينَ إلى هَلَكةٍ رَجاءَ غنيمةٍ ، ولا تُنْزِلْهم مَنْزلاً قَبْل أنْ تستريده لَهُم ، وتَعْلمَ كَيْف مأْتاهُ ، ولا تَبْعث سَرِيَّةً إلا فى كنف مِنَ النَّاسِ ، وإيَّاكَ وإلقَاء المسْلمِينَ فى المْهلكَةِ وقَدْ أبْلاكَ الله بِى ، وأبْلانِى بكَ ، فَغَمِّضْ بَصركَ عَنِ الدُّنيا وألْهِ قَلْبكَ عَنْها ، وإيَّاكَ أن تُهْلِكَكَ كَما أهْلَكَت مَنْ قَبْلَك فَقَد رأيْتُ مَصارِعَهم » أ هـ[٣] .

○ ○ ○

١١٦ – عَنِ الشّعْبىِّ قالَ : كَتَب عُمر بنُ الخَطّابِ إلَى العَلاءِ الحَضْرمىِّ رَضىَ

---

(٢) أخرجه ابن سعد ، كنز العمال (١٣٣/٣) .
(٣) أخرجه ابن جرير (٥٤/٤) .

الله عنهما وهو بالبَحْرين أنْ : « سِرْ إلَى عُتْبَة بن غزوَانَ فَقَدَ وَلّيتُكَ عَملَه ، واعْلَم أنَّك تُقْدمُ عَلَى رجُلٍ من المهَاجرينَ الأوَّلينَ الّذينَ قَدَ سَبقَت لَهُم مِنَ الله الحُسْنى لَمْ أعْزِله ألّا يَكونَ عَفِيفاً صَلياً ، شدَيدَ البأسِ ، ولكنّى ظَنْنتُ أنّك أغْنَى عَن المسْلِمينَ فى تِلْك النّاحيةِ مِنْه ، فاعْرِف لهُ حَقّه ، وقَدْ ولّيتُ قَبْلَك رَجُلاً فَماتَ قَبْل أنْ يَصلَ ، فإنْ يُردِ الله تَعالَى أنْ تَلىَ وَلِيتَ ، وإنْ يُرِدْ أنْ يَلِى عُتْبَةَ ، فالخَلْقُ ، والأمْرُ لله ربِّ العَالمِينَ .

واعْلَم أنّ أمْرَ الله محفوظٌ يحْفظهُ الّذى أنْزلَه ، فانْظَر الّذى خُلقتَ لَهُ ، فاكْدَح لهُ ، ودَعْ ما سِواهُ ؛ فإنّ الدُّنْيا أمَدٌ والآخِرةَ أبَدٌ ، فَلَا يَشْغلنَّك شَىءٌ مُدْبرٌ خيرُهُ عَنْ شَىءٍ باقٍ شَرُّه ، واهْرُب إلَى الله من سَخَطِه ، فإنّ الله يجمعُ لمنْ يَشاءُ الفضِيلَة فى حُكْمِهِ وعِلْمِهِ ، نَسْألَ الله لَنا ولَك العَونَ عَلَى طاعَتِه والنَّجاةَ مِنْ عذَابِه » أ هـ(٤) .

○ ○ ○

١١٧ – عَنْ ظبيةَ بْن مُحصَنٍ قالَ : كَتَبَ عُمَرُ بنُ الخطّابِ إلى أبى مُوسَى الأشْعَرىِّ رضَى الله عنْهُما :

« أمَّا بعْدُ ، فإنّ الناسَ نَفرةً مِنْ سُلْطانِهم ، فأعُوذَ بالله أنْ تُدْركَنى وإيَّاك ، فأقِمِ الحُدودَ ولَوْ ساعَةً مِنَ النّهارِ ، وإذَا حَضَرَ أمْران أحدُهُما لله والآخَرُ للدُّنْيا فآثر نَصيبكَ مِنَ الله ؛ فإنّ الدُّنْيا تَنْفَد ، والآخِرةَ تَبْقى . وأخِفِ الفُسَّاقَ ، واجْعَلْهم يَداً يَداً ورجلاً رجلاً ، عُد مَرِيَض المسْلمِينَ ، واحْضُر جَنائِزَهُم ،

(٤) أخرجه ابن سعد (٧٨/٤) .

وافتح بابَكَ ، وباشِرْ أمورهُم بنَفسكَ ، فإنَّما أنْتَ رجلٌ منْهُم غيرَ أنّ الله جَعَلك أثقلهم حِمْلاً .

وقَدْ بَلغنِي أنَّه نَشأَ لكَ ولأهْلِ بيْتك هيئَةٌ فى لباسِكَ ، ومَطْعمك ، ومَركبِكَ لَيسَ للمْسلمينَ مِثْلها .

فإيَّاك يا عَبْد الله أنْ تكَونَ بمنْزلِةِ البَهيمة مرَّتْ بوادٍ خِصْبٍ ، فلَمْ يَكُن لَديْها همٌّ إلّا التسمُّنَ ، وإنَّما حَتفها فِي السِّمَنِ .

واعْلَم أنّ العَامِل إذَا زَاغَ زَاغتْ رَعيَّته ، وأشْقَى النَّاسِ مَنْ شَقِيتْ به رعيَّته » أهـ(٥) .

○ ○ ○

١١٨ – عَن الضَّحاكِ قالَ : كتبَ عُمرُ بنُ الخطّاب إلَى أبي مُوسَى الأشْعرىِّ رضىَ الله عَنْهما :

« أمَّا بعدُ ، فإنّ القوَّةَ فى العَمَل ألّا تُؤخِّروا عَمَل اليَوْم لِغدٍ فإنّكَم إذَا فَعلتُم ذَلكَ تدَارَكتْ عَليْكَم الأعْمالَ فلَا تدْرُون أيُّها تأخُذونَ فأضَعْتُم ، فإنْ خُيِّرتُم بيْن أمْريْن أحدُهما للدُّنْيا ، فإنّ الدُّنْيا تَفنى ، والآخِرةَ تَبْقى ، كَونُوا مِنَ الله عَلَى وَجَلٍ ، وتعلّموا كِتابَ الله فإنَّه ينَابِيعُ العُلَوم ، وربيعُ القَلْوب » أهـ(٦) .

○ ○ ○

كَتَبَ على بن أبى طالب رضى الله عنه :

١١٩ – قالَ ابنُ عبَّاسٍ : ما اتَّعظتُ بَعْد رسُولِ الله ﷺ بمثْلِ كِتابِ كَتَبهُ إليَّ

---

(٥) أخرجه الدينورى كذا فى الكنز (١٤٩/٣) .
(٦) أخرجه ابن أبى شيبة كذا فى الكنز (٢٠٨/٨) .

عَلِىٌّ رضىَ اللهُ عنْهُ :

« أمَّا بعْدُ : فإنّ الإنْسانَ يسرُّه دَرْكُ مَا لَم يكُنْ لِيفُوتَه ، ويسوءُه فَوْتُ مَالَم يكُنْ لِيْدركهُ ، فلا تكُنْ بِما نِلْتَهُ مِنْ دُنْياكَ فَرِحاً ، ولا بمَا فاتَكَ مِنْها تَرِحاً ، ولا تكُنْ ممَّن يرجُو الآخِرةَ بغَيرِ عَملٍ ، ويرجُو التَّوبةَ بدُونِ الأمَلِ ، عِبادَ الله : الحذَرَ الحذرَ . فوَاللهِ لَقَد سَتَرَ حَتَّى كأنَّهُ قَدْ غَفر ، وأمْهَل حَتَّى كأنَّه قَدْ أهْمَل ، والله المسْتَعانُ عَلَى ألْسنَةٍ تَصفُ ، وقلُوبٍ تَعْرفُ ، وأعْمالٍ تُخَالِفُ » أهـ(٧) .

○ ○ ○

١٢٠ – وعَنْ مُعاجرٍ العَامرىِّ قالَ : كتَبَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ رَضىَ اللهُ عنْهُ عَهْداً لبعْضِ أصْحابِه عَلى بَلدٍ فِيهِ :

« أمَّا بعْدُ فلَا تُطوِّلَنَّ حجابَك عَلَى رعيتِك ، فإنّ أحْتجاب الوُلاةِ عَنِ الرَّعيَّةِ شُعبةٌ مِنَ الضِّيق ، وقِلّة عِلْم مِنَ الأمورِ ، والاحْتجابُ يَقْطَع عَنْهم عِلْمَ ما احْتُجبُوا دُونَه ، فيَصْغُرُ عِنْدهُم الكَبيرُ ، ويَعْظمُ الصَّغيرُ ، ويقْبُحُ الحَسنُ ، ويَحْسنُ القَبيحُ ، ويُشابُ الحقُّ بالبَاطِلِ ، وإنَّما الوَالى بَشرٌ لا يَعْرف ما تَوارَى عنْهُ الناسُ بهِ مِنَ الأمُورِ ، ولَيْستْ عَلَى القَوْلِ سِماتٌ(٨) يُعْرَفُ بِها صُروفُ الصِّدْقِ مِنَ الكَذِب فيُحصَّن مِنَ الإدْخالِ فى حُقُوق بِلينِ الحجَابِ ، فإنَّما أنْتَ أحَدُ رجُلَين :

إما امْرؤٌ سَخَتْ نَفْسكَ بالبَذْلِ فى الحقِّ فتُقيمُ احْتجابك مِنْ حَقٍّ تُعْطيهِ

---

(٧) ذكره فى الكشكول (٢٤٨/٣) .
(٨) أى علامات .

أو خُلقٍ كَريمٍ تُسْديهِ ، وإمَّا مُبْتلى بالمنْعِ ، فما أسْرَعَ كفّ النَّاسِ عَنْكَ وعَنْ مُساءَلَتِك إذَا يَئِسُوا من ذلِـكَ مَعَ أنّ أكْثر حاجَاتِ النَّاسِ إليْكَ لا مُؤْنةَ فِيهِ عَليْكَ مِنْ مَشْكاة مَظلْمةٍ أوْ طَلَبِ إنْصافٍ ، فانْتَفِعْ بمَا وَصَفْت ، واقْتَصر عَلَى حظّك ، ورُشْدِكَ إنْ شَاءَ الله أ هـ(٩) .

○ ○ ○

١٢١ — عَنِ المدائِنِيّ قالَ : كَتَبَ عليٌّ بنُ أبى طالبٍ رَضىَ الله عنهُ إلَى بَعْضِ عُمَّاله :

« رُويْداً مَكانَ قَدْ بَلَغْتَ المَدى ، وعُرِضَت عَليْكَ أعْمالَك بالمَحَلّ الّذِى يُنَادى المغْترّ بالحَسْرةِ ويتمنّى المُضيِّع التَّوبةَ ، والظّالمُ الرَّجعْةَ » أ هـ(١٠) .

○ ○ ○

وَكَتَبَ أبُو عبيْدةَ ومُعاذٌ رضىَ الله عنهما :

١٢٢ — عَنْ مُحمدِ بنِ سُوقَةَ قالَ : أتَيتُ نُعَيْمَ بنَ أبى هنْدٍ فأخْرجَ إلَىَّ صَحيفةً فإذَا فِيها :

« مِنْ أبِى عُبيدةَ بْن الجَّراحِ ، ومُعاذِ بْن جَبلٍ إلَى عُمرَ بْنِ الخطّاب : سَلامٌ علَيكَ ، أمَّا بَعْد !

فإنَّا عَهدنَاكَ وأمْرُ نَفْسِك لَكَ مُهمٌّ ، فأصْبحَتَ قَدْ وُلّيتَ أمْرَ هٰذِهِ الأُمّةِ أحْمَرِها وأسْوَدِها ، يَجْلسُ بيْن يَديْكَ الشَّريفَ والوَضِيعُ(١١) ، والعَدوُّ

(٩) أخرجه الدينورى وابن عساكر ، كذا فى منتخب الكنز (٥٨/٥) .
(١٠) أخرجه الدينورى وابن عساكر ، كذا فى منتخب الكنز (٥٨/٥) .
(١١) الخسيس الدنىء .

والصَّديقُ ، ولِكلٍّ حِصتُه مِنَ العَدْلِ ، فانْظَر كَيفَ أنْتَ عِندَ ذلكَ يا عُمَرُ ! فإنَّا نُحذِّركَ يَوْماً تَعْنو فِيهِ الوُجُوهُ ، وتَجفُ فِيهِ القلوبُ ، وتَنْقَطعُ فِيهِ الحججُ لحجَّةِ مَلِكٍ قَهرهُمْ بِجَبُروتِه ، فالخَلْقُ دَاخِرُونَ لَهُ ، يَرجُونَ رحْمتَه ، ويخَافُون عِقابَهُ ، وإنَّا كنَّا نُحدَّث أنَّ أمْرَ هَذهِ الأُمَّة سَيَرْجعُ فى آخِرِ زَمانِها إلَى أنْ يكُونُوا إخْوانَ العَلانِيَةِ ، أعْداءَ السَّرِيرةِ ، وإنَّا نعُوذُ باللهِ أنْ ينْزِلَ كِتابُنا إليكَ سِوَى المنْزِل الّذِى نَزَل مِنْ قلوبِنا ، فإنَّما كتبنا بِهِ نَصِيحةً لَكَ ، والسَّلامُ عَلَيْكَم » .

فكَتبَ إليهما عُمر بنُ الخطَّابِ رضِىَ اللهُ تَعالَى عنْهُ :

مِنْ عُمَر بنِ الخَطّابِ إلَى أبِى عُبيَدةَ ومُعاذٍ ، سَلامٌ عَليْكما .

أمَّا بَعْد ! أتانِى كِتابُكَما ، تَذكُرانِ أنكَمَا عَهِدتُمانِى وأمْرُ نَفسِى لى مُهمٌّ ، فأصبَحتُ قَدْ وُلِّيتُ أمْرَ هٰذِهِ الأُمَّةِ أحْمَرِها وأسْوَدِها ، يجلسُ بَيْن يَدَىَّ الشَّرِيفُ والوَضِيعُ ، والعَدوُّ والصَّدِيقُ ، ولِكُلٍّ حِصتُّه مِنَ العَدْل ، كَتبْتُما : فانْظَر كَيفَ أنْتَ عند ذَلكَ يا عُمرَ ! وإنَّه لَا حَوْل ولا قُوَّة لِعُمرَ عِنْد ذَلكَ إلّا باللهِ عزَّ وجلّ .

وكَتبتُما تُخذِّرانِى ما حُذِرتْ مِنْهُ الأُمَمُ قَبْلَنا ، وقَديماً كانَ اخْتلافُ اللَّيلِ والنَّهارِ بآجالِ النَّاسِ يقربان كَلّ بعيد ويبليان كَلّ جَديدٍ ، ويأتيان بكلّ مَوْعودٍ حتَّى يَصيرَ الناسُ إلَى مَنازِلِهم مِنَ الجنَّةِ أو النَّارِ .

كتَبتُما تُخَذرانى : أنّ أمْرَ هٰذِهِ الأُمَّة سَيرجعُ فِى آخِرَ زَمانِها إلَى أنْ يَكونُوا إخْوانَ العَلانِيَة أعْداءَ السَّرِيرة ، ولستُم بأولٰئك ، ولَيسَ هـٰذا بزمَانِ ذَاكَ ، وذَلكَ زَمانٌ تظْهرُ فِيهِ الرَّغْبَة والرَّهبةَ ، تكَونَ رغْبةَ النَّاسِ بَعْضِهم إلَى بَعْضٍ لِصلاح دُنْياهُم .

كتابُ زيادِ بن الحارِث إلَى قَوْمه

١٢٣ – عَنْ زيادِ بْن الحَارِثِ الصدَّائىِّ رَضىَ الله عنْهُ قالَ : أتيتُ رسُولَ الله ﷺ فبايَعتهُ عَلى الإسْلامِ ، فأُخْبِرتُ أنَّه قَدْ بَعَثَ جَيْشا إلَى قَومِى فقلتُ : يا رَسْولَ الله ، أَدْدِ الجَيْشِ وأنَا لَكَ بإسْلامِ قَوْمى وطَاعَتِهم ، فقال لِى : اذْهب فَرُدَّهُم ، فقلْتُ يا رَسُولَ الله ، إنّ رَاحِلَتى قد كلّتْ ، فَبعثَ رَسولَ الله ﷺ رجُلاً فَرَدَّهُم .

قالَ الصَّدائِىُّ : وكَتبتُ إلَيْهم كِتاباً فَقَدمَ وَفْدهُم بإسْلامِهِمْ ، فقَالَ لِى رسُولَ الله ﷺ : يا أخَا صَدَّاء ، إنَّك لمُطاعٌ فى قوْمِكَ ، فقَلتُ : بل الله هَداهُم للإسْلامِ ، فقالَ : أفَلاَ أؤمِّركَ عَليْهم ؟ قلْتُ : بَلَى يا رَسُولَ الله ! قالَ : فكَتَبَ لى كِتاباً أمَّرنى ، فقَلَت يا رَسولَ الله ، مُرْ لى بشَىْءٍ مِنْ صَدقاتِهِم . قالَ : نَعَم فكتَبَ لِى كِتاباً آخَر .

قالَ الصَّدائِىُّ وكانَ ذلكَ فى بَعْض أسْفارِه ، فَنزلَ رسُولَ الله ﷺ مَنْزلًا ، فأتَاهُ أهْلَ ذلك المنْزِلِ يشْكَونَ عَامِلَهُم ويقَولَون : أخَذَنا بَشْىْءٍ كانَ بيننا وبَيْن قَومِهِ فى الجاهِليَّةِ ، فقَالَ رسُولَ الله ﷺ أوَ فَعل ذلكَ ؟ قالَوا : نَعَم ، فالْتفتَ إلَى أصْحابِه وأنَا فِيهم فقَالَ : لا خَيْر فى الإمارَةِ لرجُلٍ مُؤمِنٍ .

قالَ الصَّدائىُّ : فدخَلَ قولَه فى نَفْسِى ، ثمَّ أتاهُ آخَرُ فقَالَ يا رَسُولَ الله ، أعْطِنى ، فقَالَ رَسُولَ الله ﷺ : مَنْ سأَلَ النَّاسَ عَنْ ظهْر غِنىً فَصُداعٌ فى

(١٣) أى وجع فى الرأس

الرَّأسِ ودَاءٌ فى البَطْنِ ، فقالَ السَّائلَ : أعْطِنى مِنَ الصَّدقةِ فقَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : إنّ اللهَ لَمْ يَرضَ فى الصَدَقاتِ بحُكْمِ مِنِّى ولَا غَيْرِهِ حتَّى حَكَم هُو فيها ، فَجزَّأهَا ثمانيةَ أجْزاءِ ، فإنْ كَنْتَ مِنْ تِلكَ الأجْزاءِ أعْطيتُكَ .

قالَ الصَّدائىُّ : فَدخَل ذَلكَ فى نَفْسِى أنّى غنى وأنّى سألْته الصَدَقَة - فَذكَر الحَدِيثَ أ هـ(١٤) .

كتاب خالد بن الوليد إلى أهل فارس :

١٢٤ - عَنْ أبى وَائلٍ رَضىَ اللهُ عنهُ قالَ : كَتَبَ خَالدُ بنُ الوَليدِ رَضىَ اللهُ عنهُ إلى أهْلِ فَارِسٍ يدْعُوهم إلَى الإسْلامِ :

« بسْمِ اللهِ الرَّحْمـٰنِ الرَّحيمِ . مِنْ خالِدِ بنِ الوَليدِ إلى رسْتمَ(١٥) ومَهْرانَ ومَلأ فَارِس ، سلَامٌ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى ..

أمَّا بَعْد ، فإنَّا نَدعُوكُم إلَى الإسْلامِ ، فإنْ أبَيْتُم فأعْطَوا الجِزْيةَ عَنْ يَدٍ وأنْتم صاغِرُونَ ، فإنْ أبيْتُم فإنّ مَعِى قَوْماً يحِبُّونَ القَتْل فى سَبيلِ اللهِ كما تُحبُّ فارِس الخَمْرَ ، والسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى أ هـ(١٦) .

○ ○ ○

كتَبْتُما تُعوذانِى باللهِ أنْ أنْزِل كِتابكَما سِوَى المنْزِلِ الّذِى نَزَل مِنْ قَلوبكَما وإنكمَا كَتَبْتُما بِهِ نِصيحَةً لِى وقَدْ صَدقْتُما ، فَلَا تَدَعا الكِتابَ إلىَّ فإنهُ لا غِنَى بِى عنْكَما ، والسَّلامُ عَليْكَما أ هـ(١٢) .

---

(١٤) أخرجه البيهقى كما فى الكنز (١٨/٧) .
(١٥) كذا فى الحاكم وهو الصحيح .
(١٦) أخرجه الطبرانى ، قال الهيثمى فى مجمع الزوائد : إسناده حسن أو صحيح (٣١٠/٥) .
(١٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٣٨/١) .

١٢٤م - عَنْ مُجالِدٍ ، عنِ الشَّعبِيِّ قالَ : أقرأنى بنو بُجَيْلَةَ كِتابَ خالِدِ بنِ الوَليدِ إلَى أهْلِ المَدائِن :

« مِنْ خالِدِ بنِ الوَليدِ إلَى مَرازِبةِ أهْلِ فارِس ، سَلامٌ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى ..

أمَّا بَعْد ، فالحَمدُ لله الَّذى فَضَّ حِزْمتكم[١٧] ، وسَلَب مُلْكَكم ، ووَهَنَ كَيْدَكُم . وإنه مَنْ صَلَّى صَلاتَنا ، واسْتَقبلَ قِبْلتَنا ، وأكَلَ ذَبِيحتَنَا ، فَذلكَ المسْلِمُ الّذِى لَهُ ما لَنَا وعَليه مَا عَلَيْنا .

أمَّا بَعدُ : فإذَا جَاءَكُم كِتابِى فابْعثُوا إلىَّ بأمْرَيْن واعْتقدُوا مِنِّى الذِّمَّةَ ، وإلّا فوالّذِى لَا إلَهَ غَيرهُ لأبْعثنَّ إلَيْكُم قَوْماً يُحِبُّونَ المَوْتَ كمَا تُحِبُّونَ الحَيَاةَ » .

فلَمَّا قَرءوا الكِتابَ أخَذوا يتعجبُّونَ وذلكَ سَنَة اثْنَتى عَشَرَةَ »[١٨]

○ ○ ○

١٢٥ - عَنْ مُجالِدٍ عَنِ الشَّعبىِّ قالَ : كتَبَ خالِدٌ رَضِىَ اللهُ عنهُ إلَى هُرمُزَ قَبْل خُروجِهِ معى إلى الرباذبةِ الّذينَ باليَمامَةِ وهُرْمُز صاحِبُ الثَّغْر يَوْمئِذٍ :

« أمَّا بَعْد : فأسْلِمْ تَسْلَمْ أو اعْتَقِدْ لنَفْسكَ وقَوْمِكَ الذِّمَّةَ وأقْرِرْ بالجِزْيَة ، وإلّا فَلا تلُومَنَّ إلّا نَفْسَكَ فَقَد جِئْتُكَ بقَومٍ يُحبُّون المَوْتَ كَما يُحبُّونَ الحَياةَ » أ هـ[١٩] .

○ ○ ○

(١٧) أى كسرها .
(١٨) أخرجه ابن جرير (٢/٥٥٣) .
(١٩) أخرجه ابن جرير فى تاريخه (٢/٥٥٤) .

كتاب أبى بكر إلى أهل اليمن :

١٢٦ - كَتَبَ أَبو بكْرٍ الصِّديقُ رَضىَ الله عنه كِتاباً إِلَى أَهْلِ اليَمنِ يدْعُوهُم إِلى الجهاد فى سَبِيلِ الله .

« بِسْمِ الله الرَّحْمـٰنِ الرَّحِيم . مِنْ خَليفَةِ رَسُولِ الله ﷺ إِلى مَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ كِتابِى هَذَا مِنَ المؤْمِنِينَ والمسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ اليَمنِ سَلامٌ عَلَيْكُم ، فإِنِّى أَحْمَدُ إِلَيْكُم الله الّذِى لا إِلـٰه إِلّا هُوَ .

أَمَّا بَعْد فإِنّ الله تعالَى كَتَبَ عَلى المؤْمِنينَ وأَنْفسِهِم الجهادَ فى سَبِيلِ الله ، والجِهَادُ فَرِيضةٌ مَفْروضةٌ ، والثَّوابُ عِندَ الله عَظِيمٌ .

وقَد اسْتَنْفَرْنا المسْلِمِينَ إِلَى جِهادِ الرُّومِ بالشَّامِ ، وقَدْ سارَعُوا إِلَى ذلكَ ، وقَدْ حَسُنَتْ بذلِـكَ نيَّتهم ، وعَظُمتْ حِسْبَتهم ، فَسارِعُوا عِبادَ الله إِلَى ما سَارِعُوا إِلَيْهِ ، ولْتَحْسُنْ نِيَّتُكم فِيهِ فإنكم إِلَى إِحْدَى الحُسْنَيَيْن : إِمَّا الشَّهادَةَ وإِمَّا الفَتْحُ والغَنِيمَةَ فإِنّ الله تَبارَكَ وتَعالَى لَمْ يَرضَ لِعبادهِ بالقَول دُونَ العَمَل ، ولَا يَزالُ الجهادُ لأَهْلِ عَداوَتِه حتَّى يدينُوا بدينِ الحَقّ ، ويُقِرُّوا لحكْم الكِتابِ . حَفِظ الله لكَمْ دِينكَمْ ، وهَدَى قلوبَكم ، وزَكّى أَعْمالكَم ، ورَزَقكَم أَجْرَ المُجاهِدِينَ الصَّابِرِينَ » أ هـ(٢٠) .

○ ○ ○

---

(٢٠) المختصر (١٢٦/٢) وكنز العمال (١٤٣/٣) .

وكتَبَ زيدُ بنُ ثابت إِلَى أبيٍّ بن كعْب رَضِيَ الله عنهما :

١٢٧ – عَنْ عَبْدِ الله بن دِينارٍ النَّهرانيٌّ قالَ : كتَبَ زَيدُ بنُ ثابِتٍ إلَى أُبيٍّ بنِ كعْبٍ ، رَضِيَ الله عَنْهُما :

« أمَّا بَعْد : فإنّ الله قَدْ جَعَل اللسانَ تَرجُماناً للْقَلبِ ، وجَعَل القَلْبَ وعاءً ورَاعِيةً ينْقَادُ لَهُ اللّسانَ لمَا أهْداهُ لَهُ القَلبُ ، فَإِذَا كانَ القلْبُ عَلى طَوْق اللسّانِ جَادَ الكَلامُ ، وائتلَف القَوْل واعْتَدلَ ولمَ تكلم للّسانِ عَثْرةٌ ولا زَلّة ولا حِلم لمن لَم يكَن قَلبُهُ مِنْ بَيْنِ لِسانِه ، فإذَا تَركَ الرجُلَ كَلامَهُ بلسَانِه وخالَفهَ عَلَى ذلكَ قلبُه خَدَعَ بِذَلكَ نَفسَه ، وإذَا وزَنَ الرَّجُل كَلامَهُ بفِعلهِ صَدق ذلكَ مَواقِع حَدِيثِه يذكَر هَلْ وَجَدتَ بَخيلًا إلّا وَهُو يَجرد بالقَولِ ، ويمنّ بالفِعْل ، وذلِكَ لأنّ لِسانَهُ بَيْن يَديِ قلبِهِ يذكَر هَلْ تجدُ عِنْد أحَد شَرَفاً أوْ مُروءَةً إذا لَم يحْفظ ما قَالَ ثمَّ يتبعُه ويقَولَ ما قالَ وهُوَ يَعْلم أنّه حقٌّ لله واجبٌ حِينَ يتكَلّم به لا يكونَ بَصيراً بعُيوبِ النَّاسِ ، فإنّ الّذِى يُبصر عُيوبَ النَّاسِ ويهُونَ عَليْه عَيْبه كمَنْ يتكلّفَ مَالَا يُؤمَر بِه ، والسَّلامُ » أهـ(٢١)

○ ○ ○

(٢١) أخرجه ابن عساكر ، كذا فى كنز العمال (٨/٢٢٤) .

الفصل الخامس

المواعظ والمواقف

يَهيمُ فى العَوالِم ، عَالَمِ النَّاسِ ، عالَمِ المادَّةِ ، وعَالَم الطهْر ، وعَالَم غَيْره ..

يَسْتَحْوذَ عَليْه الشَّيْطانَ فيحاربه ، يميلَ بِه الهَوَى فَيدْفعُه ، تتحكم فِيهِ الشَّهْوةَ فَيطْرُدُها ..

إنَّه يَحْتاجُ إلَى المحَارَبَة الدَّائمةِ ، وإلا وَجَد نَفْسَه ضَعيفاً قَليلًا لا حراكَ عِنْدهُ ، ولا قُدرةَ لَديْه ، وأصْبحَ مَرْتَعاً للفِسْقِ والفُجُورِ ..

يَحتاجُ إلَى التَّذْكِير والبَيَان ، وتَوْضِيح مَعالِم الطّريق ومَنْهج الحقِّ ..

وبهذَا التَّذْكير ينْتفعُ ، فَيرجعُ عمَّا عَزَم ، ويَعُود عَمَّا أرَادَت نَفْسُه ، وَزيَّنَ لَهُ الشَّيْطانَ ..

إنَّه يحْتاجُ إلَى الكَلمَةِ الطَّيِّبة ، والجُملةِ المنَسَّقةِ ، واللّفظةِ الصَّادِقةِ الصَّادِرةِ عنِ القَلوبِ ؛ لِتَصلَ إلَى قَلْبه ، ولَيَس هُناكَ أصدْقُ مِنْهُم ولا أبْلَغُ مِنْهُم ولا أخلَصُ مِنْهُم رِضْوانَ الله عَليهِمْ أجْمَعين .

موعظة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

١٢٧ – عَنْ عُمرَ رَضىَ الله عنْهُ أنَّه وعَظَ رجُلاً فقَالَ : « لا يُلْهكَ النَّاسُ عَنْ نَفْسكَ ؛ فإنَّ الأمْر يَصيرُ إلَيْكَ دُونَهُم ، ولا تَقْطع النهار سارِباً فإنَّه محفوظ عَليْكَ ما عَمِلْتَ ، وإذَا أسَأْتَ فأحْسِنْ ، فإنِّى لا أرَى شيْئاً أشَدَّ طَلَباً ولا أسْرَعَ دَركَةً مِنْ حَسنةٍ حَدِيثةٍ لِذَنْبٍ قَديمٍ » أهـ[1]

(١) أخرجه الدينورى (٢٠٨/٨) .

١٢٨ - عَنْ عُمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ : اعْتَزِلْ ما يُؤذِيكَ ، وعَلَيْكَ بالخَليلِ الصَّالحِ وقلّ ما تجدهُ ، وشاوِرْ فى أمْرِكَ الّذينَ يخافُون الله » أهـ(٢) .

○ ○ ○

١٢٩ - عَنْ سَعِيد بنِ المسَيَّب قال : وَضَع عُمر بنُ الخطّابِ رَضِىَ اللهُ عنهُ للنَّاسِ ثمانيَ عَشْرَةَ كَلمةً حِكم كلّها قال : ما عَاقَبتَ مَنْ عَصَى اللهَ فِيكَ بمثْلِ أنْ تُطيعَ اللهَ فِيهِ ، وضَعْ أمْرَ أخِيكَ عَلَى أحْسَنِه حتَّى يجيئك مِنْهُ ما يَغْلبكَ ، ولَا تَظنَّنَّ بكَلمةٍ خَرجتْ مِن إنسان شرًّا وأنْتَ تَجد لها فى الخَيْرِ مَحْملًا ، ومَنْ عَرَضَ نَفسَه للتُّهَم فلَا يلُومَنَّ مَنْ أساءَ بِهِ الظَّنَّ ، ومَنْ كتَم سِرَّه كانَتِ الخِيرةَ فى يَدهِ ، وعَلَيْك بإخْوانِ الصِّدْقِ تعشْ فى أكْنافِهِمْ ؛ فإنَّهم زِينةٌ فى الرَّخاءِ ، وعُدةٌ فى البَلاءِ ، وعَلَيْك بالصِّدْق ، وإنْ قَتَلك ، ولا تَعْرضْ فيما لا يَعْنى ، ولا تَسْأل عمَّا لَم يكُنْ ، فإنّ فيما كان شُغلاً عَما لَم يكُنْ ، ولا تطلَبنَّ حَاجَتكَ إلَى مَنْ لا يُحبُّ نَجاحَها لَكَ ، ولا تُهادِن بالحَلِف الكاذِبِ فيُهْلِكَكَ اللهُ ، ولا تَصْحبِ الفَجّار فتتعلم مِنْ فجُورِهمْ ، واعْتزِلْ عَدوَّكَ ، واحْذَر صَديقَكَ إلّا الأمين ، ولا أمينَ إلَّا مَنْ خشِى اللهَ ، وتخشَّعْ عِنْد القَبورِ ، وذلّ عنْد الطّاعَة ، واسْتعصِمْ عِنْدَ المَعْصيَة ، واستَشِرْ فى أمْرِكَ الّذين يخْشوْن اللهَ ؛ فإنّ اللهَ تَعالَى يقَولُ ﴿ **إنَّما يخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَمَاءُ** ﴾(٣) أهـ(٤) .

---

(٢) أخرجه البيهقى (٢٠٨/٨) .

(٣) فاطر : ٢٨ .

(٤) أخرجه الخطيب وابن عساكر وابن النجار ، كذا فى كنز العمال (٢٣٥/٨) .

١٣٠ - عَنْ مُحمَّد بن شهابٍ قالَ : « قالَ عُمر بنُ الخطّابِ رَضِىَ اللهُ عنهُ لا تَعْترِضْ فِيمَا لا يَعْنيك ، واعْتَزِل عَدوَّك ، واحْتفِظْ مِنْ خَلِيلكَ إلّا الأمِينَ ؛ فإنّ الأمِينَ مِنَ القَوْم لا يُعادِلهُ شَىْءٌ ، ولا تَصْحبِ الفَاجر فيُعلّمَكَ مِنْ فَجورِه ولا تُفْشِ إليْهِ سِرَّكَ ، واستَشِرْ فى أمركَ الّذينَ يخْشَوْن اللهَ عزَّ وجَلّ » أ هـ(٥) .

○ ○ ○

١٣١ - عَنْ سَمُرة بُن جُندبٍ قالَ : عُمرُ رَضِىَ اللهُ عنْهُ :

« الرِّجالَ ثَلاثةٌ ، والنّساءُ ثَلاثٌ : فأمَّا النّساءُ فامْرأةٌ عَفيفَةٌ مُسْلمةٌ ليّنَةٌ ودُودٌ ولَودٌ تُعين أهْلَها عَلَى الدّهْر ، ولا تُعينُ الدَّهرَ على أهْلها ، وقَليلًا ما تَجِدُها ، وامْرأةٌ وَعَّاء لا تَزيدُ عَلَى أنْ تَلدَ الأوْلادَ ، والثّالِثة غل يَجْعلَها اللهُ فِى عُنُق مَنْ يَشاءُ ، فإذَا شاءَ أنْ ينْزعَهُ نَزَعهُ ، والرِّجالَ ثَلاثةٌ : رَجلٌ عفيفٌ هيِّنٌ ليِّنٌ ذَو رأىٍ ومَشُورةٍ ، فإذَا نَزَل بِه امْرٌ ائتَمر رأْيَه وصَدَّر الأُمُورَ مَصادِرَها ، ورَجُلٌ لا رَأْى لَهُ إذَا نَزَل بهِ أَمْرٌ أتَىَ ذَا الرَّأْى والمشُورَةِ ، فَنَزَل عنْدَ رأيِهِ ، ورجُلٌ حائرٌ بائرٌ لا يتم رُشْداً ، ولا يُطيعُ مُرْشِداً »أ هـ(٦) .

○ ○ ○

١٣٢ - عَنْ عُمرَ رَضِىَ اللهُ عنْهُ قالَ : كَونُوا أوْعيَةَ الكِتابِ ، ويَنابيعَ العِلْم ، وسَلُوا اللهَ رِزْقَ يَوْمٍ بيومٍ » أ هـ(٧) .

○ ○ ○

---

(٥) رواه أبو نعيم فى الحلية (٥٥/١) .

(٦) أخرجه ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا والخرائطى والبيهقى وابن عساكر ، كنز العمال (٢٣٥/٨) .

(٧) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٥١/١) .

١٣٣ – عَنْ عُمَر رَضِىَ الله عنْهُ قالَ : مَنْ خَافَ الله لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ ، ومَنْ يتَّقِ الله لَمْ يَصْنَعْ ما يُريدُ ، ولَوْلا يَوْمُ القِيامَة لكانَ غَيرُ ما تَروْنَ » أ هـ(٨) .

○ ○ ○

١٣٤ – عَنْ عُمَرَ رَضِىَ الله عنْهُ قالَ : « مَنْ يُنْصِفْ مِنْ نَفْسه يُعْطَ الظَّفَر فى أَمْرِهِ ، والتَّذلُّل فى الطَّاعَةِ أَقْرَبُ إلى البِرِّ مِنَ التَّعزُّز بالمَعْصِيَةِ » أ هـ(٩) .

مواعظ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

١٣٥ – عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِىَ الله عنْهُما قالَ : قالَ عُمرُ لعلىٍّ رَضِىَ الله عنْهُما : عِظْنى يا أبَا الحَسَنِ ، قالَ : لا تَجْعل يَقينَكَ شَكاً ، ولا عِلْمكَ جَهْلاً ، ولا ظَنَّك حَقّا ، واعْلمَ أنّه لَيس لَكَ مِنَ الدُّنْيا إلّا ما أعْطيتَ فأمْضَيتَ ، وقَسَمْتَ فَسوَّيتَ ولَبِسْتَ فأبْلَيتَ ، قالَ : صَدَقتَ يا أبَا الحَسَن » أ هـ(١٠) .

○ ○ ○

١٣٦ – عَنْ علىٍّ بن أبى طالب رَضِىَ الله عنْه أنّه قالَ لِعُمر رَضِىَ الله عنْهُ يا أمِيرَ المؤْمِنينَ ، إنّ سَرَّك أنْ تلْحقَ بِصاحِبَيك فأقْصِر الأَمَلَ ، وكُلْ دُونَ الشِّبَع ، وأقْصِر الإزَارَ ، وارْفَع القَميصَ ، واخصف النَّعْل تَلْحقْ بِهما » أ هـ(١١) .

○ ○ ○

(٨) أخرجه ابن أبى الدنيا (٢٣٥/٨) .
(٩) أخرجه الخرائطى (٣٣٥/٨) .
(١٠) أخرجه ابن عساكر ، كنز العمال (٢٢٠/٨)
(١١) أخرجه البيهقى ، كنز العمال (٢١٩/٨) .

١٣٧ – عَنْ عليٍّ رضىَ اللهُ عنهُ قالَ : لَيس الخَيْرُ أنْ يكثُر مالُكَ وولَدُك ، ولكنَّ الخَيْرَ أنْ يكثُر عِلْمُكَ ، ويعْظَمَ حِلْمُكَ ، وتتباهَى بِعبادَةِ ربِّكَ ، فإنْ أحْسَنتَ حَمِدتَ اللهَ ، وإنْ أسَأْت استْغفرتَ اللهَ ، ولا خيْرَ فِى الدُّنْيا إلّا لأحَدِ رجُلَين : رَجُلٍ أذْنَب ذَنْباً فَهو تَدارَكَ ذلِـكَ بتوْبة ، أوْ رجُلٍ يُسارِعُ فى الخَيْراتِ ، ولا يَقلُّ عَملٌ فى تَقْوى ، وكَيْف يَقلُّ ما يُتقبَّل » أهـ(١٢) .

○ ○ ○

١٣٨ – عَنْ عُقْبة بن أبِى الصَّهْباء قالَ : لما ضَرَبَ ابنُ مُلْجم عَليًّا رَضىَ اللهُ عنْه دخلَ عليْه الحَسنُ رَضىَ اللهُ عنه وهُو باكٍ فَقالَ لهُ : ما يُبْكيك يا بُنىّ ، قالَ : وما لى لا أبْكى وأنْتَ فى أوَّلِ يَومٍ مِنَ الآخِرةِ ، وآخِرِ يَوْمٍ منَ الدُّنْيا ! فقَالَ : يا بُنىَّ احْفَظ أرْبَعاً ، وأرْبعاً ، لا يضرّكَ ما عَمِلتَ معهنَّ ، قالَ : وما هُنَّ يا أبَتِ ؟ قالَ : إنّ أغْنى الغِنَى العَقْلَ ، وأكْبَرَ الفَقْرِ الحُمْقُ ، وأوْحَشَ الوَحْشَةِ العُجْبُ ، وأكْرَمَ الكَرمِ حُسنُ الخُلَق ، قالَ : قلْتُ : يا أبَتِ ، هـٰذِهِ الأرْبعة فأعْلمْنِى الأرْبَعَ الأخْرى قالَ : وإيَّاكَ ومُصادَقَةَ الأحْمقِ فإنَّه يُرِيدُ أنْ ينْفَعَكَ فَيضُرَّكَ ، وإيَّاكَ ومُصادَقَةَ الكذّابِ ؛ فإنَّه يُقرِّبُ عَليْكَ البعيدَ ، ويُبَعِّدُ عَليْكَ القرِيبَ ، وإيَّاكَ ومُصادَقَةَ البَخِيل ؛ فإنَّه يُبعِّدَ عَنْكَ أحْوَج ما تكُونَ إليْهِ ، وإيَّاكَ ومُصادَقَةَ الفَاجِرِ فإنَّهُ يَبيعُك بالتَّافِهِ » أهـ(١٣) .

○ ○ ○

---

(١٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، وأخرج ابن عساكر فى أماليه عن على رضى الله عنه – نحوه ، كما فى الكنز (٢٢١/٨) .

(١٣) أخرجه ابن عساكر ، كذا فى الكنز (٢٣٦/٨) .

١٣٩ - عَنْ عليٍّ رضىَ اللهُ عنْهُ قالَ : « التَّوْفيقُ خَير قَائِدٍ ، وحُسْنُ الخُلُق خَيْرُ قَرينٍ ، والعَقْلَ خَيرُ صَاحِبٍ ، والأَدَبُ خَيرُ مِيراثٍ ، ولا وَحْشَةَ أشَدَّ من العُجْبِ » أهـ(١٤) .

○ ○ ○

١٤٠ - عَن عليٍّ رضىَ اللهُ عنْهَ قالَ : « كلّ إخاءٍ مُنْقطعٌ إلا إخَاءً كانَ عَلَى غيرِ الطمَع » أهـ(١٥) .

○ ○ ○

(١٤) أخرجه البيهقى وابن عساكر ، كذا فى الكنز (٢٣٦/٨) .
(١٥) أخرجه ابن السمعانى فى الدلائل ، كذا فى كنز العمال (٢٣٦/٨) .

مَواعظ أبِي عُبيدَة بن الجراح رضي الله عنه

١٤١ – عَنْ أبِي عُبيدَةَ بنِ الجَرَّاح رَضِيَ الله عنهُ أنّه كانَ يَسيرُ فِي العَسْكرِ فيقولُ :

أَلَا رُبَّ مُبيِّضٍ لِثيابِه مُدنِّسٍ لِدِينِه ، أَلَا رُبَّ مُكرِمٍ لنَفْسِه وهُوَ لَها مُهينٌ ، ادْرَءوا السَّيئاتِ القَدِيماتِ بالحَسَناتِ الحَدِيثاتِ ، فلَوْ أنّ أحَدَكُم عَمِل مِنَ السَّيئاتِ ما بَيْنه وبَيْن السَّماءِ ، ثمَّ عَمِل حَسَنةً لَعَلَت فَوْقَ سَيِّئاتِهِ حتَّى تَقْهَرهُنَّ » أهـ(١٦) .

١٤٢ – عَنْ سَعيد بنِ أَبِي سَعيدٍ المقْبرِيِّ رَضِيَ الله عنْهُ قالَ :

« لمَّا طَعِنَ أبُو عُبيدَةَ بنُ الجَّراح بالأُرْدُن – وبِها قَبْرهُ – دَعَا مَنْ حَضَرهُ مِنَ المسْلِمِينَ فقَالَ :

إنِّي مُوصِيكَم بوصيَّةٍ إنْ قَبلتُموهَا لَم تَزالُوا بخَيْرٍ : أَقِيمُوا الصَّلاةَ ، وآتُوا الزكَاةَ وصُومُوا شَهْرَ رَمَضانَ ، وتَصدَّقُوا وحُجُّوا واعْتَمروا وتَواصَوْا وانْصَحُوا لأُمَرائِكَم ولا تَغُشُّوهُم ولَا تُهلِككم الدُّنْيا ، فإنَّ امْرأً لَوْ عُمِّر أَلْفَ حَوْلٍ ما كانَ لَهُ بدٌّ مِنْ أنْ يَصيرَ إِلَى مَصْرعِي هَذَا الَّذِي ترَوْن ، إنّ الله كَتَب الموْتَ

(١٦) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٠٢/١) .

عَلَى بنِى آدَمَ فهُم ميِّتونَ ، وأكْيَسُهُم أطْوَعُهم لِربِّهِ وأعْمَلَهم لِيومِ معاده ، والسَّلامُ عَلَيْكم ورحْمَةَ الله وبَركاتُه ، يا مُعاذَ بْنَ جَبلٍ ! صِلِّ بالنَّاسِ ، وماتَ .

فقَامَ مُعاذ بنُ جَبلٍ فقَالَ :

أيُّها النَّاسُ ، تُوبُوا إلَى الله مِنْ ذنُوبكَم تَوبةً نَصُوحاً ، فإنَّ عَبْداً لَا يَلْقَى الله تائِباً مِنْ ذَنْبِهِ إلّا كانَ حَقًّا عَلَى الله أنْ يغْفِرَ لهُ إلا من كانَ عَلَيْه ، فإنَّ العَبْدَ مُرْتهنٌ بِدَيْنِه ، ومَنْ أصْبَح مِنكَمْ مُهاجِراً أخاهُ فَلْيلْقَهُ فلْيُصافِحْهُ ، ولَا يَنْبغِى لمسْلمٍ أنْ يَهْجُر أخَاهُ أكثَرَ مِنْ ثَلاثٍ فَهُو الذنْبُ العَظيمُ » أ هـ(١٧) .

○ ○ ○

(١٧) أخرجه ابن عساكر (٧٤/٥) .

مواعظ عبدالله بن مسعود رضى الله عنه

١٤٣ - عَن عبدالله بنِ مَسْعود رَضىَ الله عنهُ قالَ :

« إنِّى لأمْقَت الرَّجَلَ أنْ أرَاهُ فارِغاً لَيسَ فى شَىءٍ مِنْ عَملِ الدُّنْيا ولَا عَمَل الآخِرَة » أ هـ(١٨) .

○ ○ ○

١٤٤ - عَنْ عَبْدالله بن مسعود رَضىَ الله عنَهُ قالَ :

وذَهَبَ صَفْوةَ الدُّنْيا وبَقى كَدَرُها ، فالمَوْتُ اليَوْمَ تُحفَةٌ لِكلِّ مُسْلِمٍ » أ هـ(١٩) .

١٤٥- عَنْ عَبْدالله بن مسعود رَضىَ الله عَنْه قالَ :

« ألَا حَبَّذا المْكَروهَانِ : الموْتُ والفَقْرُ ! وايْمُ الله ! إنْ هُوَ إلّا الغِنَى أو الفَقْر ، ومَا أُبالِى بأيِّهما ابْتُليتُ ، إنْ كانَ الغِنَى فإنّ فِيهِ لَلعطْف ، وإنّ كانَ الفَقْرُ فإنّ فِيهِ لَلصبّر » أ هـ(٢٠) .

○ ○ ○

(١٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٣٠/١) .
(١٩) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٣١/١) .
(٢٠) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٣٢/١) .

١٤٦ – عَنْ عبدِالله بن مسعود رَضِىَ الله عَنْهُ قالَ : لا يَبْلغُ عَبدٌ حَقيقَة الإيمانِ حَتَّى يَحِلّ بِذرْوَته ، ولا يَحلّ بِذروتِه حتّى يَكُونَ الفقْرُ أحَبَّ إليْهِ مِنَ الغِنَى والتَّواضُعُ أحَبَّ إليْهِ مِنَ الشَّرَف ، وحتَّى يكُونَ حامِدُهُ وذَامُّهُ عِنْدَه سَواءً ، قالَ : ففسَّرها أصْحابُ عَبْدِالله قالَوا : حتَّى يكُون الفَقْرُ فى الحَلالِ أحَبَّ إليْهِ مِنَ الغِنَى فى الحَرامِ ، والتَّواضُع فى طاعَةِ الله أحَبَّ إليْهِ مِنَ الشَّرَف فى مَعصيَةِ الله ، وحتَّى يَكُونَ حَامِدُه وذامُّه عنْدَه فى الحقِّ سواءً » أهـ(٢١) .

○ ○ ○

١٤٧ – عَن عبدالله بْنِ مَسْعودٍ رَضِىَ الله عنْهُ قالَ : الحقُّ ثَقِيلٌ مَرِئٌ والبَاطِل خَفيفٌ وَبِئٌ ، ورُبَّ شَهْوةٍ تُورثَ حُزْناً طَويلاً » أهـ(٢٢) .

○ ○ ○

١٤٨ – عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بنِ حُجَيرةَ ، عَنْ أبيه ، عَنْ عَبْدِالله بنِ مسْعُود رَضىَ الله عَنْهُ أنَّه كانَ يقولَ إذَا قَعَد : إنكَمْ فى مَمَرِّ اللّيْل والنَّهارِ فى آجالٍ منقوصَةٍ وأعمَالٍ مَحفَوظَةٍ ، والموْتُ يأْتِى بغْتةً ، فَمْن يَزْرَعْ خَيراً يُوشكُ أنْ يَحْصُدَ رَغْبةً ، ومَنْ يَزْرَعْ شرًّا يُوشكُ أنْ يحْصُدَ نَدَامَةً ، ولِكُلِّ زرِاعٍ مِثْل ما زَرَعَ ، لا يَسبقُ بَطِىءٌ بحظهِ ، ولا يُدركُ حَريصٌ ما لَمْ يُقَدَّرْ لهُ ، فَمَن أعْطِىَ خَيْراً فالله تعَالَى أعْطاهُ ، ومَنْ وُقِىَ شرًّا فالله تَعالَى وَقَاهُ ، المتَّقُونَ سَادَةٌ ، والفَقَهاءُ قَادةٌ ، ومجَالِسُهم زِيادَةٌ » أهـ(٢٣) .

○ ○ ○

---

(٢١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٣٢/١) وأخرجه أحمد ، كما فى صفة الصفوة (١٦٤/١) .
(٢٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٣٤/١) .

١٤٩ - عنْ عبْدِ الرَّحْمن بنِ عبْدالله بنِ مسْعودٍ ، عنْ أبيهِ قال : أتاهُ رجُلٌ فقال : يا أبَا عَبْد الرَّحْمــٰن ، علمْنِى كلِماتٍ جَوامِعَ نوافِع ، فقال : اعْبُدِ الله ولا تُشْرِكْ بهِ شيْئاً ، وزُلْ مَعَ القرْن حَيثُ زالَ ، ومَنْ جاءَكَ بالحَقِّ فاقْبَلْ مِنْه ، وإنْ كانَ بَعيداً بغيضاً ، ومَنْ جاءَك بالبَاطِلِ فارْدُدْ عَليْهِ وإنْ كانَ حَبيباً قَريباً »(٢٤) .

○ ○ ○

١٥٠ - عَنِ ابْنِ مَسْعود رَضىَ الله عنْهُ قالَ :

« إنّ للقَلوبِ شَهْوةً وإقبالًا ، وإنّ للقَلوب فَترةً وإدْباراً ، فاغْتَنمُوها عِنْد شَهْوتِها وإقْبالِها ودَعُوها عِند فَتْرتِها وإدْبارِها » أهـ(٢٥) .

○ ○ ○

١٥١ - عَنْ مُنْذرٍ قالَ :

جاءَ نَاسٌ مِنَ الدَّقاقين إلَى عَبْدِالله بن مَسْعودٍ رَضىَ الله عنْهُ فَتعجَّب النَّاسُ مِنْ غِلظِ رِقابِهِم وصِحَّتِهم قالَ :

فَقالَ عَبدُالله : إنَّكم ترَوْنَ الكافِرَ من أصَحِّ النَّاسِ جِسْماً ، وأمْرَضِهُم قَلْباً وتَلْقَوْن المؤْمنَ مِنْ أصَح النَّاسِ قَلْباً ، وأمْرَضِهِمَ جِسْماً ، وايْمُ الله : لَوْ مَرِضَتْ قَلوبكَم وصحَّتْ أجْسَامُكم لكَنْتُم أهْوَنَ عَلَى الله مِنَ الجُعْلانِ » أهـ(٢٦) .

---

(٢٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/١٣٤) .
(٢٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/١٣٤) .
(٢٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/١٣٤) .
(٢٦) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/١٣٥) .

موعظة أبى ذر رضى الله عنه :

١٥٢ - عَنْ سُفْيانَ الثَّورِىِّ قالَ : قامَ أبُو ذرٍّ الغِفَارِىُّ رَضِىَ اللهُ عنهُ عِنْد الكَعْبَة فقَالَ : يأيُّها النَّاسُ : أنَا جُنْدبٌ الغِفارىُّ هَلمُّوا إلَى الأخِ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ ، فاكْتنفَهُ النَّاسُ فقَالَ : أرَأيْتُم لو أنّ أحَدَكَم أرَادَ سَفَراً لَيَس يتَّخذُ مِنَ الزَّادِ ما يُصْلحهُ ويُبلّغُه ؟ قالُوا : بلَىَ ، قالَ : فَسفَرُ طريق القِيامَةِ أبْعَد ما تُرِيدُونَ ، فَخُذَوا مِنْه ما يُصْلحُكم ، قالُوا : وما يُصْلحُنا ؟ قالَ : حجُّوا حجَّةً لعظائِم الأمُورِ ، وصُومُوا يَوْماً شَديداً حرُّهُ لِطَولِ يَوْم النُّشُورِ ، صَلّوا رَكْعَتيِنِ فى سَوادِ اللّيْلِ لوَحْشَةِ القَبُورِ ، كَلِمةَ خير تَقولُها أوْ كَلمةَ سُوءٍ تَسْكُت عَنْها لِوُقوفِ يَوْمٍ عَظيمٍ ، تَصدَّقْ بمالِكَ لَعلك تنْجو مِنْ عَسيرها ، اجْعَل الدُّنْيا مجْلِسيْنِ: مَجْلساً فى طَلَبِ الآخِرةِ ، ومجْلِساً فى طَلَبِ الحلالِ ، والثّالثَ يضرُّكَ ولا ينْفَعُك لا تُرِيدُه ، اجْعَل المالَ درْهميْن : دِرْهَماً تُنْفِقهُ عَلَى عِيالِكَ مِنْ حِلّه ، ودِرْهماً تُقدِّمهُ لآخِرتِك ، والثَّالثَ يَضرُّكَ ، ولا ينْفَعُكَ لا تُريدُه ، ثمَّ نادَى بأعْلَى صَوْتِه : قَدْ قَتَلكَم حِرْصٌ لا تُدْركَونَه أبَداً » أ هـ(٢٧) .

○ ○ ○

(٢٧) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/١٦٥)

١٥٣ - وعَنْ أبى ذرٍّ رضى الله عنْهُ قال :

« يُولدُون للموْت ، ويُعمّرون للخراب ، ويحْرِصون على ما يفْنى ، ويتْركون ما يبْقى ، ألا ! حبَّذا المكْرُوهانِ : الموْتُ والفقْر » أ هـ[٢٨] .

○ ○ ○

(٢٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/١٦٣)

مواعظ سلْمان الفارسى رضى الله عنه

١٥٤ – عَنْ جَعْفر بن بَرْقانَ قالَ : بَلَغَنا أَنّ سَلْمانَ الفَارِسىَّ كَانَ يقولُ : أضْحَكَتْنى ثلاثٌ وأبْكانِى ثَلاثٌ : ضَحِكْتُ مِنْ مُؤَمِّل الدُّنْيا والمَوْتُ يَطلبُهُ ، وغافِلٍ لا يُغفَلُ عَنْه ، وضاحِكٍ مِلْءَ فِيهِ لا يَدْرِى أَسْخَطَ رَبَّهُ أمْ مُرْضِيه ، وأبْكانِى ثلاثٌ ، فِراق الأَحِبَّةِ مُحمدٍ وحِزْبِه ، وهوْل المطلع عنْد غَمَراتِ(٢٩) المَوْتِ ، والوُقوفُ بَيْن يَدىْ ربِّ العَالَمينَ حَينَ لا أَدْرِى إِلَى النَّارِ انْصِرافِى أمْ إلى الجنَّةِ » أهـ(٣٠) .

○ ○ ○

١٥٥ – عَنْ سَلْمانَ رَضِىَ الله عنْهُ قالَ :

« إنَّ الله تَعالَى إذَا أَرَادَ بَعبْدٍ شَرًّا أَوْ هَلَكَةً نَزَع مِنهُ الحياءَ فَلَم تَلْقهُ مَقِيتاً(٣١) مُمَقّتاً ، فإذَا كانَ مَقيتاً مُمَقّتاً نُزِعَت مُنه الرَّحْمة فَلَم تلقه فظًّا(٣٢) غَليظاً ، فإذا كانَ كذلكَ نُزِعَت مِنْهُ الأَمَانَة فَلَم تلقَه إلّا خائناً

(٢٩) أى شدائد الموت .
(٣٠) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٠٧/١) .
(٣١) أى مبغوضاً .
(٣٢) أى سيئ الخلق .

مُخَوَّناً ، فإذا كان كذلك نُزِعتْ رِبْقَةُ الإسْلامِ مِنْ عُنُقه فكانَ لعيناً مُلَعَّناً » أهـ(٣٣) .

١٥٦ - عَنْ سَلْمانَ الفارسيِّ رَضِىَ اللهُ عنْهُ قالَ

« إنَّما مَثَل المؤْمِنِ فى الدُّنْيا كمثَل مَرِيضٍ مَعهُ طَبِيبُهُ الَّذى يَعْلمُ دَاءَهُ ودَوَاءَه ، فإذَا اشْتَهى ما يَضرُّه مَنعهُ وقال : لا تَقْرَبْهُ ، فإنَّكَ إنْ أصبْتهُ أهْلكَكَ ، ولا يَزَالُ يمْنعُه حتَّى يَبْرأ مِنْ وَجَعِه ، وكذَلِكَ المؤْمنُ يشْتَهى أشْيَاءَ كَثِيرةً ممَّا فَضَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ العَيْشِ ، فيمْنَعُه اللهُ إيَّاهُ ، ويحْجزهُ عنْهُ حتَّى يتوفاهُ ، فيدْخِله الجنَّةِ » أهـ(٣٤) .

○ ○ ○

---

(٣٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٠٤/١)
(٣٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٠٧/١)

مواعظ أبيّ بن كعب رَضى الله عنه :

١٥٧ – عَن أبى العَاليَة قالَ : « قالَ رجُلٌ لأُبَىِّ بْنِ كعْبٍ رَضىَ الله عنْهُ : أوْصِنى ، قَالَ : اتَّخِذ كِتابَ الله إماماً ، وارْضَ بِهِ قَاضِياً وحَكماً ؛ فإنَّهُ الّذِى استَخلَفَ فيكَم رَسُولكَم ، شَفَيعٌ مُطاعٌ وشاهِدٌ لا يُتَّهَم ، فيهِ ذِكْرُكَمْ وذِكْرُ منْ قَبلكَم ، وحُكْمُ ما بَيْنكَم ، وخَبَرُكَم وخَبرُ ما بَعْدكَم » أهـ(٣٥) .

○ ○ ○

١٥٨ – عَنْ أبىّ بنِ كَعْبٍ رَضىَ الله عنه قالَ :

« ما مِنْ عَبدٍ تَركَ شَيْئاً لله عزَّ وجلّ إلّا أبْدلَه الله بَعْدهُ ما هُو خَيرٌ منْهُ مِنْ حَيثَ لا يَحْتسبُ ، وما تَهاوَنَ بِه عَبدٌ فأَخَذَهُ مِنْ حَيثَ لا يَصْلُحُ إلّا أتاهُ الله ما هُوَ أشَدُّ علَيْه مِنْهُ مِنْ حَيثَ لا يُحتسبُ » أهـ(٣٦) .

○ ○ ○

١٥٩ – عَنْ أبىِّ بنِ كَعْبٍ رَضىَ الله عَنه قالَ :

« المؤْمِنُ بَيْن أرْبعٍ : إنِ ابْتُلِىَ صَبَرَ ، وإنْ أعْطِىَ شكَرَ ، وإنْ قَالَ صَدَقَ ،

---

(٣٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٥٣/١) .
(٣٦) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٥٣/١) .

وإنْ حكَمَ عَدَلَ ، فهُوَ يتقلب فى خَمْسةٍ مِنَ النُّور – وهُوَ الّذى يقولَ الله فيه ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾(٣٧) : كلامُهُ نُورٌ ، وعِلْمُهُ نُورٌ ، ومدْخلَه فى نورٍ ، ومخْرجُه مِنْ نُورٍ ، ومَصيرُهُ إلَى النُّورِ يَوْمَ القِيامَةِ والكافِرُ يتقلّبُ فى خَمْسةٍ مِنَ الظّلَم : فكلامُهُ ظلْمةٌ ، وعَملُه ظَلْمةٌ ، ومَدْخله ظلمَةٌ ، ومخْرجُهُ مِنْ ظلْمةٍ ومَصيرُهُ إلَى الظُّلمَاتِ يَوْمَ القِيامَةِ » أ هـ(٣٨) .

○ ○ ○

(٣٧) النور : ٣٥ .

(٣٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٢٥٥) .

مواعظ عبدالله بن عباس رضى الله عنه

١٦٠ – عَن ابنِ عبَّاسٍ رَضِىَ الله عنْهما إنَّه قالَ :

« يَا صَاحِبَ الذَّنْب ! لا تأمَنَنَّ مِنْ سُوءِ عَاقِبةٍ ولمَّا يَتْبَع الذَّنْبَ أعْظَمُ مِنَ الذَّنْب إذَا علمْتَهُ ، فإنَّ قِلَّةَ حَيائِكَ مِمَّن عَلَى اليمَينِ وعَلَى الشِّمالِ وأنْتَ عَلَى الذَّنْب أعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِى عَمِلتَهُ ، وضحكَكَ وأنْتَ لا تَدْرِى ما الله صانعٌ بِكَ أعْظمُ مِنْ الذَّنْب ، وفَرَحَك بالذَّنبِ إذَا ظَفرْتَ بهِ ، وخوْفكَ مِنَ الرِّيحِ إذَا حرَّكَت سِتْر بابكَ ، وأنْتْ عَلَى الذَّنْب ، ولا يضْطربُ فؤَادُكَ مِنْ نَظَر الله إليْكَ أعْظَمُ مِنَ الذَّنْب إذَا عَمِلتَه ، ويْحكَ ! هَلْ تَدْرى ما كانَ ذَنْبُ أيُّوبَ عَليْه السَّلامُ ؟ فابْتلاهُ الله بالبَلاءِ فى جَسَدِه ، وذَهَابِ مالِهِ ؟ إنَّما كانَ ذَنْبُ أيُّوبَ عَليه السَّلامُ أنَّه استعان بهِ مسْكينٌ عَلَى ظَلْمٍ يَدْرَؤُهُ عنْهُ فلَمْ يُعِنْهُ ، ولَمْ يأمُر بمعْروفٍ وينْه الظَّالمَ عَنْ ظلْمِ هَذا المسْكِين فابْتلاهُ الله عزَّ وجلّ » أ هـ(٣٩) .

١٦١ – عَن ابن عبَّاس رَضىَ الله عنهما قالَ : عَليْكَ بالفَرائِضِ ، وما وظَفَ الله تَعالَى عَليْكَ مِنْ حقِّهِ فأدِّهِ ، واستَعِن الله علَى ذاكَ ؛ فإنَّهُ لا يَعْلمُ مِنْ عَبْد

---

(٣٩) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٤٨/٢) .

صِدْقَ نِيَّةٍ وحِرْصاً فيما عِنْدهُ مِنْ ثَوابِه إلّا أخَّرُه عمَّا يكْرهُ وهُو المِلكُ يَصْنَعُ ما يَشاءُ » أهـ(٤٠) .

١٦٢ – عَنِ ابنِ عَبَّاس رَضِىَ الله عنهما قالَ :

« مامِنْ مُؤمنٍ ولا فَاجرٍ إلّا وقَدْ كَتَب الله تَعَالَى لَهُ رِزْقهُ مِنَ الحَلالِ ، فإنْ صَبَرَ حتَّى يأتيهُ الله تَعالَى ، وإنْ جَزعَ فتناوَل شَيْئاً مِنَ الحَرامِ نقَصهَ الله مِنْ رزِقِه الحَلالَ » أهـ(٤١) .

○ ○ ○

(٤٠) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣٢٦/١)
(٤١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣٢٦/١) .

مواعظ الحسن بن على رضى الله عنهما

١٦٣ - عَنِ الحَسَنِ بنِ عَلىٍّ رضىَ الله عنهُما قالَ : « مَنْ طَلَب الدُّنْيا قعدَتْ بهِ ، ومَنْ زهِدَ فِيها لَمْ يُبالِ مَنْ أكَلَها ، الرَّاغبُ فِيها عَبدٌ لمنْ يمْلِكُها ، أدْنى ما فِيها يكْفِى ، وكلُّها لا تُغْنِى ، مَنِ اعْتَدَلَ يَومَه فيها فَهوَ مَغْرورٌ ، ومَنْ كانَ يَومُه خيراً مِنْ غدِه فهُوَ مغْبونٌ ، ومَنْ لَمْ يَنفض النُّقصُانَ عَنْ نفْسه فإنَّه فى نُقْصانٍ ، ومَنْ كانَ فِى نقْصانٍ فالمَوْتُ خَيرٌ لَه » أ هـ(٤٢) .

○ ○ ○

١٦٤ - عَنِ الحَسَنِ بن علىٍّ رَضىَ الله عنهما قالَ :

« اعْلَمُوا أنَّ الحِلْم زينَةٌ ، والوَفاءَ مُروءَةٌ والعَجلةَ سَفه والسَفر ضَعف ، ومُجالسةَ أهْلِ الدَّناءَةِ شَيْنٌ ومُخالَطَةَ أهْلِ العِشْقِ ريبَةٌ » أ هـ(٤٣) .

١٦٥ - عَنِ الحَسَنِ بنِ علىٍّ رَضىَ الله عنهُما قالَ :

« النَّاسُ أرْبعةٌ : فَمنْهُم مَنْ لَهُ خَلاقٌ ولَيسَ لَهُ خُلُق ، ومنْهم مَنْ لَه خُلُق ولَيْس لَهُ خَلاقٌ ، ومنهُم مَنْ لَيسَ لَهُ خُلُق ولاَ خَلاقٌ فَذاك شَرُّ الناسِ ، ومنْهُم مَنْ لَه خُلُق وخلاقٌ فَذَاك أفْضَل النَّاسِ » أ هـ(٤٤) .

○ ○ ○

---

(٤٢) أخرجه ابن النجار ، كنز العمال (٢٢٢/٨) .
(٤٣) أخرجه ابن عساكر ، كنز العمال (٢٣٧/٨) .
(٤٤) أخرجه ابن عساكر ، كنز العمال (٢٣٧/٨) .

موعظة لِشدَّاد بن أوس رضى الله عنه

١٦٦ – عَنْ زيادِ بن مَاهكٍ قالَ : كانَ شَدَّادُ بنُ أوْسٍ رَضىَ الله عنه يقُولُ : إنكُم لم تَروْا مِنَ الخَيْر إلَّا أسْبَابَهُ ، ولَم تَروْا مِنَ الشرِّ إلَّا أسْبَابَه ، الخَيرُ كلَّهُ بحذافِيره(٤٥) فى الجنَّةِ ، والشَّرُّ كلُّه بحذَافِيرِه فى النَّارِ ، وإنَّ الدُّنْيا عَرَضٌ حاضِرٌ يأْكُل مِنها البَرُّ والفاجرُ ، والآخِرة وَعْدٌ صَادقٌ ، يحْكُم فيها مَلِكٌ قَاهرٌ ، ولكلٍّ بنون فكُونُوا مِنْ أبْناءِ الآخِرةِ ولا تكونوا مِنْ أبْناءِ الدُّنيا « .

قالَ أبُو الدَّردَاءِ رَضىَ الله عنهُ « وانَّ مِنَ النَّاسِ مَن يُؤْتى عِلْماً ولا يُؤتَى حِلْماً ، وإنَّ أبَا يَعلى رَضى الله عنْهُ قَدْ أُوتِىَ عِلْماً وحِلْماً » أهـ(٤٦) .

○ ○ ○

موعظةٌ لعبدالله بن بسر رضى الله عنه

١٦٧ – عَنْ عَبْدالله بن بُسْر رَضىَ الله عنْهُ قالَ : المتَّقُون سَادةٌ ، والعُلماءُ قادَةٌ ، ومُجالَستُهم عِبادَةٌ ، بَل ذلٰكَ زِيادَةٌ ، وأنْتُم بِمَرِّ اللَّيل والنَّهار فى آجَالٍ منْقُوصةٍ وأعْمالٍ محْفُوظةٍ ، وأعِدُّوا الزَّادَ مكانكم بالمعَادِ » أهـ(٤٧) .

○ ○ ○

(٤٥) أى جميعه

(٤٦) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٢٦٤)

(٤٧) أخرجه البيهقى وابن عساكر (٨/٣٢٤)

مواعظ حذيفة بن اليمان رضى الله عنه

١٦٨ - عَنْ أبى الطّفَيلِ أنّه سَمعَ حُذيفَةَ رَضىَ الله عنْه قالَ :

« يأيُّها النّاسُ ، ألَا تَسْألُونى ، فإنّ النّاسَ كانُوا يسْألُونَ رَسولَ الله ﷺ عَنِ الخَيْر ، وكنْتُ أسْألهُ عنِ الشّرّ ، أفَلَا تسْألُونَ عَنْ مَيِّت الأحْيَاء ؟ فقَال :

إنّ الله بعثَ مُحمَّداً ، ﷺ فَدَعا النّاسَ مِنَ الضّلالةِ إلَى الهُدَى ، ومِنَ الكَفْرِ إلَى الإيمانِ ، فاسْتَجابَ لَهُ مَنِ اسْتجابَ ، فَحَيِىَ بالحقِّ مَنْ كانَ مَيِّتاً ، ومَاتَ بالبَاطِل مَنْ كانَ حَيًّا ، ثمَّ ذهَبت النُّبوةَ ، فكانَتْ الخِلافَةُ عَلى مِنهاجِ النُّبوَّةِ ، ثمّ يكونُ مُلكاً عَضوضاً ، فَمِن النّاسِ مَنْ ينكرُ بقلْبِهِ ويده ولسانِه ، والحقّ استكملَ ، ومنهم مَن يُنكِر بقلبه ولسانه كافّا يَده ، وشُعبةً من الحق ترك ، ومنهم مَن ينكر بقلبه كَافًّا يَدهُ ولسَانهُ وشعْبتيْن مِنَ الحقّ تَرَك ، ومنْهُم مَنْ لا يُنكِرُ بقَلْبه ولِسانِه فذلِكَ ميِّتٌ مَيِّت الأحْيَاء » أهـ(٤٨) .

○ ○ ○

١٦٩ - وعَنُ حُذيفَة رَضىَ الله عنهُ قَالَ :

« القلُوبُ أرْبعةٌ : قَلبٌ أغْلَفَ فذلَكِ قَلْبُ الكافِرِ ، وقلبٌ مُصفَحٌ فذلكَ

(٤٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٢٧٤) .

قلْبُ المنافِق ، وقلْبٌ أجْردُ فِيهِ سِراجٌ يُزْهرُ فَذاكَ قلْبُ المؤْمِنِ ، وقلبٌ فِيه نِفاقٌ وإيمانٌ ، فمثَلَ الإيمانِ عليه كمثلِ شجَرةٍ يمدُّها ماءٌ طيِّبٌ ، ومَثَلَ النِّفاقِ مثَلَ القَرحَةِ يمدُّهَا قَيحٌ ودَمٌ ، فأيُّهما ما غَلَب عليه غلب » أهـ(٤٩) .

○ ○ ○

١٧٠ - عَنْ حُذَيفَة رضىَ الله عنْهُ قالَ « إنّ الفِتْنَةَ تَعرضُ عَلَى القلوبِ فأىُّ قَلبٍ أشْربَها نُكِتتْ فِيهِ نكْتَةٌ سَوْداءُ ، فإنْ أنكرَهَا نُكِتَتْ فيهِ نكتةٌ بيْضاءُ ، فمَنْ أحَبَّ مِنكَم أنْ يَعْلم : أصَابته الفِتنَةَ أمْ لَا ، ينْظَر : فإنْ كانَ يَرى حَراماً مَا كانَ يَراهُ حَلالاً أو يَرى حَلالًا ما كَانَ يَراهُ حَراماً فَقَد أصابَتْه الفِتْنَة » أهـ(٥٠) .

١٧١ - عَنْ حُذيفَة رَضىَ الله عنْهُ قالَ :

وإيَّاكَم والفِتَن ، لا يشْخَصْ إلَيْها أحدٌ ، فَوَالله ، مَا شَخَصَ فِيهَا إلا لسَعَتْه كَما ينْسفَ السَّيْلَ الدِّمَنَ ، إنَّها مُشْبهة مُقْبلةٌ حتَّى يقَول الجاهِلُ : هَذِه تُشْبهُ وتبينُ مُدْبرةً ، فإذا رَأيْتُموها فاحْتجبوا(٥١) فى بُيُوتِكم ، وكسِّرُوا سُيوفكَم ، وقَطِّعُوا أوْتَارَكَم » أهـ(٥٢) .

○ ○ ○

---

(٤٩) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٧٦/١) .
(٥٠) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٧٢/١)
(٥١) أى فاجلسوا .
(٥٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٧٣/١)

١٧٢ - عَنْ حُذيفَةَ رَضِىَ الله عنهُ قالَ :

« إنّ للفِتْنةِ وَقفاتٍ وبَغتاتٍ ، فمَنِ استَطاعَ أنْ يمُوتَ فى وقَفَاتها فلْيفعَل - يَعْنى بالوَقفات غَمْدَ السَّيْف » أهـ(٥٣) .

○ ○ ○

١٧٣ - عَنْ حُذيفَة قالَ : « إنّ الفِتْنةَ وُكِّلتْ بثلاثٍ : بالحادِّ النِّحْرير الّذى لا يرْتَفع لَهُ شَىءٌ ألّا قَمعَه بالسَّيْفِ ، وبالخَطيبِ الّذى يدْعُو إليْها ، وبالسَّيِّد ، فأمَّا هَذَان فَتَنطَحهما(٥٤) بِوُجُوههما ، وأمَا السَّيِّدُ فَتَبْعَثُه حتَّى تَبلوَما عِنْدهُ » أهـ(٥٥) .

○ ○ ○

١٧٤ - عَنْ حُذيفَة رَضىَ الله عنْهُ قالَ :

« ليَأتِينَّ عَلَى النَّاسِ زَمانٌ لا ينْجُو إلّا مَنْ دَعَا بدُعاءٍ كَدُعاءِ الغَرِيقِ » أهـ .

○ ○ ○

١٧٥ - عَنِ الأعْمَش قالَ :

بلَغَنى أنّ حُذيفَةَ رَضِىَ الله عنْهُ كانَ يقولَ :

« لَيس خَيْرُكَم الّذينَ يتركَونَ الدُّنْيا للآخِرةِ ، ولَا الّذينَ يتْركَونَ الآخِرةَ للدُّنْيا ، ولكِنِ الّذينَ يَتناوَلَون مِنْ كَلٍّ » أهـ(٥٦) .

---

(٥٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٢٧٤) .

(٥٤) تلقيهما على وجوههما - أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٢٧٤) .

(٥٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٢٧٤) .

(٥٦) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٢٧٨) .

موعظة أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه

١٧٦ - عَنْ حسَّانِ بن عطيَّة أنّ أبَا الدَّردَاءِ رَضىَ الله عنْهُ كان يقولُ : « لا تَزالُون بخيرٍ ما أحْببْتم خيارَكم ، وما قِيلَ فِيكم بالحقِّ فعرفتُموهُ ؛ فإنّ عارِفَ الحقّ كعامِلِه » أ هـ(٥٧) .

○ ○ ○

١٧٧ - وعَنْ أبى الدَّرْداءِ رَضىَ الله عنْهُ قالَ : « لا تكلّفوا النَّاسَ مَالَم يكلّفوا ، ولا تُحاسِبُوا النَّاسَ دُونَ ربّهم ، ابْن آدَمَ ، عَليْك نَفْسَكَ ؛ فانَّه مَنْ تَتَبَّع ما يَرَى فى النَّاسِ يَطَلْ حزنُهُ ولا يَشْفِ غيْظَه » أ هـ(٥٨) .

○ ○ ○

١٧٨ - عَنْ أبى الدَّردَاء رَضىَ الله عنْهُ قَالَ :

« لَيْسَ الخَيْرُ أنْ يكثُرَ مَالَكَ وَوَلَدُكَ ، ولكنَّ الخَيْرَ أنْ يعْظَمَ حِلْمُك ، ويكثُر عِلْمُكَ ، وأنْ تُبارِىَ النَّاسَ فى عِبادَة الله عزَّ وجَلّ ، فإنْ أحَسَنْت حَمِدتَ الله تَعالى ، وإنْ أسَأْتَ استَغْفرتَ الله عزَّ وجلّ » أ هـ(٥٩) .

○ ○ ○

---

(٥٧) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢١٠/١) .
(٥٨) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢١١/١) .
(٥٩) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢١٢/١) .

١٧٩ - عَن أبى الدَّرْداءِ رَضىَ الله عنْهُ قالَ :

« حَذِرَ امْرؤٌ أنْ تَبغضَه قَلوبُ المؤمِنِينَ من حَيْث لَا يَشْعُرُ ، ثمَّ قالَ : أتَدْرِى ما هذا ؟ قلْتُ : لَا ، قالَ : العبْدُ يخْلَو بمَعَاصِى الله عزَّ وجلّ فيُلقِى الله بُغَضَه فى قلَوبِ المؤمِنينَ مِنْ حَيثَ لا يَشْعُرُ » أهـ(٦٠) .

○ ○ ○

١٨٠ - عَنْ أبى الدَّردَاءِ رَضىَ الله عنْهُ أنَّه كانَ يقَولَ : « ذِرْوةَ الإيمانِ الصَّبْرُ للحُكْم ، والرِّضا بالقَدَرِ ، والإخْلاصُ فى التَّوكُّلِ ، والاسْتِسَلامُ للرَّبِّ عزَّ وجلّ » أهـ(٦١) .

○ ○ ○

---

(٦٠) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢١٥/١) .
(٦١) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢١٦/١) .

مواعظ معاذ بن جبل رضى الله عنه

١٨١ - عَنْ مُعاويةَ بن مُرّةَ قَالَ : قالَ مُعاذَ بنُ جَبل رَضِىَ الله عنهُ لابْنه : يا بنىَّ ، إذَا صَلّيتَ صَلاةً فصَلّ صَلاةَ مُودِّع ، لا تظنَّ أنَّك تعُودُ إليْها أبَداً ، واعْلم يا بُنى أنّ المُؤمن يمُوتُ بَيْن حَسَنَتَيْنِ حسنةٍ قَدَّمَها ، وحَسَنةٍ أخرَّها » أهـ(٦٢) .

١٨٢ - عَنْ عَبدِالله بنِ سَلَمَة قالَ : قالَ رجُلٌ لمعاذِ بنِ جَبَل رَضِىَ الله عنهُ علّمنى ، قالَ : وهلْ أنْتَ مُطيعى ؟ قالَ : إنّى عَلَى طَاعَتِكَ لَحَريصٌ قالَ : صُمْ وأفْطِرْ ، وصَلّ وقمْ ، واكتَسبْ ولا تأثم ، ولا تَموتنَّ إلّا وأنْتَ مُسلمٌ ، وإياكَ ودَعْوةَ المظْلومِ » أهـ(٦٣) .

○ ○ ○

١٨٣ - عَنْ مُعاذِ بنِ جَبلٍ رَضِىَ الله عنْهُ قالَ :

ثَلاثٌ مَنْ فعَلهُنَّ فَقَد تعرَّضَ لِلمَقْتِ : الضَّحكُ مِنْ غَير عُجْبٍ ، والنَّوْمُ مِنْ غَير سَهَر ، والأكْلَ مِنْ غَيرِ جُوعٍ » أهـ(٦٤) .

○ ○ ○

---

(٦٢) رواهُ أبو نعيم فى الحلية (٢٣٤/١) .

(٦٣) رَواهُ أبو نعيم فى الحلية (٢٣٣/١) .

(٦٤) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢٣٧/١) .

١٨٤ – عَنْ مُعاذِ بنِ جبلِ رَضىَ اللهُ عنْهُ قالَ :

« ابتُليتُم بفِتْنةِ الضَّراءِ فَصَبرتُمْ ، وستُبلَوُنَّ بفِتْنةِ السَّراءِ ، وأخْوفُ ما أخافُ عَلَيْكَم فِتْنةَ النِّساءِ إذَا تسوَّرنَ(٦٥) الذّهبَ والفِضَّةَ ولَبِسْنَ رِياطَ(٦٦) الشَّام وعَصْبَ(٦٧) اليَمنِ فأتْعَبْنَ الغَنِيَّ وكلّفنَ الفَقيرَ ما لا يَجدُ »(٦٨) .

(٦٥) أى لبسن السوار من الذهب والفضة .
(٦٦) رياط : جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست بلفقين .
(٦٧) برود يمنية يقصب غزلها أى يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتى موشياً .
(٦٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٢٣٦) .

مواعظ أبى أمامة رضى الله عنه

١٨٥ - عَنْ سُلَيم بنِ عامرٍ قالَ :

خَرجْنا عَلى جنازَةٍ فى بابِ دِمشْق ، ومَعَنا أَبو أمامةَ البَاهِلىُّ رَضىَ الله عنْهُ ، فلمَّا صُلّى عَلى الجنَازَةِ ، وأخَذُوا فى دَفْنها ، قالَ أبو أمامَة : « أيُّها النَّاسُ ، إنكَمْ قَدْ أصبَحْتم وأمْسَيْتم فى مَنزِلٍ تَقْتسمُونَ فِيهِ الحَسناتِ والسَّيِّئاتِ ، وتُوشِكُونَ أنْ تَظْعنُوا منْهُ إلى منْزِلٍ آخَرَ ، وهُو هَذا - يُشيرُ إلى القَبْر - بَيْتِ الوَحْدةِ ، وبَيْت الظُّلْمةِ ، وبَيْت الدُّودِ ، وبيْت الضيِّق إلّا ما وَسَّعَ الله ، ثمَّ تنتقلون إلى مَواطِن يَوْمِ القِيامَةِ ، فإنكَمْ فى بَعْض تِلْك المَواطِنِ حَتَّى يَغشَى النَّاسَ أمْرٌ مِنَ الله فتبيضُّ وُجُوهٌ وتَسْود وُجوهٌ ، ثمَّ تنْتقلُونَ مِنْهُ إلَى مَنْزل آخَرَ فَيغْشَى النَّاسَ ظَلمةٌ شدَيدَةٌ ، ثمَّ يُقسَّمُ النُّورُ ، فيُعْطَى المؤْمنُ نُوراً ، ويُتْرك الكافِرُ والمنَافِقُ فَلَا يُعْطَيانِ شَيْئاً ، وهُوَ المثَلُ الّذى ضَربَه الله فى كِتابِه فقَالَ :

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾(٦٩) .

فَلا يستَضىءُ الكَافِرُ والمنَافِقُ بنُورِ المؤْمِن ، كَمَا لا يَستضىءُ الأَعْمَى بِبَصرِ

(٦٩) النور : ٤٠ .

البَصيرِ ، ويقولُ المنَافِقونَ والمنَافِقاتُ للّذين آمَنُوا : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا ﴾ (٧٠) وهِيَ خدعَةَ الله الّتى خَدَع بِها المنَافِقينَ حيث قالَ : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَ ﴾ (٧١) فيرْجِعُونَ إلَى المكانِ الّذى قَسّم فِيهِ النُّورُ ، فَلا يَجدُونَ شَيْئاً ، فينْصرفُون إلَيْهم ، وقَدْ ضُرِبَ بَيْنهم بسُور لهُ بابٌ ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾(٧٢) إلا أنّه يقولُ سليم بنُ عامِرٍ: فما يَزالُ المنَافِقُ مُغترًّا حتَّى يُقَسَّمَ النُّورُ ويُمَيِّزُ الله بَيْن المنَافِقِ والمؤمِنِ » أ هـ(٧٣) .

○ ○ ○

١٨٦ – عَنْ سُلَيمانَ بنِ حَبيبٍ قالَ : دَخلتُ فى نَفرٍ عَلَى أَبى أُمامَةَ رَضىَ الله عنْهُ فإذَا شَيخٌ قَدْ رَقّ وَكبرَ ، وإذَا عَقْلَه ومَنْطِقَه أفْضَلَ ممَّا يُرى مِنْ مَنْظِرِهِ ، فقالَ فِى أوَّلِ ما حَدَّثَنا : إنّ مجْلِسَكَم هَذا مِنْ بلاغِ الله إيَّاكَم وحُجَّته عليْكم ، فإنّ رسُولَ الله ﷺ قَدْ بلّغ مَا أرْسلَ بِهِ ، وإنّ أصْحابَه قَدْ بلّغُوا مَا سَمعُوا ، فبلّغُوا ما تَسْمعُونَ . ثلاثةٌ كلّهُم ضامِنٌ عَلَى الله حتَّى يدْخِلَهُ الجنَّة أوْ يُرجْعِه بما نَالَ مِنْ أجْرٍ وغَنيمة ، فرجلٌ يغْملَ فى سَبيلِ الله فَهُو ضامنٌ على الله حتَّى يُدْخلَه الجنَّةَ أوْ يُرجِعَه بما نَالَ مِنْ أجْرٍ وغَنيمةٍ ، ورجُلٌ تَوضأَ ثم غدا إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يُدخِلَه الجنة أو يرجعه بما نال مِنْ أجْرٍ وغَنيمةٍ ، ورجلٌ دَخَل بَيْته بسَلَامٍ ، ثمَّ قالَ : إنّ فى جَهَّنم جسْراً لهُ سَبْعُ قَنَاطر

(٧٠) الحديد : ١٣

(٧١) النساء : ١٤٢

(٧٢) الحديد : ١٣

(٧٣) أخرجه أبو حاتم ، كذا فى تفسير ابن كثير (٣٠٨/٤) .

عَلَى أَوْسطِهنَّ القضَاءُ ، فيُجاءُ بالعَبْد حتَّى إذَا انْتَهى إلى القَنْطرةِ الوُسْطى قِيل : ماذَا عَلَيْك مِنَ الدَّيْن ؟ فيحْسبُه ثمَّ تَلا هَذِه الآية : ﴿ **ولا يكْتُمون الله حَديثاً** ﴾ فيقَولَ : يارِبِّ ؛ عَلَيَّ كَذَا وَكَذا ، فيقَولَ : اقْضِ دَيْنَكَ ، فيقَولَ : ما لى شَيءٌ ما أدْرِى ما أقْضِى بهِ ، فيقالَ : خُذَوا مِنْ حَسَناتِه ، فمازَالَ يُؤْخذَ مِنْ حَسناتِه حتَّى ما يَبْقَى لهُ مِنْ حَسنةٍ ، فإذَا فَنيتْ حَسنَاتُه فيُقالَ : خُذَوا مِنْ سَيِّئاتِ مَنْ يَطلبُه ، فرَكبُوا عَلَيْه ، قالَ : فلَقَد بَلَغنِى أنّ رِجالًا يجيئون بأمْثالِ الجِبالِ مِنَ الحَسَناتِ ، فمَازَال يُؤْخذَ لِمنْ يطْلُبُهُم حتَّى ما يَبْقى لَهُم حَسنَةٌ ، ثمَّ يَرْكَبُ عَلَيْهم سَيِّئاتُ مَنْ يَطْلُبهم ، حتَّى يرد عَلَيْهم أمْثال الجبالِ ، ثمَّ قالَ : إيَّاكَم والكَذِبَ ؛ فإنّ الكَذَبَ يَهْدى إلَى الفَجُورِ ، والفَجورَ يَهْدَى إلَى النَّارِ ، وعَلَيْكَم بالصِّدْقِ ؛ فإنّ الصِّدْقَ يُهْدِى إلَى البرِّ ، والبِّر يَهْدى إلَى الجنَّةِ ، ثمَّ قالَ :

أيُّها النَّاسُ ، لأنْتُم أضلّ مِنْ أهْلِ الجاهِليَّةِ ، إنّ الله تعالى قَدْ جَعلَ لأحدِكَم الدِّينارَ ينْفقَه فى سَبيل الله بسبعمائة دِينارٍ والدِّرْهمَ بِسبعمائةِ درْهمٍ ، ثمَّ إنكَمْ صَارُّونَ تُمسكَونَ ، أمَا والله لَقَد فَتِحت الفَتوحُ بسُيوفٍ ما حِلْيَتُها الذهبُ والفِضَّة ولـٰكن حِلْيتُها العَلابِيُّ(٧٤) والآنُك(٧٥) والحَدِيد »(٧٦) .

○ ○ ○

(٧٤) جمع علباء ؛ وهو عصب عنق البعير ، يُحزَم به مقبض السيف .
(٧٥) الآنك : الرصاص الأبيض وقيل الأسود وقيل هو الخالص منه .
(٧٦) أخرجه ابن عساكر ، كنز العمال (٣٢٣/٨) .

خاتمة

هٰذِه خُطَبُهم ــ لَيْست كخطبنا ــ قَصيرة ؛ لأنَّها تحمل العُلوم والمعَانى الكثِيرة .

وتِلْك وَصاياهُم شامِلَة واضِحَة مُبينة .

وهَذِه كُتُبهُم جامِعَة ومُوضحة للمكْتُوب .

وهَذهِ دعَواتُهُم ، دَعَواتُ صِدْقٍ مِنْ قَلَوبٍ مُخْلصَة .

وتِلْكَ مواعظهم : مَواعِظ مِنْ عِبادٍ عَامِلينَ لَعلّنا نَسْتطيعُ أنْ نَعْمَل بِها ، فنَفُوز فى الدَّارَيْن وصلّى الله علَى سَيّدنا مُحمَّد وعلَىَ آلِهِ وصحْبه أجْمَعين .

أهم المراجع

١ – **كنز العمال** – ط بيروت .

٢ – **منتخب كنز العمال** – ط بيروت .

٣ – **البداية والنهاية** – لابن كثير – ط دار الفكر العربى بالقاهرة .

٤ – **حلية الأولياء وخزينة الأصفياء** لأبى نعيم الأصفهانى ط مطبعة السعادة بمصر .

٥ – **جامع الأصول** لابن الأثير ط بيروت .

٦ – **الدين الخالص** – للشيخ محمود خطاب السبكى الجمعية الشرعية بالقاهرة .

٧ – **حياة الصحابة** – للكاندهلوى – ط الوحى المحمدى بالقاهرة .

٨ – **الإصابة فى معرفة الصحابة** لابن حجر – ط بيروت .

٩ – **تفسير ابن كثير** – ط دار التراث العربى بالقاهرة

١٠ – **تفسير الكشاف** للزمخشرى ط بيروت .

١١ – **معجم البلدان** – ط بيروت .

١٢ – **معجم ألفاظ الحديث النبوى** – ونسنك – ط بيروت .

١٣ – **معجم ألفاظ القرآن الكريم** – لمحمد فؤاد عبد الباقى ، ط بيروت .

الفهـــارس

فهرست الآيات القرآنية الشريفة

(الألف)

أخرِجْ قومك من الظلمات إلى النور ٥٥
اقتربت الساعة وانشق القمر ٩٦
إن الله وملائكته يصلون ٤٢
إن الصلاة كانت على المؤمنين ٥٠
إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ١٢٩
انظرونا نقتبس من نوركم ١٨٣
أنه من يحادد الله ورسوله ٣٨
إنه لا ييأس من رَوْحِ الله ٦٨
إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ٣٥ ، ٣٧
إنما الخمر والميسر ٩٥
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ٨٥
إنما يخشى الله من عبادة العلماءُ ١٥٤

(اليـــاء)

باطنه فيه الرحمة ١٨٣

(الحـــاء)

الحمد لله رب العالمين ١٦

(السيـــن)

سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض ٥٣

(الفـــاء)

فلا تغرنكم الحياة الدنيا ٦١
فلا يأمن مكر الله ٦٧

(القـــاف)

قل أرأيتم إن كان من عند الله ١٠٥
قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ١٠٥

(الـــلام)

لو أن لى بكم قوة ٦٩
ليظهره على الدين كله ٤١
لينذر من كان حياً ٣٥

(الميـــم)

من يطع الرسول فقد أطاع الله ٤١
من يهد الله فهو المهتد ٤٠

(النـــون)

نور على نور ١٦٩

(الـواو)

وأذكروا إذْ أنتم قليل مستضعفون ٥٥ ، ٦٥ .
واذكرو نعمة الله عليكم ٦٤
وإنا لنراك فينا ضعيفاً ٦٩ .
وإن أدرى لعله فتنة ٨٦
واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ٦١.
وتعاونوا على البر والتقوى ٧٩
وسيعلم الذين ظلموا ١١٢
ولولا رهطك لرجمناك ٦٩
ولا تكونوا كالذين نسوا الله ٣٤
وما محمد إلا رسول ٣٠
ومن يوقا شح نفسه ٥٦
وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ٨٨
ووضع الكتاب فترى المجرمين ٧٢
ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ١٠١

فهرست المواضع والبلدان

الإسكندرية ١٨
ذو الحليفة ٣٩
السنح ٢٩
عكبرا ١٢٦
العقبة ١٤

فهرست الأعلام

(الألـف)

أبو الدرداء ١٦ و ١٧ ، ٩٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨

أبو بكر الصديق ٢١ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٤٠

أبو بكر محمد عمرو بن حزم ٣٩

أبو ضمرة ٤٠

أبو عبد الرحمن السلمى ٩٦

أبو عبيدة بن الجراح ١٣١ ، ١٥٩

أبو داود الأحمدى ٩٧

أبو موسى الأشعرى ٩٩

أبو هريرة ٥٩

أبو زيد المدينى ١٠٢

أبو حبيبة ١٠٢

أبو الطفيل ١٧٤

أبو نعيم ١٤ ، ١٦ ، ١٩

أبو سلمة ٣٠

أوس ٣٩

أنس ٤٠

أبو وائل ٧٦ ، ٩٣ ، ١٤٧

ابراهيم التيمى ٨٢

ابن جرير الطبرى ت١٧

ابن عساكر ٢١

ابن عباس ٣٠ ، ١٤٢ ، ١٧٠٢

الأعز بن مالك ١١٠

(البـــاء)

البزار ٢٢
الباهلى ٤٨
الترمذى ١٨
الحسن البصرى ٦٢
الحاكم ١٦ ، ١٨ ، ١٩
الحسن ١٩ ، ٨٤٢ ، ٨٥ ، ١٧٢
حميد بن هلال ٤٤
حديفة ٩٦ ، ١٧٦
حوشب الغزارى ١٠١
الحارث بن الفضل ١١٨
خالد بن عمير ٩٨
جندب بن عبد الله ١٢٨
جعفر بن محمد ٧٢
جابر ٢٢
جبريل ٢٢

(الـــزاى)

زياد بن الحارث ١٤٦
زياد الأعرابى ٧٤

(السيـــن)

سلمان الفارسى ١٦٦
سليمان بن يسار ٦٠
سليمان بن حبيب ١٨٣
سلمة بن سبرة ١٠١
سالم بن عبد الله بن عمر ١١٢

سليم بن عامر ١٨١
سفيان الثورى ١٦٤
سهيل بن مالك ٦٣
سهيل بن سعد ٩٤
سعد بن عبيد ١٠٠
سعيد بن ابى سعيد ١٥٩
سعيد بن عمير ١٠٠
سعيد بن المسيب ١٣ ١٥٤

(الشيـــن)

الشعبى ١٨ ، ١٩ ، ٤٥ ، ٨٥ ، ١٤٨ .

(الصـــاد)

صالح بن كيسان ١٤٠

(الضـــاد)

الضحاك ١٤٢

(الظـــاء)

ظبية بن محصن ١٤١

(العيـــن)

عبد الله بن بسر ١٧٣
عبد الله بن رواحة ١٦
عبد الله بن عليم ٣٧
عبد الله بن سعيد ٥٩
عبد الله بن دينار ١٥٠

عبد الله بن الزبير ٩٤
عبد الله بن أبى بكر ١١٥
عبد الله بن مسعود ٢٩١ ، ١٦١
عثمان بن عفان ٧ ، ٦١
عبد الرحمن بن أبزى ٤٧
عبد الرحمن بن أبى حجيرة ١٦٢
عبد الرحمن بن سابط ١١٣
عتبة بن غزوان ٩٨ ، ١٢٢
عبد الملك بن عمير ١٠٤ و ١٢٢
عريف بن زبيد ١٨
عروة ٣١ ، ٣٨ ، ٥٢ ، ٥٣
عمير بن عبد الملك ٨٣
عقبة بن أبى العيزار ٨٧
العلاء بيت الفضل ١٢٣
عقبة بن أبى الصهباء ١٥٧
عمرو بن الجموح ١٤ ، ١٥
عمر بن الخطاب ١٧ ، ٢١ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ١٢٠ ، ١٢١
عبد الله بن خراش ٥٩
على بن أبى طالب ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٢٦

(الفـــاء)

فاطمـــة ٢٢

(القـــاف)

القاسم ١٨ ، ١١٦
قبيصة ٦٠

(الكـــاف)

كلثوم بن جبر ٩٥

(الميـــم)

معاذ بن عمرو ١٤
مسروق ٤٦
مجاهد ٦٢ ، ١٠٦ ، ١٠٠٧
موسى بن عقبة ٤٩
منذر ١٦٣
معدان بن أبى طلحة ٥٧

(النـــون)

النعمان بن سعد ١٢٧

(الـــواو)

الواقدى ١٦

(اليـــاء)

يسار بن معرور ٥٨
يحيى بن يعمر ٧٥

فهرست الكتاب

إهداء	٧
تقديم	٩
الفصل الأول : لذا كانوا هم الصحابة	١١
من الأعمال والأخلاق الشجاعة	١٤
الفصل الثانى : الخطب	٢٥
خطب أبى بكر الصديق رضى الله عنه	٢٩
يوم وفاة النبى ﷺ	٢٩
يوم الخلافة	٣١
فى ثانى يوم البيعة	٣٢
الإخلاص والاعتبار	٣٣
الحث على العمل والإخلاص	٣٤
التقوى والامتثال	٣٥
خطب جامعة للصديق رضى الله عنه	٣٧
خطب الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه	٤٣
التقوى والأمر بالمعروف	٤٣
وصف الدنيا	٤٤

عند وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ٤٤
لما ولى أمر المسلمين ٤٥
حول صداق النساء ٤٦
القدر ٤٧
يوم الجابية ٤٨
خطب جامعة ٥٢
خطب عثمان بن عفان رضى الله عنه ٦١
حين بايعه أهل الشورى ٦١
التقوى والعمل ٦٢
الاستعداد للموت ٦٢
خطب جامعة وآخر خطبة له رضى الله عنه ٦٢
خطب على بن أبى طالب كرم الله وجهه ٦٥
لما ولى الخلافة ٦٥
الحث على العمل والإخلاص ٦٦
التقوى ٦٦
الرجاء والخوف والصبر ٦٧
خطب جامعة له كرم الله وجهه ٦٨
خطب الحسن بن على رضى الله عنه ٨٤
لما توفى على رضى الله عنه ٨٤
آخر خطبة لسيدنا الحسين رضى الله عنه ٨٨
فى اليوم الذى استشهد فيه ٨٨
خطب معاوية بن أبى سفيان ٨٩

إنما العلم بالتعلم	٨٩
خطب عبدالله بن مسعود	٩١
خطبة عبدالله بن الزبير	٩٤
خطبة حذيفة بن اليمان رضى الله عنه	٩٦
خطبة عتبة بن غزوان الله رضى الله عنه	٩٨
خطبة أبى موسى الأشعرى	٩٩
خطبة ابن عباس رضى الله عنه	٩٩
خطبة سعد بن عبيد القارى	١٠٠
خطبة عمير بن سعد رضى الله عنه	١٠٠
خطبة معاذ بن جبل	١٠١
خطبة أبى الدرداء رضى الله عنه	١٠١
خطبة أبى هريرة رضى الله عنه	١٠٢
خطبة عبدالله بن سلام رضى الله عنه	١٠٤
خطبة يزيد بن شجرة رضى الله عنه	١٠٦
الفصل الثالث : الوصايا	١٠٩
وصية أبى بكر لعمر بن الخطاب رضى الله عنه	١١١
وصية أبى بكر لعمرو بن العاص	١١٥
وصية أبى بكر لشرحبيل	١١٦
وصية أبى بكر الصديق ليزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهما	١١٨
وصايا عمر بن الخطاب رضى الله عنه	١٢٠
وصية عمر لولى الأمر من بعده	١٢٠

وصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص ١٢١
وصية عمر بن الخطاب لعتبة بن غزوان ١٢٢
وصية عثمان بن عفان رضى الله عنه ١٢٣
وصية على بن أبي طالب كرم الله وجهه ١٢٦
وصية أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ١٣١
نصيحة الرعية للإمام ١٣٣

الفصل الرابع : الكتب والدعوات ١٣٧

كتب أبو بكر رضى الله عنه ١٣٩
وكتب عمر رضى الله عنه ١٤٠
وكتب على بن أبي طالب رضى الله عنه ١٤٢
وكتب أبو عبيدة ومعاذ رضى الله عنهما ١٤٤
كتاب زياد بن الحارث إلى قومه ١٤٦
كتاب خالد بن الوليد إلى أهل فارس ١٤٧
كتاب أبي بكر إلى أهل اليمن ١٤٩
وكتب زيد بن ثابت إلى أبي بن كعب رضى الله عنهما ١٥٠

الفصل الخامس : المواعظ والمواقف ١٥١

موعظة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ١٥٣
مواعظ على بن أبي طالب رضى الله عنه ١٥٦
مواعظ أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ١٥٩
مواعظ عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ١٦١

موعظة أبى ذر رضى الله عنه ١٦٤
مواعظ سلمان الفارسى ١٦٦
مواعظ أبى بن كعب رضى الله عنه ١٦٨
مواعظ عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ١٧٠
مواعظ الحسن بن على رضى الله عنهما ١٧٢
موعظة لشداد بن أوس رضى الله عنه ١٧٣
موعظة لعبدالله بن بسر رضى الله عنه ١٧٣
مواعظ حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ١٧٤
مواعظ أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه ١٧٧
مواعظ معاذ بن جبل ١٨٠
مواعظ أبى أمامة ١٨١
خاتمة ١٨٥
أهم المراجع ١٨٧
الفهارس ١٨٩
فهرست الآيات القرآنية الشريفة ١٩١
فهرست المواضع والبلدان ١٩٤
فهرست الأعلام ١٩٥
فهرست الكتاب ٢٠١